

وجهوده في التفسير

تأليف
إبراهيم خليل بركة

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

المكتب الاسلامي
بيروت : ص . ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً : اسلاميا
دمشق : ص . ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً : اسلامي


ابن تيمية
وجهوده في التفسير

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله . أرسله الله بالهدى ودين الحق ، فبلغ الرسالة وأدّى الأمانة ، ونصح الأمّة .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون ﴾[1] .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم، الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إنّ الله كان عليكم رقيباً ﴾[2] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾[3] .

أما بعد :

فإنّ دراسة تاريخ سلف الأمة الإسلامية وما كانوا عليه ، هي مِنْ أفضل

---

1) سورة آل عمران آية ١٠٢ .
2) سورة النساء آية ١ .
3) سورة الأحزاب آية ٧٠ ـ ٧١ .
وانظر خطبة الحاجة تخريج المحدث محمد ناصر الدين الألباني طبع المكتب الإسلامي بيروت .
وهي التي كان يفتتح ابن تيمية بها أكثر رسائله وكتبه ، وأحياناً يقتصر على جزء منها .

الدراسات ، لا لأنها توضح جوانب هامّة من حياتها فقط ؛ بل لأنها أهم حوائجها في هذا العصر ، لما يغزوها من فلسفات مختلفة ، وأفكار زائفة .

ولقد حفظ لنا التاريخ أسماء أئمة كُثُر ، صدقت عزائمهم ، وصفت نياتهم ، فاعتقدوا أنّه لن يصلح أمر هذه الأمة في كل مراحلها إلاّ بما صلح عليه أوّلها ، وهو رأي كل مصلح خبير ، وعاقل حكيم .

من أولئك الأعلام كان الإمام « ابن تيمية » الذي ما فتىء يجاهد بقلمه ولسانه وسيفه حتى توفاه الله تعالى .

وأغلب الدراسات التي كتبت عنه ، اتجهت إلى البحث في حياته ، وعصره ، وآرائه العقدية والفقهية . وحول منهجه الإصلاحي وما بذله من جهود مضنية في ميدان الدفاع عن العقيدة ، والرجوع بالأمّة إلى الكتاب والسنّة .

أمّا جهوده في التفسير وعلومه ، فلم تعطحقها من البحث والدراسة ، ولعل السبب في ذلك عائد لقلة ما وصل إلينا مما كتبه في التفسير ولشهرته بالإصلاح الإجتماعي ، وبالأمور الفقهية والعقدية .

ولمّا كانت الرغبة لدي تتزايد يوماً بعد يوم ، للمساهمة في إحياء ذلك التراث الفكري الثمين ، المتألّق في سماء العلم والمعرفة ، عقدت العزم بعد أن استخرت الله عز وجل، على موضوع «ابن تيمية ودوره في التفسير» لأجعله عنواناً وميداناً لرسالتي هذه ، مع علمي بأنّ المفسرين الأوائل رحمهم الله تعالى قد أخذوا النصيب الأكبر في التفسير .

ولا يخلو الأمر من عقبات ، إلاّ أنّ ثقتي بالله وتوكلي عليه ، كانا خير عون لي باستمرار لإكمال هذه الرسالة، التي لا تخرج عن كونها عملاً إنسانياً سمته عدم الكمال ، متمثلاً قول القائل :

لقد مَضَيْتُ وراء الركب ذا عرج   مُؤَمِّــلاً جَبْــر ما لاقيتُ من عَرَج

فإن لحقتُ بهم من بعد ما سَبَقوا   فَكَم لِرَبٍّ الوَرى في النّاس من فَرج ِ
وإن ضللت بِقفرِ الأرض ِ مُنْقطِعاً   فما عَلَى أَعْرج ٍ في الناس من حَرَج ِ

وعذري أني بذلت جُهْدي في وقت عزّ فيه الأمن ، الذي هو من أكبر نعم الله على النّاس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وأخيراً :

أقدم شكري وتقديري لأساتذتي الأجلاَّء أصحاب الفضيلة في كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

ولكل من قدَّم لي المساعدة والعون في إتمام هذه الرسالة .

وأخص بالذكر منهم الاساتذة الأجلاء الدكتور مروان القباني، مدير الاوقاف اللبنانية، والشيخ خليل الميس رئيس أزهر لبنان ، وأذكر بكل خير الملاحظات القيمة التي تلقيتها عند الاعداد، وعند الطبع ، من الشيخ زهير الشاويش، ومن مكتبته القيمة.
سائلاً الله تعالى أن يجزي الجميع عني خير الجزاء. وأن ينفع بها إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول.

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير .

إبراهيم خليل بركة

عَصرابن تيمية

أولاً : الحالة السياسية والإجتماعية .

أثبتت الدراسات والأبحاث ما هو مشاهد من أن الظروف التي تحيط بالشخص ، والبيئة التي يعيش فيها ذات أثر كبير في حياته ، وطبعها بطابع خاص .

لذلك فإنه من الأفضل قبل البدء بدراسة شخصية مؤثرة في مختلف نواحي الحياة ، الاطلاع على تلك الظروف التي عايشها والبيئة التي ترعرع فيها ، علّ ذلك يكشف عن بعض العوامل التي أدت إلى نبوغها وظهورها . ومن هنا كان من المهم دراسة العصر الذي نشأ فيه ابن تيمية رحمه الله تعالى .

لَقَدْ نشأ ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) في عصر مضطرب سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، وكذلك الأخلاق والعادات ، متزعزع العواطف والإنفعالات .

عصر الحروب الصليبية في نهايتها (١٠٩٥ ـ ١٢٧٠ م) والغارات التترية في شدَّتها (١٢٥٨ م) وعصر دولة المماليك (١٢٥٠ ـ ١٣٨٢ م) في هيمنتها على مصر والشام .

وكانت البلاد الإسلامية في تلك الفترة ، عبارة عن ممالك صغيرة ، يحكمها أمراء غير خاضعين لسلطان الخلافة الإسلامية .

وكثيراً ما كان يحفزهم الطمع في سعة الملك وعظمة السلطان إلى قتال بعضهم بعضاً ، حتى أن بعضهم لا يتورع عن الإستعانة بالروم والتتر والمغول

وغيرهم من أعداء المسلمين على أبناء ملّتهم من المسلمين . ولا ريب أن النتيجة المحتومة لمثل هذا التّفكُّك والإنقسام هي ضعف المسلمين وعجزهم عن مقاومة أعدائهم من الصليبيين والتتار .

ولقد استمرت الحروب الصليبية في بلاد المسلمين نحو قرنين من الزمان (١٠٩٥ - ١٢٧٠ م) يقودها أعداء الله حملة بعد حملة للإستيلاء على بلاد الإسلام حتى اذن الله بانقضاء دولتهم وزوال آخر خطرهم على يد الصالح أيوب وامرأته شجرة الدر .

ومن أسباب هذه الحروب :

أولاً : الحقد الصليبي التاريخي في عداوة الإسلام والمسلمين ، ومحاولتهم جادين لإطفاء نور الإسلام والقضاء عليه ،﴿ ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾[١] .

وفي هذا يقول الدكتور أحمد شلبي: «فلا غرو بعد هذا أن نؤكد أنّ نشاطاً دينياً اتضح في تاريخ المسيحية في هذه الأثناء ، كان يرمي إلى إيقاظ الشعور الديني بالداخل ، كما كان يرمي إلى القضاء على الإسلام الذي مثّل خلال فترة طويلة من الزمن إشارة الخطر ضد المسيحية الأوروبية . . . . . والإستيلاء على الأماكن المقدسة في فلسطين. لتتولى الكنيسة والبابوية بروما حماية هذه الأماكن المقدسة وإدارتها»[٢] .

ثانياً : سوء الحالة الاقتصادية في بلاد أوروبا حيث أصبح الناس في فقر شديد ، مما

---

١) سورة التوبة آية ٣٢ .

٢) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ م . مطبعة النهضة المصرية ، ج ٥ ص ٤٢٩ .

اضطّرهم للقتال ضد الشعوب الإسلامية في الشرق إيهاماً من زعمائهم بأن الشرق الإسلامي بلاد الذهب الأسود سرعان ما يغني نزيله ويغنم[1] .

« ولقد أثبتت الأبحاث الحديثة قوة العامل الإقتصادي وأهميته في تحريك كثير من الهجرات والحروب الهامّة في التاريخ »[2] .

ثالثاً : الفوارق الطبقية ، نتيجة للنظام الإجتماعي في أوروبا الذي يقسم الناس إلى ثلاث طبقات ، طبقة رجال الدين ، وطبقة المحاربين ، وطبقة الفلاحين والعمال .

وهذه الطبقة الثالثة هي المسحوقة وهي التي تشعر بالذل والهوان ، حيث كانوا يعانون شظف العيش في أكواخ قذرة بنيت من جذوع الأشجار وفروعها ، بلا نوافذ ، سقفت بالقش والطين ، وخلت من الأثاث سوى صندوق خشبي صغير ، وبعض أدوات فخارية ومعدنية بسيطة .

وكانوا يقومون بأعمال السخرة للأمير الإقطاعي ، كما كانوا يدفعون ضريبة الرأس رمزاً لعبوديتهم واستعباد الأمير لهم .

إضافة إلى الضرائب على مواشيهم وغلة أراضيهم كل هذه الأمور جعلتهم يجدون في الحروب الصَّليبيَّة الفرصة الذهبية التي ستخلصهم مما هم فيه من شظف العيش ، وبؤس الحياة[3] .

رابعاً : إعتقاد المسيحيين تحقيق رضا السيد المسيح [عليه السلام] إذا استولوا على القبر المقدس لتتولى الكنيسة والبابوية بروما حماية هذه الأماكن المقدسة وإدارتها[4] .

---

١) أنظر الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ص ٢٩٤ وما بعدها . ونقول : فعلاً كانت بلادنا وما زالت كنزاً غرف منه الغرب الخيرات . ولمن يكن إلهاماً من الزعماء أو خيال .

٢) الحركة الصليبية لسعيد عاشور ط. الثالثة سنة ١٩٧٢، مطبعة الأنجلو المصرية، ج ١ ص٣٤ - ٣٥ .

٣) أنظر الحركة الصليبية لسعيد عاشور ج ١ ص ٣٧ - ٤٠

٤) أنظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي ، ج ٥ ص ٤٢٩ ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ ، مكتبة النهضة المصرية .

وقد جاء في خطبة البابا « أيها المسيحيون إن تلك الأرض المقدسة ، بحضور شخص المخلّص فيها، وتلك المغارة المرعية المختصة بفادينا، وذاك الجبل الذي عليه تألّم ، ومات من أجلنا ، وذاك الضريح الذي تنازل لأن يدفن فيه ضحية للموت .

كلها أضحت ميراثاً لشعب غريب ، وغاب كل بهاءها الأصلي ، وهياكلها قد خربت ، وأشعة نورها الساطعة قد تحوّلت إلى ظلام دامس ، وهي تستحق الندب الشديد والبكاء .

لم يعد كل هذا إلاّ مشهداً لافتخارات أعمال المسلمين ، الذين يهدّدون الآن للاستيلاء على ممالك الغرب »[1] .

خامساً : يضاف إلى ذلك عامل آخر شجّع كثيراً من الفرسان على المشاركة في الحروب الصليبية هو ارتباط النظام الاقطاعي بالفروسية .

فقد كانت حياة السّلم تعني البطالة عن المحاربين المحترفين الذين لا عمل لهم إلاّ القتال والحروب .

وعندما كثرت الحروب الإقطاعية وهدّدت المجتمع الغربي بالفناء والدَّمار تدخلت البابوية ونادت « بهدنة الله » وقصدوا بها أوقاتاً معلومة يحرم فيها القتال .

وعندئذ بحث الفرسان الغربيون عَنْ ميادين جديدة يعرضون فيها عضلاتهم ، فابتكروا المبارزة ، ولكن المبارزات بين الفرسان كانت تتم بطريقة تمثيلية استعراضية ، استهدفت إظهار أكبر قسط من المهارة بأقل قدر من الإصابات ، وإراقَة الدِّماء ، لذلك لم يقنع الفرسان بهذه الوسيلة .

حتى إذا ما ظهرت الدعوة إلى الحروب الصليبية رأوا فيها أبواباً واسعة

---

١) الأخبار السنية في الحروب الصليبية لسيد علي الحريري ، ص ٦ . الطبعة الأولى : ط . المطبعة العمومية/ القاهرة.

لإظهار شجاعتهم ، والتعبير عن مواهبهم الحربية ، بغض النظر عما في المشاركة في تلك الحروب من سعي مشكور وذنب مغفور[1] في خطاب البابا عند إعلان هذه الحرب . !!

إذن : لبت جموع المسيحيين دعوة الباب[2] بأن حملوا الصلبان رمزاً للاستجابة لحامل الصليب الأكبر وهو البابا ، ولهذا عرفت باسم الحروب الصليبية ، فتحركت **الحملة الصليبية الأولى** في نيسان (أبريل) سنة ١٠٩٧ م باتجاه مدينة **نيقية** وحاصروها في السادس من أيار (مايو) سنة ١٠٩٧ م . بقيادة بطرس الناسك وبلغ عددهم حوالي مليون شخص[3] ، وأخذوا يهاجمونها ، واستولوا عليها ، وسلّموها للبيزنطيين الذين قدموا لهم المساعدات الكثيرة والتسهيلات العديدة . وباستيلاء الصليبيين عليها فرحوا وقويت عزائمهم وواصلوا زحفهم حتى وصلوا إلى **إنطاكية** في ٢٠/ ١٠/ ١٠٩٦م.

وبذلك بدأ الغزو الصليبي لبلاد الشام .

وما ان وصلوا إليها حتى اضطربت البلاد لكثرة عددهم ، وفزع أهلها وقيل أن رجلاً من إنطاكية، نافق الصليبيين ، وفتح لهم في الليل شباكاً في السور ، فدخلوا منه ، ووضعوا السيف في أهلها في حين هرب حاكمها « ياغي سيان » وترك بها أهله وولده وأمواله ، ثم انّه ندم على ذلك ، وانفض عنه أصحابه ، حتى قتله

---

١) أنظر الحركة الصليبية لسعيد عاشور ص ٤٠ ـ ٤٣ .

٢) افتتح البابا (أربان الثاني) بدء الحروب الصليبية ضد المسلمين في ٢٦/ ١١/ ١٠٩٥ م بخطابه الشهير في مدينة كليرمنت بفرنسا حيث جاء فيه « بأمر الله تتوقف العمليات الحربية بين المسيحيين في أوروبا ، ويتجه هؤلاء بأسلحتهم إلى هزيمة الكفرة المسلمين . . . ثم قال : لقد كنتم تحاولون من غير جدوى اثارة نيران الحروب والفتن فيما بينكم فالآن اذهبوا وازعجوا البرابرة ، وخلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار ، وامتلكوها لأنفسكم ، فإنها كما تقول التوراة تفيض لبناً وعسلاً . . .
وأعلن البابا في نفس الخطاب أن من يشترك في هذه الحروب تغفر له ذنوبه ، ويدخل في حماية الكنيسة المسيحية .
(أنظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية للدكتور أحمد شلبي ج ٥ ، ص ٤٣٨) .

٣) حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ٣١٩ نقله إلى العربية الأستاذ الكبير عادل زعيتر الطبعة الثالثة دار احياء الكتب العربية القاهرة سنة١٢٦٤ هـ . / ١٩٤٥م.

رجل حطاب وقدم رأسه إلى الصليبيين[1] .

وقتل الصليبيون من أهالي انطاكية وسبوا من رجالها وأطفالها ونسائها ما لا يدركه حصر[2] . ثم تقدموا بعد ذلك إلى معرة النعمان التي اضطر أهلها إلى التسليم ، بعد أن طلبوا الأمان ، إلاّ أن الصليبيين لم يحترموا الأمان بل غدروا بالأهالي ، ورفعوا الصلبان فوق البلد ، ولم يفوا بشيء مما قرروه ، ونهبوا ما وجدوه ، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ، وارتكبوا أبشع الجرائم في حقهم ، وقتلوا منهم نحو مئة ألف إنسان[3] .

وتحركت الحملة ، نحو بيت المقدس بعد أن مكثت فترة في بلاد الشام ، استولت خلالها على المدن والقرى الإسلامية .

ولم يكن استيلاؤهم على بيت المقدس بالأمر السهل ، بل صادفوا مقاومة شديدة ، وشدّدوا الحصار على المدينة ، خصوصاً عندما وصلتهم الإمدادات عن طريق البحر ، فإن اسطولاً جَنَويّاً وصل إلى ميناء يافا في فلسطين ، واستولى عليها وأردف القوات الصليبية بالمساعدات .

فانتقموا من أهالي المدينة ، فقتلوا آلاف الأبرياء من المسلمين بغير ذنب .

فلم يتركوا مسلماً في الطرقات أو البيوت أو المساجد إلاّ قتلوه واستباحوا دمه دون أن يفرقوا بين رجل و امرأة وطفل .

ولم يرع الصليبيون حرمة المسجد الأقصى فأجهزوا على كل من احتمى به

---

١) أنظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة ج ٥ ، ص ١٤٦ .
وأورد خبراً آخر مفاده أنه وقع عن ظهر فرسه فمات . ص ١٤٧ .

٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

٣) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١٤٦ .

من المسلمين ، وعددهم أكثر من سبعين ألف كما ذكر ابن الأثير في تاريخه[1] . وكما صرّح به أحد مؤرخيهم (وليم الصوري) عندما قال : « إن بيت المقدس شهدت عندما دخلها الصليبيون مذبحة رهيبة حتى أصبح البلد مخاضةً واسعة من دماء المسلمين أثارت خوف الغزاة واشمئزازهم[2] .

« وكان من أحب ضروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال وتقطيعهم إرباً إربا وشيهم كما روت (آن كومنين) بنت قيصر الروم »[3] .

وها هي أيضاً شهادة الراهب (روبرت) الذي كان من الصليبيين الذين دخلوا بيت المقدس لتكون وصمة عار فيمن يرمون المسلمين بمثل هذا .

فيقول : « كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل وذلك كاللبؤات التي خُطِفَت صغارها ، وكانوا يذبحون الأولاد والشبان والشيوخ ، ويقطعونهم إرباً إربا ، وكانوا لا يستبقون إنساناً ، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة ، فيا للعجب ويا للغرابة أن تذبح تلك الجماعة الكبيرة المسلّحة بأمضى سلاح من غير أن تقاوم ، وكان قومنا يقبضون على كل شيء يجدونه ، فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية ، فيا للشره وحب الذهب . وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث ، فيا لتلك الشعوب العمي المعدّة للقتل . ولم يكن بين تلك الجماعة الكبرى واحد ليرضى بالنصرانية ديناً »[4] .

ولقد أورد صاحب كتاب حضارة العرب روايات أخرى عن ذبح المسلمين وسفك دمائهم لا لشيء إلاّ لكونهم رضوا بالإسلام ديناً وبمحمدﷺ نبياً ورسولاً .

---

١) أنظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٠ ، ص ٢٨٣ ، ط. دار صادر للطباعة والنشر / بيروت سنة ١٩٦٦ م . وستأتي ترجمته .
٢) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ، ط. بيروت سنة ١٩٥٨ م . ص ١٩٧
٣) حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ٣٢٤ .
٤) حضارة العرب لغوستاف لوبون ص ٣٢٥ .

ولا شك في أن توقيت هذه الحملة في هذا الظرف الذي تفككت فيه عرى المسلمين وتقطعت أوْصالهم ، واضْطَربت أوضاعهم كان من العوامل المساعدة على إنجاحها .

وكما قال المستشرق « لين بول » : « لو تقدم الزمان قليلاً بالحملة الصليبية الأولى ، لصدتهم قوات السلاجقة ، ولو تأخر قليلاً لكان مِنَ المحتمل أن يلقي بهم زنكي أو نور الدين في البحر الذي جاؤوا منه ، لكنها كانت فترة من الفترات السَّعيدة للأوروبيين أن قرروا السير إلى الأراضي المقدّسة في هذه الفترة التي اضطرب فيها النظام في البلاد الإسلامية »[1] .

ولم يقتصر الأمر على جحافل الصليبيين ، بل ابتليت الأمة الإسلامية بطوفان التتر الذي لم يبق ولم يذر .

وهم قبائل من البدو الرّحل كانت تطوف في الجهات الشمالية من بلاد الصين ، والمغول قسم منهم .

ويذكر المستشرق « بروكلمان » في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية . بأنهم « كانوا قسمين عظيمين :

١ ـ قسم ألف حياة التنقل على حدود الإمبراطورية الصينية .
٢ ـ وقسم آخر اعتمد في معاشه على **الطرد** وصيد الأسماك ، وأقام في شمال صحراء جوبي[2] .

وتمّ توحيد هذه القبائل المغولية على يد القائد « جنكيزخان » الذي استطاع

---

١) من كتاب ابن القيم الجوزية ، عصره ومنهجه لعبد العظيم عبد السلام شرف الدين ص ٢٧ نقلاً عن محاضرات د . محمد حلمي .
ولين بول : Lane Poole (١٨٣٢ ـ ١٨٩٥م) . مستشرق وعالم بالأثار المصرية .
٢) تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .
وهو مستشرق ألماني ١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م . له تاريخ الآداب العربية ، وتاريخ الشعوب الإسلامية .

أن يجتاح بجحافل المغول بلدان التمدن الإسلامي في وحشية مدمّرة متعطّشة إلى الدّم »[1] . وكان نظام هذه الجماعات « قبلياً » طاعة لرؤسائهم ، وحبّاً للنهب والسلب وكانت ديانتهم عبادة الكواكب ، فقد كانوا يسجدون للشمس عند طلوعها .

وكانوا لا يحرّمون شيئاً ، ويأكلون جميع الدواب ، حتى الكلاب والخنازير .

ويذكر ابن الأثير في تاريخه[2] بأن غزو المغول لبلاد خوارزم وللبلاد الإسلامية يرجع إلى **قتل تجار المغول** الذين جاءوا إلى خوارزم وإلى أنّ **خوارزم شاه قتل رسول « جنكيز خان »** الذي جاء يتهدده بالحرب ، وحلق لحى من كان معه ، وأعدّ العدّة لقتال المغول ، وعسكر قرب « بلخ » فجاء المغول إلى « طشقند » ومنها إلى « بخارى » ودخلوها عام ٦١٧ هـ . ونهبوها ، وقتلوا أهلها ، وأسروا من بقي .

ثم ألقى التتار المنابر والمصاحف في الخندق وأضرموا النار في المدارس والمساجد حتى غدت « **بخارى** » كأن لم تكن .

ثم زحف المغول إلى « **سمرقند** » قصبة بلاد ما وراء النهر ، وكعبة العلماء والأدباء ، فقتلوا الكثير من الناس ، ونهبوا المدينة ، وعاثوا فيها فساداً[3] .

ولم يزل خطر هؤلاء التتر يزداد ويستفحل حتى سقطت في أيديهم البلاد الإسلامية بلداً بعد آخر .

فاستولوا على **بغداد** عاصمة الخلافة الإسلامية في سنة ٦٥٦ هـ . وقتلوا الخليفة المستعصم[4] وعاثوا الفساد فيها .

---

١) أنظر ابن الأثير ، ج ١٢ ، ص ٣٥٨ في حوادث سنة ٦١٧ هـ ط . صادر/ بيروت.

٢) تاريخ ابن الأثير ، ج ١٢ ص ٣٦٢ حوادث عام ٦١٧ هـ .

٣) أنظر تاريخ ابن الأثير ج ١٢ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ ط . صادر / بيروت.

٤) المستعصم عبد الله بن منصور ، آخر الخلفاء العباسيين في بغداد (٦٤٠ - ٦٥٦ هـ) . ولد سنة ٦٠٩ هـ . عجز عن صد الزحف المغولي بقيادة هولاكو الذي قتله سنة ٦٥٦ هـ . عند احتلاله لبغداد ، وتقتيل أهلها ، وإفساد مكتباتها بالإحراق والتدمير .

ولقد صور ابن الأثير[1] في كتابه الكامل في التاريخ هذا الحدث الجلل أبلغ تصوير حيث يقول : « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة ، إستعظاماً لها ، كارهاً لذكرها .

فأنا أقدم رجلاً وأؤخِّر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين .

ومن الذين يهون عليه ذكر ذلك ؟ فَيا ليت أمي لم تلدني ويا ليتني مت قبل هذا ، وكنت نسياً منسياً . إلاّ أني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف .

ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعاً ، فنقول هذا الفِعْلُ يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي عَقَّتْ الأيام والليالي عن مثلها عمت الخلائق ، وخصت المسلمين .

فلو قال قائل : إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقاً فإن التواريخ ، لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها . . . . . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا ، إلا يأجوج ومأجوج . . . هؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والأطفال والرجال وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأجنة فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم ، لهذه الحادثة الذي استطار شررها وعمّ ضررها ، وسارت في البلاد كالسَّحَابْ استدبرته الريح . فإنَّ قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا

---

1) ابن الأثير هو علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الموصلي المشهور بابن الأثير الجزري (عز الدين أبو الحسن) ولد سنة ٥٥٥ هـ . وتوفي بالموصل سنة ٦٣٠ هـ . وهو مؤرخ ، ومحدث ، وحافظ ، ولغوي ، نسابة . صاحب الكامل في التاريخ ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة ، واللباب في تهذيب الإنساب .
أنظر في ترجمته : وفاة الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٨ . البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ١٣٩ شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج ٥ ص ١٣٧ .

بلاد التركستان ، ومنها إلى بلاد ما وراء النهر ، فملكوها ، ثم تَعْبُر طائفة منهم إلى خُراسان ، فيفرغون منها ملكاً وتخريباً ، وقتلاً ونهباً ثم يتجاوزونها إلى الري وهمذان . . . وإلى العراق ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأَرَّانْيه ويخربونها ، ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلاّ الشريد النادر ، في أقل من سنة . هذا ما لم يسمع بمثله ، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً ، فقتلوا كل من وقف لهم ، فهرب الباقون إلى الغياض ورؤوس الجبال وفارقوا بلادهم ، واستولى هؤلاء التتر عليها . فعلوا هذا في أسرع زمان ، لم يلبثوا إلاّ بمقدار مسيرهم لا غير ، وقضى طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى (غزنة) وأعمالها ، وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان .

ففعلوا فيها مثل ما فعل هؤلاء وأشد . هذا مما لم يطرق الأسماع مثله[1] .

« وان هذه الهجمات المغولية كانت أشبه بهزات الطبيعة العنيفة التي تغير وجه الأرض . . . . حتى إن سكان السويد عن طريق روسيا لمّا سمعوا نبأ ذلك الطوفان المغولي فلم يستطيعوا أن يخرجوا إلى الصيد كعادتهم »[2] .

« ومما زاد الحالة العامّة سوءاً ما حدث في سنة **٦٥٣** هـ . من فيضان نهر دجلة بالماء ، حتى طمّ بغداد ، وعمّ دورها ، وهدم مساكنها »[3] .

ثم دخل التتار « **حلب** » بعد « **بغداد** » وذهبوا إلى « **دمشق** » فاستولوا عليها في جمادى الأولى سنة ٦٥٨ هـ . واستولوا على القلعة بعد مصالحة مع أحد أمرائها ، واسمه « إبل سيان » وقويت شوكة النصارى وأعداء الإسلام إثر ذلك ،

---

١) تاريخ ابن الأثير ، ج ١٢ ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠ ط . دار صادر/ بيروت في حوادث عام ٦١٧هـ .
٢) اضمحلال الدولة الرومانية لجيبون ص ٢٦٣ .
٣) ابن تيمية للشيخ عبد العزيز المراغي ضمن سلسلة أعلام الإسلام ط. عيسى الحلبي وشركاه ص ١٦ .

فتقربوا إلى هولاكوا بالهدايا والتحف، وهذه عادتهم في كل بلد دخله التتار.

حتى بلغت جرأتهم أنهم دخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس ، وهم ينادون بشعارهم ، ويقولون : ظهر الدين الصحيح دين المسيح ، ويذمون دين الإسلام وأهله ، ومعهم أوان فيها خمر ، لا يأتون على باب مسجد إلا ويرشون عنده خمراً ، وكانوا يرشون الخمر على وجوه الناس وثيابهم ، ويرغمون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ، فتكاثر عليهم المسلمون وردوهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم فمدح دين النصارى ، وذم دين الإسلام وأهله ، فإنا لله وأنا إليه راجعون[1] .

ولا نظن بابن تيمية إلاّ اشتراكه مع الناس في مثل هذه الحالات التي حدثت بعد ذلك ، بل كان له دور بارز ، فقد شارك في الحروب ضد التتار بنفسه وقلمه ولسانه ، وكان « إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتهم ، وقطْب ثباتهم إن رأى من بعضهم هلعاً ، أو رقة ، أو جبانة شجعه وثبّته وبشره ، ووعده بالنصر والظفر والغنيمة ، وبين له فضل الجهاد والمجاهدين وإنزال الله عليهم السكينة»[2] .

« وكان يجول في العدو كأعظم الشجعان ، ويقوم كأثبت الفرسان ، ويكبر تكبيراً أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم ، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت ، واشترك في فتح عكا ورأوا منه أموراً غاية في الشجاعة . ولقد كان السبب في تملكهم إياها بفعله ومشورته وحسن نظره »[3] .

---

١) أنظر هذه الأخبار في تاريخ ابن كثير ج ١٣ ص ٢٠٨ ط. مطبعة المتوسط/ بيروت في حوادث عام ٦٥٨ هـ .

٢) الإعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ عمر بن علي البزار المتوفى عام ٧٤٩ هـ . ص ٦٧ ط. المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٠ هـ . تحقيق الأستاذ زهير الشاويش .

٣) نفس المرجع ، ص ٦٨ .

وكان يعقد المجالس في المسجد الجامع لحض الناس على الجهاد والنفقة في سبيل الله تعالى ، ولمّا حاصر التتار دمشق خرج في جماعة من أعيانها لمقابلة قائدهم ، وذلك يوم الإثنين في الثالث من ربيع الثاني سنة ٦٩٩ هـ[١] .

لكـي يأخذوا منه الأمان لأهلها ، وكان محاورهم الإمام ابن تيمية ، وأغلظ له في القول حتى ظن من كان معه من القضاة والفقهاء بأنه مقتول لا محالة .

ومما قاله له بواسطة الترجمان « أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وأمام ، وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا ، وأبوك وجدّك كانا كافرين وما عملا الذي عملت . عاهـدا فوفّيا ، وأنـت عاهـدت فغـدرت ، وقلـت فما وفيت ، وجرت . . . . فخرج من عنده معزّزاً مكرماً»[٢] . وذلك بحسن نيّته واخلاصه لدينه وعقيدته .

وحقنت بسببه دماء المسلمين ، واعراضهم وممتلكاتهم . وَخُلِّصَ اسـاري المسلمين ، وأساري أهل الذّمة من اليهود والنَّصَارى[٣] . وهذا من عظيم شجاعته وقوة جأشه .

« وفي عام ٧٠٠ هـ . طلب إليه نائب السلطان في دمشـق ، وأمرائهـا أن يركب البريد إلى مصر ليستحث السلطان الناصر[٤] على الخـروج لقتـال التتـار ، فكلمه ابن تيمية كلاماً قوياً ، وما زال به حتى جرّد العساكر إلى الشام »[٥] .

واشترك ابن تيمية في معركة « شقحب » التي ابتدأت عام ٧٠٢ هـ . وكان يحلف فيها للأمراء والناس بأنهم المنصورون فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ،

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٧ .
٢) الإعلام العلية ص ٧١ .
٣) هامش الإعلام العلية بقلم زهير الشاويش ص ٧١ .
٤) هو السلطان الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون المملوكي تولى السلطة عام ٦٩٣ هـ . ونزعت منه من قبل الجاشنكير المملوك الجركسي مدة وأقام بالكرك ثم رجع إلى أن مات سنة ٧٤١ هـ . وكان من محبي ابن تيمية . شذرات الذهب ج ٦ ، ص ١٣٤ ط . المكتب التجاري / بيروت .
٥) البداية والنهاية لابن كثير ، ج ١٣ ص ١٤ ، ١٥ .

فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى ﴿ بغي عليه لينصرنه الله ﴾[1] وانجلت عن هزيمة التتار ونصر المسلمين.

لكنه رحمه الله لم يهدأ له بال بعد هذا النصر، لأن هناك طوائف أخرى ما زالت تمالىء التتار مثل جماعة عرفوا باسم « الحشاشين » الذين سكنوا رؤوس الجبال، واشتركوا فعلا مع التتار في سبي النساء والذرية، ونهب الأموال. فذهب إليهم ابن تيمية وقاتلهم واستتاب بعضاً منهم، وألزمهم بشرائع الإسلام وكان ذلك عام ٧٠٤ هـ.

وكان لابن تيمية سلطان أدبي معنوي يؤخذ رأيه في تعيين الشيوخ إذ أنّه لما توفي الشيخ ابن دقيق العيد سنة ٧٠٢ هـ.[2] وكان على مشيخة دار الحديث الكاملية استلمها الشيخ كمال الدين بن الشريشي[3] وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين ابن تيمية[4]. وهذا بلا شك مما يدل على مدى مكانته ومنزلته عند العامة وأولي الأمر.

وكان يتولى عملية التأديب أحياناً، كما فعل مع شيخ من شيوخ الباطنية،

---

١) الحج اية ٦٠ وانظر في أخبار وقعة « شقحب » تاريخ ابن كثير، ج ١٤ ص ٢١ - ٢٣ . ط. مطبعة المتوسط/ بيروت.

٢) ابن دقيق العيد هو الشيخ الحافظ قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري المصري ولد في ٢٥ شعبان عام ٦٢٥ هـ. وفي الحجاز قرب مدينة ينبع. سمع الكثير ورحل في طلب العلم والحديث وصف فيه اسناداً ومتناً مصنفات عديدة. ثم ولي قضاء مصر عام ٦٩٥ هـ. ومشيخة دار الحديث الكاملية وقد اجتمع بالشيخ ابن تيمية فقال له: ما أظن بقي يخلق مثلك. توفي في صفر سنة ٧٠٢ هـ. الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي تحقيق الأستاذ زهير الشاويش ص ١٠٦ ط. المكتب الإسلامي / بيروت.

٣) كمال الدين ابن الشريشي هو أحمد بن الإمام العلامه جمال الدين ابن أبي بكر بن محمد بن سمحان البكري الوايلي الشريشي كان أبوه مالكياً، واشتغل هو بفقه الشافعية فبرع وحصّل علوماً كثيرة. وسمع الحديث بنفسه وافتى، ودرس، وناظر وباشر بعدة مدارس.
أول ما باشر مشيخة دار الحديث بتربة أم الصالح بعد والده سنة ٦٨٥ هـ. إلى أن توفي، وناب في الحكم عن ابن جماعة. وكان مشكور السيرة توفي عام ٧١٨ هـ.
تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ج ١٤ ص ٧٩.

٤) البداية والنهاية ص ٢٥، في حوادث عام ٧٠٣ هـ.

حيث استتابه من كلام الفحش في الصحابة ، وعامّة المؤمنين ، وعن أكل ما يغيِّب العقل من الحشيشة ، وسائر المحرمات ، وعن مخالطة أهل الذّمة .

ولقد كان همه المحافظة على التوحيد بجانب الجهاد ضد الأعداء الكافرين ، إذ عمد ذات يوم إلى صخرة تزار ، وتنذر لها النذور ، فقطّعها وهدّمها ، وأراح المسلمين من وزرها[1] .

إذن تفاعل ابن تيمية مع أحداث عصره ومجتمعه وحاول أن يؤثر فيها وأن يأخذ بزمامها نحو الخير والهدى .

وأخيراً لم يتمكن أحد من الوقوف بوجه التتار ، وإزالة هيبتهم وهدم كيانهم إلاّ المماليك الذين استطاعوا بقيادة قطز أن يثبتوا للعالم أجمع أن هناك دولة تستطيع أن تقوم حقاً بحماية الإسلام والمسلمين . وأن يردّوا لهم معنوياتهم ، بعد أن انهارت بسقوط الخلافة الإسلامية في بغداد ، وذلك بفضل معركة استحقت قول بعض المؤرخين « إن معركة عين جالوت انقذت العالم المسيحي من التتر ، في وقت لم يكن من السهل على أوروبا أن تصمد لهم أو تقاومهم »[2] .

وهي الوقعة التي كانت قبل ميلاد ابن تيمية بثلاث سنين أو أقل من ذلك بقليل ، حيث كانت في آخر رمضان سنة ٦٥٨ هـ . ومولده كان في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ .

فلما شبَّ وجد آثارها ، وأخبارها على أَلْسِنَة من عاينوها .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ نظام هؤلاء المماليك الذين هزموا التتار ، كان نظاماً عسكرياً دكتاتورياً يقوم على رأسه سلطان ، ومن بعده أمراء له وحده الحق في تعيينهم واختيارهم .

---

١) أنظر في هذه الأخبار البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٣٠ ط . مطبعة المتوسط/ بيروت . وج ١٤ ص ١٧ .

٢) ابن تيمية للشيخ عبد العزيز المراغي ، ص ١٢ .

وكانت حياة هؤلاء السلاطين رهن برضا الأمراء ، فمن رضوا عنه افسحوا له المجال في الحكم ، ومن سخطوا عليه أوقعوا به ألوان العذاب .

ولعلّ نظرة فاحصة للأمور ترينا ذلك وتوضحه :

- خرج الأشرف « صلاح الدين خليل » للصيد ، ذات يوم ، فاجتمع عليه الأمراء ، وهو السلطان الشجاع ، فضربه الأمير « بيدار » بالسيف ضربة قطع بها يده مع كتفه .
- فجاء بعد ذلك الأمير « حسام الدين لاجين » وهو الذي تسلطن عبده بعد ذلك .

فقال « لبيدار » يا نحس . من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته ، ثم ضربه على كتفه فحلّها .

فجاء بعدهما الأمير « بهادر » وأخذ السيف ودسّه في دبره ، وأطلقه من حلقه .

- وبعد ذلك أقيم أخوه ، « ناصر الدين أبو الفتوح » وعمره تسع سنين واستمر حتى عام ٦٩٤ هـ .

- ثم أعيد الملك « الناصر محمد بن قلاوون » واستمر حتى سنة ٧٠٨ هـ .

فخرج من مصر متظاهراً بالحج ، ولكنه عرّج على الكرك ، مضطراً ، لأنه كان مشلول الحركة والإرادة ، وفي عهده تصرف الأمراء بالأمور ، بعد أن عزل نفسه عن الحكم[1] .

وتولى مكانه « البيبرس جاشنكير » ، ولكن الناصر حاول الرجوع من الكرك ، فلما سمع « بيبرس »[2] بذلك جدّد العهد من الخليفة ، فلما قرىء على المنابر في القاهرة ، ضج الناس وصاحوا ، لأنهم أرادوا المَلِكَ الناصر لحبهم له ، وقالوا: نصره الله ، نصره الله .

---

١) أنظر في هذه الأخبار حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ص ٧٤ وما بعدها .
٢) بيبرس الثاني الملك المظفر سلطان مصر ١٣٠٨ - ١٣٠٩ هـ . من المماليك البحريين جركسي الأصل ، وانهزم أمام السلطان محمد . المنجد في اللغة والإعلام ص ١٥٦ .

فلما وصل خبر ذلك إلى الملك الناصر استعجل الأمر إلى دمشق ، ومنها إلى مصر ، فلما وصل إليها حتى فرّ « بيبرس » لأسوان ، وحكم الناصر مصر ودخل الجميع في طاعته .

ولم يترك « بيبرس » بل أحضرة إلى القاهرة واعتقله ثم خنقه .

واستمر الناصر في حكمه حتى سنة ٧٤١ هـ . وكان من المعجبين « بابن تيمية » والمحبين له حيث أخرجه من سجنه في الإسكندرية ، ولما وصل إليه ، قام فمشى نحوه وعانقه ، وأكرمه إكراماً عجيباً يليق به .

- وبعد ذلك أقيم ابنه « أبو بكر » فما لبث إلا شهرين ثم خلع سنة ٧٤٢ هـ .
- ثم نفي هو وأخوه إلى « قوص » ثم قتل بها .
- وبعدها أقيم أخوه « علاء الدين كجك » وعمره ست سنين ، فلم يلبث الاّ ستة أشهر ثم خلع ، واعتقل حتى مات .
- وبعدها تولى الملك أخوه « شهاب الدين أحمد الناصر » وبقي أربعين يوماً ، ثم خلع سنة ٧٤٣ هـ ، وقتل سنة ٧٤٥ هـ .[1]
- أما الخليفة فلم يكن له من الأمر شيء إلاّ « أنه كان يؤتى به في المواقف لتتميم الحاشية ، وعند تولية سلطان جديد باعتبار أنه الرئيس الديني للمسلمين وكان يذكر اسمه في الخطبة »[2] .

فها هي حال المسلمين السياسية ابتلوا بجحافل الصليبيين والتتار ، وتفرقوا فيما بينهم شيَعاً وأحزاباً ، فكيف كانت حالتهم الإجتماعية؟

---

١) أنظر ابن القيم الجوزية ، عصره ومنهجه لعبد العظيم عبد السلام شرف الدين ، ط. مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ص ٢٠ ـ ٢٢ والبداية والنهاية لابن كثير في أحداث سنة ٤٧٥ هـ وما قبلها .
٢) تاريخ المماليك البحرية للدكتور علي ابراهيم حسن ، ص ٢٣٠ .

الحالة الإجتماعية

كان من الطَبِيعي والحالة السياسية كما ذكرنا ، أن لا تكون هناك حياة اجتماعية مستقرة ، ولعلّ ذلك عائد للأسباب الآتية :

أولاً : الغارات الصليبية والترية :

فالغارات الصليبية والترية على العالم الإسلامي أدّت إلى اختلاط المحاربين البرابرة ، وما يتمتعون به من عادات وتقاليد ، بالأمّة الإسلامية ، ومهما تكن الأخلاق الإسلامية متميزة في ذاتها ، فلا بد من أَنْ تتأَثّر عادات الشعوب بعضها ببعض سلباً أو إيجاباً .

ثانياً : اختلاط أهل الأمصار بعضهم ببعض :

وكان من نتيجة ذلك أيضاً اختلاط أهل الأمصار الإسلامية بعضهم ببعض ، ونجد أهل العراق يفرون إلى دمشق وقت مهاجمة التتار لأهلها ، وأهل الموصل وما حولها يفرون إلى دمشق ، وأهل دمشق ينتقلون إلى مصر ، بل إلى بلاد المغرب .

ولم يبق فيها إلاّ ابن تيمية ، وبعض الضعاف من العامة الذين لا يستطيعون الخروج .

ولا شك أن هذا الاختلاط الاضطراري بين الناس أدّى إلى مداخلات في العادات والتقاليد والأفكار .

ثالثاً : عدم احتكام أفراد الأمّة لقانون واحد :

لقد كان للمماليك نظام خاص في الحكم لا يعم سواهم من الناس ، حيث كانوا يحتكمون في الأمور الشرعية للقاضي المسلم الذي يعينه ولي الأمر .

أمّا في المعاملات الجارية بينهم فيحتكمون لقواعد « الياسا » وهو كتاب « لجنكيز خان » والذي جاء فيه « أنّ من زنى قتل محصناً أوغير محصن ، وكذلك من لاط قتل ، ومن تعمد الكذب قتل ، ومن سحر قتل ، ومن دخل بين اثنين مختصمين فأعان أحدهما قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل ، ومن أطعم أسيراً أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ، ومن وجد هارباً ولم يرده قتل . . . . ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً ولو كان المطعم أسيراً ، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل ، ومن ذبح حيواناً ذبح مثله بل يشق جوفه ، ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً ، وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[1] » .

وهذا يدل على أنه كانت لهم معاملة خاصّة ، وكانت لغتهم التركية لا يلوون ألسنتهم بالعربية إلاّ في العبادات وعندما يخاطبون العلماء أو أحد العامة .

ومما لا ريب فيه أن اختلاف مناهج الحكم بين طبقات الأمّة ، يجعل مدخلاً للنزاع والشقاق بين أفرادها ، كما يصل هذا النزاع والشقاق إلى الحكام والولاة .

رابعاً : سوء الحالة الإقتصادية :

عامّة الناس كانوا يشتغلون بالزراعة والصناعة ، ويتجرون في القليل من المال ، وهذه الطبقة هي التي كانت تكوى بنار الغلاء الفاحش الناتج عن سوء الحالة الاقتصادية شأن أيام الحروب في كل الأزمنة ، حيث يظهر الاحتكار

---

١) تاريخ ابن كثير ، ج ١٣ ص ١١٤ ط. مطبعة المتوسط بيروت / لبنان .

والجشع ، وتستر السلع والحاجات عن أعين البشر لتباع بأضعاف أثمانها وأسعارها الأصلية .

ومما زاد الأمر سوءاً أنه في شوال « من عام ٧٠١ هـ. قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجرّد الأشجار حتى صارت مثل العصي » [1] ولم يُعهد مثل هذا ، فعمد الناس إلى الغش في المبايعات ، واحتكار الأقوات ، وتطفيف الكيل والميزان ، مما اضطر ابن تيمية لأن يضع كتابيه « الحسبة في الإسلام » و « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » علّه يعيد الأمور إلى نصابها .

ولا ننسى أنه كان في هذا العصر علماء آخرون غير ابن تيمية مخلصون لله ولأمتهم ، ولدينهم ، حيث وقفوا بالمرصاد لتحركات الحكام ، حتى إنهم كانوا يحسبون لهم ألف حساب .

فمن هؤلاء العلماء الأفذاذ ، «العز ابن عبد السلام » [2] الذي امتنع عن مبايعة « قطز » وعطّل له البيعة بعد أن كادت تنعقد ، لأنه لم يثبت لديه حريّته .

وقال : له يا ركن الدين أنا أعرفك مملوك البند قدار . .

فاستحضر « البيبرس » شهوداً شهدوا عليه بأنه قد خرج من عبودية « البندقدار » وأكّدوا حريته حتى تمت البيعة [3] .

ومن شجاعته وجرأته في الحق أنه ، أعلن ذات يوم رق بعض الأمراء ، وأنّ

---

١) تاريخ ابن كثير ، ج ١٤ ص ١٧ ط. مطبعة المتوسط بيروت / لبنان .

٢) عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذب ، الشيخ عز الدين بن عبد السلام أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي ، شيخ المذهب ومفيد أهله وله مصنفات حسان منها : التفسير، واختصار النهاية، والقواعد الكبرى والصغرى ولد سنة ٥٧٨ هـ . وتوفي سنة ٦٦٠ هـ .
أنظر في ترجمته :
- البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٢٣ .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥ ص ٣٠١
- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١ / ٢٨٧ - ٢٨٨ .

٣) عصر المماليك ونتاجه العلمي والأدبي للأستاذ محمود رزق سليم ط . المطبعة النموذجية بمصر القاهرة ص ١٨٢ .

تصرفاتهم ملغية الاّ إذا بيعوا في سوق العبيد ، واعتقوا ، ووضع ثمنهم في بيت المال[1] .

ومما يبرهن على قوة شخصيته ، وعلى أنه كان لا يخاف في الله لومة لائم ، ما قاله الإمام السيوطي في كتابه « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » « وكان الظاهر منقمعاً تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، لا يستطيع أن يخرج عن أمره ، حتى أنه قال لمّا مات الشيخ : « ما استقر ملكي إلاّ الآن »[2] .

ومنهم الإمام النووي[3] أيضاً صاحب المواقف الرائعة حيث كان له مع الظاهر « بيبرس » نفسه موقف مشهور حين أراد أن ينتزع الفتوى منه لأخذ المال من الرّعية ليستنصر به على الأعداء ، فامتنع عن ذلك حتى أجبره على بيع كل ما عند جواريه من ذهب[4] .

---

١) أنظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي . ط. المطبعة الحسينية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ج ٥ ص ٨٤ ـ ٨٥ .

٢) أنظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ، ط. المطبعة الحسينية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ج ٢ ص ٧١ .

٣) يحي بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم ، محيي الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي العلامة ، شيخ المذهب وكبير الفقهاء في زمانه ولد بنوى سنة ٦٣١ هـ . وقدم دمشق سنة ٦٤٩ هـ .

وقد حفظ القرآن ، ثم اعتنى بالتصنيف جمع شيئاً كثيراً منها ما أكمله ومنها ما لم يكمله ، فمماّ كمل : شرح مسلم ، والروضة أو المنهاج ، والرياض ، والأفكار ، والتبيان ، وتحرير التنبيه وتصحيحه ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وطبقات الفقهاء وغير ذلك .

ومن الذي لم يكمله :

شرح المهذب الذي اسما المجموع وصل فيه إلى كتاب الربا . . . . وقد باشر تدريس الإقبالية نيابة عن ابن خلكان ، وكذلك ناب في الفلكية والركنية ، وولي مشيخة دار الحديث بالأشرفية .

توفي ليلة أربع وعشرين من رجب من عام ٦٧٦ هـ . رحمه الله رحمه واسعة . (البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٦٤ . ط. مطبعة المتوسط . بيروت / لبنان) . .

وانظر في ترجمته :

ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥ المجلد الثالث ص ٣٥٤ / ٣٥٦ ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٧ / ص ٦٧٦ ـ طبقات الشافعية للسبكي ج ٥/ ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤ .

٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ج ٢ ص ٧٩ ـ ٨٠ .

لكن لا يخلو الحال من وجود بعض الفِئـات من الناس سواء أكانوا علماء أم غير علماء ، يتزلفون للحكام بحكم الضرورة ، وتحت وطأة الفقر والحاجة ، أو لضعف النفس والأخلاق .

كهذا العالم الذي عاصر ابن تيمية حيث يقول عنه السيوطي : « ومن غريب ما رأيت على كراريس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ « جمال الدين بن مالك »[1] .

صورة قصّة ، رفعها الفقير إلى رحمة ربه محمد بن مالك ، يقبل الأرض ، وينهي إلى السلطان أيد الله جنوده ، وأيّد سعوده ، إنه أعرف أهل زمانه بعلوم القراءات ، والنحو واللغة ، وفنون الأدب ، وأمله أن يعينه سيد السلاطين ومبيد الشياطين ، خلّد الله ملكه على ما هو بصدده ، من إفادة المستفيدين والمسترشدين بصدقة تكفيه ، همّ عياله ، وتغنيه عن التّسبّب في صلاح حاله . . . إلخ[2] .

ونخلص إلى أن حياة المسلمين الإجتماعية في ذلك العصر كان يغمرها الانحطاط ، ويحيط بها الخراب والفساد ، لدرجة أنّها أصبحت بحاجة إلى إصلاح شامل على يد مخلص جريء ، بصير بمواطن الداء ، وخبير بتركيب الدواء ،

---

١) جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائي الحياني النحوي ، صاحب التصانيف الكثيرة ، ولد بحيان بالأندلس سنة ٦٠٠ هـ . وأقام بحلب مدة ، ثم بدمشق ، وكان كثير الإجتماع بابن خلكان ، وأثنى عليه غير واحد ، روى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة . ومن تصانيفه الكبيرة :
- إكمال الاعلام بمثلث الكلام ، والألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة ، ومختصر الشاطبية في القراءات .
توفي في ١٢ رمضان سنة ٦٧٢ هـ .
أنظر في ترجمته : البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٥٤ ، طبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ٢٨ فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

٢) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي ، ج ٢ ص ٦٧ .

وكيفية العلاج ، ليجدّد دينها ، ويعيدها إلى حظيرة الإسلام الأولى ويكون ممن عناهم النبيﷺ بقوله : « إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدّد لهذه الأمّة أمر دينها »[1] .

---

١) أخرجه أبو داود والحاكم وغيرهما بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للمحدّث محمد ناصر الدين الألباني برقم (٦٠١) .
وصحيح الجامع الصغير وزياداته رقم (١٨٧٠) .

ثانياً : الحالة العلمية وحركة التفسير .

من المسلم به أنّ العلم لا ينمو ولا يترعرع إلاّ في ظل الهدوء والاستقرار ، ونظراً لعدم توفّر هذين العاملين في عصر ابن تيمية ، فقد سيطر الجمود والتقليد على الحركة العلمية .

وكان قصارى جهد العالم أن يقتصر على ما ورد ، وما وجده في كتب ومؤلفات السابقين عليه ، دون بحث أو مناقشة ليولّد الأفكار والآراء .

علماً بأنه كانت هناك في هذا العصر موسوعات ضخمة في الفقه والتفسير والتاريخ وأخبار الرجال وغير ذلك . كالمغني لابن قدامة[1] المتوفى سنة ٦٢٠ هـ . والمجموع للنووي[2] المتوفى سنة ٦٧٧ هـ .

---

١) موفق الدين ابن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر شيخ الإسلام ، مصنف المغني في المذهب (أبو محمد المقدسي) امام عالم بارع . لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه ولد (بجماعيل) سنة ٥٤١ هـ . وقدم مع أهله إلى دمشق سنة ٦١١ هـ .
وقرأ القرآن وسمع الحديث الكثير وتفقه بغداد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل من تصانيفه : البرهان في علوم القرآن ، التبين في انساب القرشيين ، الروضة في الأصول . وتوفي سنة ٦٢٠ هـ .
أنظر في ترجمته : البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٩٦ شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج ٥ ص ٨٨ ـ ٩٢ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١ ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

٢) سبق ترجمته ص ٢٩ .

وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي[1] المتوفى سنة ٥٩٥ هـ .
وأصول الأحكام للآمدي[2] المتوفى سنة ٦٣١ هـ .
وتفسير الزمخشري للزمخشري[3] المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .
وتفسير الفخر الرازي لفخر الدين الرازي[4] المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . إلى

---

١) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ويعرف بابن رشد الهندي (أبو الوليد) عالم ، حكيم ، مشارك في الفقه والطب والمنطق والعلوم الرياضية والإلهية ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ . ونشأ بها ودرس الفقه والاصول وعلم الكلام من تصانيفه : بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه ، ومختصر المستصفى في أصول الفقه . أنظر في ترجمته :
- معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٨ ص ٣١٣ .
- شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٠ .
- الوافي بالوفيات للصفدي ج ٢ ص ١١٤ - ١١٥

٢) أبو الحسن علي بن أبي علي ابن محمد بن سالم الثعلبي الشيخ سيف الدين الآمدي ، ثم الحموي ثم الدمشقي صاحب المصنفات في الأصلين وغير ذلك . ومن مصنفاته ؛ ابكار الأفكار في الكلام . دقائق الحقائق في الحكمة ، احكام الأحكام في أصول الفقه . وكان حنبلي المذهب ، ثم صار شافعياً أصولياً وتوفي وله من العمر ٨٠ عاماً في سنة ٦٣١ هـ .
أنظر ترجمته : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ / ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .
الدارس في تاريخ المدارس للنّعيمي ج ١ / ص ٣٩٢ .

٣) محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري صاحب الكشاف في التفسير ، والمفصل في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، وقد سمع الحديث ، وطاف بالبلاد وجاور مكة مدة ، وكان يظهر مذهب الإعتزال ، ويصرح به في تفسيره ويناظر عليه ، وكانت وفاته بخوارزم سنة ٥٣٨ هـ . عن ست وسبعين سنة .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٢٣٤ ط. الأصمعي بالرياض .
وانظر في ترجمته : شذرات الذهب ج ص ١١٨ - ١٢١ .
تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ ص ٧٦ .

٤) المتكلم صاحب التفسير والتصانيف ويعرف بابن خطيب الري واسمه محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري ، أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار له نحو من مئتي مصنف .
منها مفاتيح الغيب ، والمباحث الشرقية ،والأربعين ، وله أصول الفقه والمحصول وغيره ، وصنف ترجمة للشافعي في مجلد مفيد ولد سنة ٥٤٣ هـ . وتوفي سنة ٦٠٦ هـ .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٥٣ - ٥٤ ط. المتوسط/ بيروت وانظر في ترجمته :
الوافي بالوفيات للصفدي ج ٤ ص ٢٤٨ - ٢٥٩ .
شذرات الذهب ج ٥ ص ٢١ - ٢٢ .
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ٦ ص ١٩٧ - ١٩٨ .

غيرها من الموسوعات والكتب الكبيرة . ولقد وجد في ذلك العصر علماء أفذاذ لهم دورهم في الحياة العلمية بوجه خاص كالإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . والحافظ ابن عساكر[١] المتوفى سنة ٦٠٠ هـ . ، وعز الدين بن الأثير[٢] صاحب الكامل في التاريخ ، ولمّا جاء المماليك إلى الحكم ، وكانوا طلاب ملك ودولة وأيقنوا أن ذلك لن يتمّ إلاّ بتكريم العلماء ، وتشجيع العلم ، وحتى يثبتوا حكمهم ، ويوطدوا دولتهم ، أظهروا للعامّة أنهم حماة الدين وحراس العقيدة .

فبرهنوا على ذلك بإنشاء المدارس والمساجد في مصر ، لتكون دوراً للعلم ، ومقراً للعلماء .

فمن هذه المساجد التي اهتموا بها :

١ ـ جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه :

وهو أول مسجد بني بمصر القديمة بعد الفتح الإسلامي أنشأه عمرو بن العاص ، ولكن المماليك اهتموا به وأوجدوا فيه الزوايا ، وأعادوا إليه حيويته ونشاطه .

فكان فيه زاوية الشافعي ، يدرس فيها الفقه . وزاوية الصاحبية التي تنسب إلى الصاحب تاج الدين ، والزاوية الكمالية ، والتاجية ، إلى آخر تلك الزوايا[٣] .

---

١) الحافظ ابن الحافظ أبو القاسم علي بن هبة الله بن عساكر ولد سنة ٥٢٧ هـ . أسمعه أبوه الكثير ، وشارك أباه في أكثر مشايخه ، وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه ، وكتب الكثير وأسمع وصنف كتباً عدة منها ذيل على تاريخ دمشق لأبيه لم يكمل ، الجامع المستقصي في فضائل المسجد الأقصى ، فضائل المدينة . توفي سنة ٦٠٠ هـ . ، في الثامن من شهر صفر ودفن بعد العصر على أبيه .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ / ص ٣٧ ـ ط. مطبعة المتوسط/ بيروت
وانظر في ترجمته : تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ / ص ١٥٥ ـ ١٥٧
الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ج ١ / ص ١٠١ ـ ١٠٣

٢) سبقت الترجمة عنه ص ١٨ .

٣) الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك ، ج ٤ ص ٧ .

٢ ـ جامع أحمد بن طولون :

بناه الأمير أحمد بن طولون سنة ٦٦٥ هـ . وبعد أن أتمه كان الناس يصلون فيه الجمعة ، ثم يخرجون بعد الصلاة إلى مجلس الربيع بن سليمان ليكتبوا العلم .

٣ ـ جامع الأزهر :

أنشأه القائد جوهر الصقلي ، فابتدأ في بنائه سنة ٣٥٩ هـ ، وأتمه سنة ٣٦١ هـ .

وهو بلا ريب قمة الجوامع ، ومنارة العالم الإسلامي ، وسيبقى مصدراً للعلم والمعرفة ، وأهم موطن للدفاع عن الإسلام وعقائد المسلمين .

٤ ـ جامع الحاكم :

ابتدأ في إنشائه أمير المؤمنين العزيز بالله ، المعز لدين الله ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ . وفي سنة ٧٠٣ أصلحه « بيبرس » ورتب فيه دروساً أربعة « في الفقه على المذاهب الأربعة » ودرساً « لاقراء الحديث النبوي الشريف »[١] .

ومن المدارس التي اهتموا بها أيضاً في مصر فأهمها على سبيل التعداد :

١ ـ المدرسة الناصرية[٢] .
٢ ـ المدرسة الكاملية .
٣ ـ المدرسة الظاهرية[٣] .

---

١) الخطط للمقريزي ج ٤ ص ٥٧ .
٢) أسسها السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب سنة ٥٧٢ هـ .
٣) تنسب إلى الظاهر بيبرس وأتم إنشاءها سنة ٦٦٢ هـ .

٤ ـ المدرسة المنصورية[١] .

٥ ـ المدرسة الناصرية[٢] .

وأمّا مدارس الشام فأهمُّها :

١ ـ المدرسة الظاهرية[٣] .

وقد ذكر النعيمي في كتابه « الدارس في تاريخ المدارس » دوراً كثيرة لتدريس القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وذكر أيضاً مدارس للحنفيّة والشافعيّة وأخرى للمالكية والحنابلة[٤] .

« وفي دمشق وحدها وجد في القرنين السادس والسابع نحو تسعين مدرسة للفقه بمذاهبه المختلفة ، وللتفسير والحديث ، وغيرهما من العلوم الإسلامية ، وعلم اللغة العربية ، وكان منها أربعة للطب وحده ، إذ كان يدرس نظرياً في المدارس ، وعلمياً في المارستانات ، وكان لمدينة « حلب » حظها الموفور من هذه المدارس »[٥] .

---

١) وتنسب إلى الملك منصور بن قلاوون .

٢) وتنسب إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون أتم بناءها سنة ٧٠٣ هـ .

٣) هناك مدرستان باسم الظاهرية :

الأولى : باسم الظاهرية البرانية خارج باب النصر ، بناها الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صاحب صلاح الدين بن أيوب وقد درّس فيها :

شمس الدين محمد أبو عبد الله الشيباني، وابن قاضي عجلون المتوفى سنة ٨٧٦ هـ .

والثانية : باسم الظاهرية الجوانية داخل باب الفرج وهي اليوم مقر المجمع العلمي بدمشق . بوشر في بنائها سنة ٦٧٦ هـ . وأكمل بناءها الظاهر بيبرس بعد أن اشترى دار العقيقي صاحب الحمام بباب البريد ليبنيها مدرسة ودار حديث . وممن درّس بها : الشيخ رشيد الفارقي المتوفى سنة ٦٨٩ هـ . والشيخ صفي الدين الهندي وقاضي القضاة كمال الدين بن الزملكاني

أنظر الدارس في تاريخ المدارس للنّعيمي ج ١ ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠ .

٤) أنظر المرجع المذكور ج ١ ص ١٩ ـ ٥١ ط . مطبعة المجمع العلمي بدمشق .

٥) ابن تيمية للأستاذ محمد يوسف موسى ـ سلسلة أعلام العرب ـ ط. المؤسسة المصرية للطباعة والنشر ، ص ٦٢

فمن خلال هذا العرض السريع ، يتبين لنا أنّ « هذا العصر كان عصراً مجيداً » من ناحية الثروة العلمية التي جمعت فيه في مختلف العلوم العربية ، والإسلامية والعلمية ، كما يمكننا أن نسميه عصر المؤلفات المطوّلة ، والموسوعات العلمية .

إلاّ أنه لم يكن فيه لأصالة الفكر والتجديد والابتكار في الآراء حظ كبير يتميّز به ، ويتناسب ولو إلى حدّ ما مع كثرة ما جمع فيه من علوم ومعارف اللَّهُمَّ إلاّ ما كان لدى نفر قليل ، وعلى رأسهم الشيخ ابن تيمية »[1] .

١) ابن تيمية للدكتور محمد يوسف موسى ـ سلسلة أعلام العرب ـ ص ٦٢ بتصرف يسير .

ثالثاً : الحالة الدينية والخصومات الفقهية .

كان السائد في دمشق **مذهب الأشعري** وكان ينظر إليه على أنه السنّة ، وقد قوي هذا المذهب باعتناق صلاح الدين له والدعوة إليه .

وكان الأشعريون يسيرون إلى حد ما في فلك الفلاسفة ، والمناطقة في إثبات عقائدهم وهذا منهج لا يرضى عنه الحنابلة في بدايته ، وإن كانوا يسلّمون بنتائجه في النهاية .

مما جعلهم يكوّنون معسكراً مستقلاً ، يناهض معسكر الاشاعرة والماتريدية ، « ولم تكن العلاقات تسير على نحو مرض خصوصاً بين المتطرّفين من الجانبين، لذلك لم يتوان الأشاعرة في استعمال سلاح التكفير والتفسيق في شتى المناسبات ، حتى بلغ الأمر حدّ الفصل للحنابلة كفرقة تلزّ في قرن مع النصارى واليهود والباطنية ، وقد كتب منشىء المدرسة الرواحية في دمشق في حجّة وقفيّته لهذه المدرسة نصاً يمنع دخول اليهود والنصارى والحنابلة لهذه المدرسة »[1] .

ونتيجة لذلك كان للحنابلة مدارسهم الخاصّة في الحديث ، مثل المدرسة الجوزية ، والسكرية التى تخرج فيها الشيخ ابن تيمية على يد أكابر العلماء كالشيخ ابن دقيق العيد[2] المتوفى سنة ٧٠٢ هـ . والزملكاني[3] المتوفى سنة ٧٢٧ هـ .

---

١) ابن تيمية لعبد العزيز المراغي ص ٤٢ ط. دار أحياء الكتب العربية (الحلبي وشركاه) .

٢) سبقت ترجمته ص ٢٢ .

٣) هو الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة كمال الدين جمال المناظرين أبو المعالي محمد بن أبي الحسن بن علي بن عبد الواحد ابن خطيب زملكا أبي محمد عبد الكريم بن خلف ابن سلطان ابن خليل ابن =

فازدهرت بذلك دراسة الحديث وعلومه ، وبدأ الناس يدرسون الصحاح من كتب الحديث ، ويدرسون كتب الحديث ، ويدرسون كتب الجرح والتعديل .

ولا شك أنّ هذه المدارس قد طبعت الحياة العامّة بالمحافظة وكراهية الابتداع ، والتمسك بآراء السلف الصالح ، بعدما فرض الايوبيون مذهب الأشاعرة ، ومذاهب الأئمة المعترف بهم فرضاً على جماعة المسلمين[1] .

وأضْفت على الدراسات العلمية التحيز الفكري والتعصب المذهبي المَمْقوت .

فلكل رأي في العقيدة له من يتمسك به ويدافع عنه من المتأخرين وينظر إليه على أنه الحق الذي لا شك فيه ، والآراء الأخرى هي الباطل الذي يشك فيه .

وكل مذهب فقهي له أتباع ينصرونه ، ويؤيدونه ويرون أنه وحده الصواب .

وإن تساهلوا قالوا : رأي امامنا صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب .

ولقد سرى هذا التعصب الفكري لهذه الأجيال اللاحقة من القرن الرابع

= حسن بن سعد بن نبهان الأنصاري الشافعي ابن الزملكاني ولد سنة ٦٦٦ هـ . وسمع الكثير على الشيخ تاج الدين الفزاري وفي الأصول على القاضي بهاء الدين ابن الزكي ، وفي النحو على بدر الدين ابن مالك وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه . وتولى مناظرة ابن تيمية غير مرة ومع ذلك كان يعترف بمكانته ولا ينكر فضله وبره . وتوفي سنة ٧٢٧ هـ .

- الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ . ص ١٠٣ ط. المكتب الإسلامي / بيروت . سنة ١٩٨١ م تحقيق الأستاذ زهير الشاويش.

- البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١١٤ ط. مطبعة المتوسط/ بيروت .

١) أنظر ابن تيمية لعبد العزيز المراغي ص ٤١ - ٤٢ . ط . دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي وشركاه .

الهجري والذي حفل بمشادات كلامية ومذهبية بين الشافعية والحنفية ، والحنابلة ، والأشعرية والماتريدية أو بينهما مع المعتزلة فانتقل ذلك إليهم في بطون الكتب ، وكثيراً ما تجد كتاباً تعد صفحاته بالمئات ، في شرح مسألة ونقل أوجه المتناظـرين فيها ، ونهاية الأمر تعصب لواحد منهم ، وهذا ما كان ابن تيمية ينكره ، حيث أنهم يتبعون الرجال على أسمائهم ، وهو يتبع الدليل القوي في نظره ، ولا يهمه القائل بجانب القول الذي هو مدار بحثه ، فإن استقام مع منهجه في الاستدلال اتبعه وإن كان غير ذلك رده[1] .

كما أنه كانت هناك فرق كثيرة للصوفية منتشرة في البلاد الإسلامية كالرفاعية في دمشق وحلب ، والجيلانية في العراق ، والشاذلية في مصر كلها ، وكانت لهم جولات فيما بينهم أو مع الفقهاء والمتكلمين[2] .

وكانوا يتمتعون بمنزلة خاصّة عند الحكام الذين يرضون عن هذا الصنف من النـاس ، حيث لا يهمهـم إلاّ إصـلاح ذاتهـم ، وتطهيرهـا ، والرقــي بهــا إلى الـدرجـات العلا ، ويغفلون عن الجانب الآخر الذي هو الأهم ، والذي ناضل من أجله أئمتهم وساداتهم رحمهم الله تعالى .

ويروى أنّ « نور الدين زنكي » رحمه الله لما وقف في وجه الصليبيين قال له أصحابه : « إنّ في بلادك إدرارات عظيمة للفقهاء والفقراء والصوفية والقرّاء ، فلو استعنت الآن بها لكان أمثل ، فغضب وقـال : « والله إنـي لا أرجـو النصر إلاّ بأولئك » فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ، كيف أقطـع صلات قوم يقاتلـون عني وأنا نائم في فراشي ، بسهام لا تخطىء ، وأصرفها إلى من يقاتل عني بسهام قد

---

١) أنظر ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله ص ١٥٦ . ط . دار الفكر العربي للنشر والتوزيع .
٢) نوابغ الفكر الإسلامي للأستاذ أنور الجندي ص ٣١٦ .

تخطىء وقد تصيب ، ثم إن هؤلاء القوم لهم نصيب في بيت المال أصرفه إليهم ، فكيف أعطيه لغيرهم »[1] .

وكان لابن تيمية وقفات عدّة ، ومساجلات كثيرة ، مع هؤلاء القـوم ، لما هاله ما ورد على ألسِنَةِ البعض منهم في مسألتي الحلول والإتحاد ووحدة الوجود التي نادى بها ابن عربى[2] المتوفى سنة ٦٣٨ هـ .

علماً بأن ابن تيمية لم يحكم على نهاية الرجل ، بل فوّض أمره إلى الله ، لكن لا بد له من منازلته ومناقشته ومناقشة كل من اعتقد هذا الاعتقاد ممَّن عايشه أو عاصره .

واشتدت وقفاته معهم خصوصاً عندما ثار على ممارساتهم في الشام ، وأخذ يفنّدها ، ويفضحها حتى قال أحدهم في غضب ، إنما تنفق أحوالنا عند غير هؤلاء القوم[3] .

ولقد ثاروا عليه بمصر ، وهمّوا بالإعتداء على شخصه ، ولكن لم يصلـوا إليه ، لدفاع أنصاره عنه . وبلغ بهم الأمر حتى أوغلوا صدر صديقه عليه الملك

---

١) ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى . ص ٢٠٦ نقلاً من كتاب الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي ، والمملوكي الأول للدكتور عبد اللطيف حمزة .

٢) محمد بن علي بن محمد ابن عربي ، أبو عبد الله الطائي الأندلسي ، طاف البلاد ، وأقام بمكة مدة ، وصنف فيها كتابه المسمى بالفتوحات المكية في نحو عشرين مجلـدا ، ولـه كتـاب يسمـى فصـوص الحكم ، وكتاب العبادلة ، وديوان شعر رائقا وله مصنفات أخرى كثيرة . ورحل إلى مصر والحجاز وبغداد والموصل وأنكر عليه أهل مصر آراءه ، فعمل بعضهم على اراقة دمـه وحبسـه ، فسعـى في خلاصه علي بن الفتح البجائي فنجا واستقر في دمشق وتوفي بها في ٢٢ ربيع الثاني سنة ٦٣٨ هـ . وكانت له جنازة حسنة .

البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ١٤٩ ـ ط . مطبعة المتوسط .

وانظر في ترجمته :

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢/ ص ٢٤١ ـ ٢٤٣ . شذرات الذهب لابـن العماد الحنبلي ج ٥ / ص ١٩٠ ـ ٢٠٢ .

٣) أنظر العقود الدرية ص ١٩٥ ـ ط. انصار السنة المحمدية القاهرة .

الناصر ، مما اضطر إلى الموافقة على اعتقاله بالقلعة فترة وجيزة ، ثم أخرجه .

هذه هي الحالة العامّة التي صاحبت ظهور ابن تيمية ، وكما ترى فالحاجة ماسّة إلى عالم جريء ليتصدّى ، لهذه الأفكار ، والمعتقدات الزائفة وليعود بالناس إلى التوحيد الصافي ، وليخلص الناس من هذه الجاهلية التي ارتموا في أحضانها .

ويكون ذا علم دقيق حصل عليه مباشرة من الكتاب والسنة ، وحياة الصحابة الكرام ، لا من كتب المتأخرين ، ويكون صاحب نهج واضح المعالم معتمداً فيه على الأصلين العظيمين الكتاب والسنة ويكون ذا اطلاع كامل على أحوال القرون الأولى ، والمام بتاريخ اليهود والنصارى وبمراحل انحرافهم ، لكي يستطيع بعون الله أن يعيد المسلمين إلى تعاليم القرآن الكريم ، وعقيدة الصدر الأول ، ويراهم مُنْتَهِجِينَ طريق الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، واتباعهم شبراً بشبر[1] .

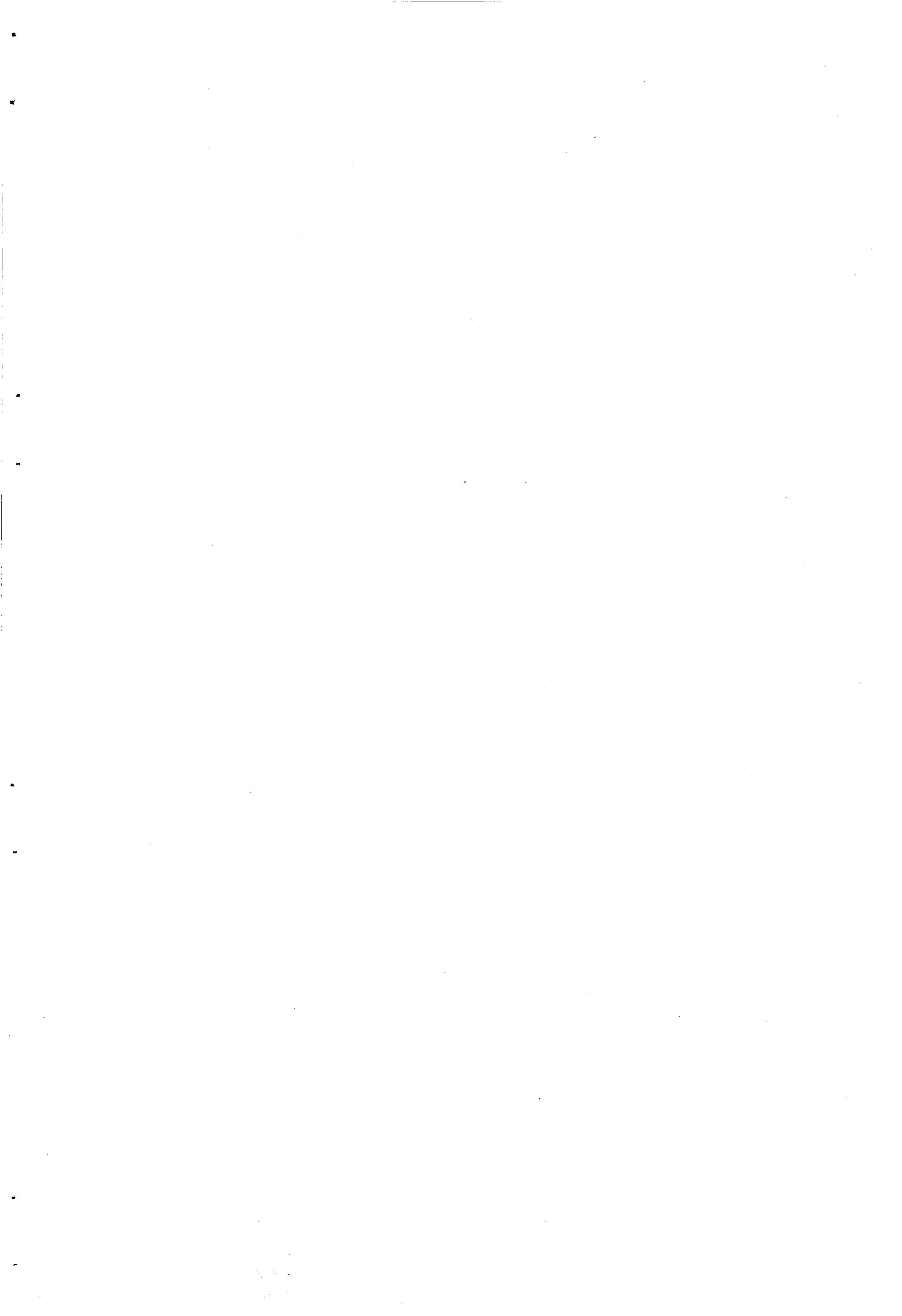
وهذا ما هيأ الله تعالى له ابن تيمية على ما سنفصله في الباب التالي إن شاء الله تعالى .

---

١) أنظر رجال الفكر والدعوة في الإسلام . الجزء الثاني ، خاص بابن تيمية لأبي الحسن الندوي .ط. دار القلم / الكويت ، ص ١٤ .

البَابُ الأوّل

حَيَاتُه وَثقَافَتُه



الفصل الأول

حياته

اسمه ونسبه :

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي الحنبلي[1] . وأبوه الشيخ عبد الحليم يدعى بالحرّاني[2] .

كما ينسب ابن تيمية الصغير هذه النسبة[3] « وتيمية » لقب لجدّه الأعلى ، ثم أصبحت علما للحفيد رحمه الله تعالى .

واختلف في سبب تسميته هذه على ثلاثة أقوال :

---

١) طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين الداوودي المتوفى سنة ٩٤٥ هـ . ط . مكتبة وهبة عابدين ص ٤٥ وانظر في ترجمته :
١ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٦ ص ٨٠ ـ ٨١
٢ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .
٣ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي ج ٩ ص ٢٧١ .
٤ ـ فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ١ ص ٣٥ ـ ٤٥ .
٥ ـ الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي .
٦ ـ العقود الدرية من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي .
٧ ـ الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي .
٨ ـ ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد كرد علي (كنوز الأجداد) .
٩ ـ ابن تيمية لعبد العزيز المراغي ـ ضمن مجموعة أعلام الإسلام .
١٠ ـ ابن تيمية حياته وعصره ومنهجه للشيخ محمد أبو زهرة .

٢) والنسبة حرناني ، وهي نسبة سماعية ، قال : صاحب القاموس المحيط والنسبة حرناني ولا تقل حرّاني ، وإن كان قياساً . (ج ٣ ص ٢١٥) .

٣) أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية . ص ٦٦٠ .

أولاً : إن جده « محمد بن الخضر » ذهب إلى الحج ، وله امرأة حامل ، ومرّ على درب تيماء ، فرأى هناك جارية طفلة ، وقد خرجت من خباء ، فلما رجع إلى حرّان ، وجد امرأته ، قد ولدت بنتاً فلماّ رآها قال : يا تيميّة ، يا تيميّة ، فلقب بذلك[1] .

ثانياً : وقال ابن النّجار ؛ ذكر لنا أن جدّه « محمد بن الخضر » كانت أمه تسمى تيمية ، وكانت واعظة فنسب إليها ، وعرف بها[2] .

ثالثاً : وقيل إنه سمي بهذا الإسم نسبة إلى تيماء ، وهو موضع قرب تبوك[3] .

والمرجَّح من هذه الأقوال ـ والله أعلم ـ « السبب الأول » لأنه وجيه ومعقول ، وعادة ما يسمى الرجل باسم عائلته ويعرف بذلك حتى إنه ليكاد ينسى اسمه الأول .

أما السبب الثاني : فلم يذكر المؤرخون لسيرته أو لجده أنّ اسم أمه كان تيمية .

ومع ذلك فهو قريب من الأول ، حيث إن كل واحدة منهن هي جدة له ، علت أم دنت .

والسبب الثالث : بعيد ، ولا علاقة للمكان بابن تيمية ، إلاّ أنه قد يكون مرّ به في طريقه إلى الحج[4] .

---

١) أنظر العقود الدرية من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي ط . دار الكتاب العربي/ بيروت ص : ١٨
وانظر : وفيات الأعيان لابن خلّكان في ترجمة جدّه محمد بن الخضر ترجمة رقم ٦٢٩ .

٢) أنظر : حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لعلامة الشام محمد بهجة البيطار ط . المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ص : ٨

وانظر: شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين نصوص مخطوطة ومطبوعة جمعها وقدم لها الدكتور صلاح الدين المنجد ط . دار الكتاب الجديد / بيروت ص: ٥٦ .

٣) معالم الأعلام في بلاد العرب للأستاذ أحمد بن قدامة . ط . مطابع الغرباء بدمشق لصاحبها فؤاد صيداوي .

٤) واختلف الباحثون هل هو عربي النسب أم لا ؟ فيرى الشيخ أبو زهرة رحمه الله أن النسبة إلى البلد دون القبيلة تومىء إلى أنه ليس بعربي، لأن العرب يحتفظون بالأنساب (أسبوع الفقه الإسلامي =

أما والده فهو :

عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي ، شهاب الدين ، أبوالمَحَاسِنْ، والد الشيخ أحمد بن تيمية ، ولد بحران سنة ٦٢٧ هـ . وسمع من والده المجد وغيره ، وقرأ العلم على والده ، وتفنّن في الفضائل ، وأفتى ودرّس ، وصنّف ، وصار بعد أبيه شيخ حرّان وخطيبها وحاكمها وكان كثير الفوائد ، وله اليد الطولى في الحساب والهيئة ديّنا متواضعاً ، حسن الأخلاق تفقه على يديه ابنه أبو العباس ، واخوته ، وكان قدومه إلى دمشق بأهله وأقاربه مهاجراً سنة ٦٦٧ هـ .

وقال عنه ابن كثير : « والد شيخنا العالم العلامة تقي الدين بن تيمية ، مفتي الفرق ، الفارق بين الفرق ، كانت له فضيلة حسنة ، ولديه فوائد كثيرة ، وكان له كرسي . بجامع دمشق يتكلم عليه عن ظهر قلبه ، ولي مشيخة دار الحديث السكرية . بالقصّاعين وبها كان مسكنه . ثم درّس ولده الشيخ بعده بها في السنة الآتية »[1] وتوفي في سنة ٦٧٢ هـ . ودفن في مقابر الصوفية بدمشق .

وجدّه [2] :

مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن علي بن تيمية

= ص ٦٦٠) . وعاد فأكد أنه كردي واستدل على ذلك بصفات يجمعها شخصه يتصف بها الأكراد كحدة الطبع ، وشدة الخلق (ابن تيمية للشيخ أبو زهرة ص ١٩) . ويرى الأستاذ زهير الشاويش في مقدمة كتاب (شرح حديث النزول لابن تيمية) ط . المكتب الإسلامي أنه عربي نمري وأشار إلى أنه مذكور في مصوّرة بديعة البيان لابن ناصر الدين .

والمرجح أنه عربي النسب من بني نمرة لأن ذلك منصوص عليه كما سبق . علماً بأن هذا الخلاف لن يقدم أو يؤخر شيئاً فالناس يتفاضلون بالتقوى ، وبأعمالهم وبما يقدمون لأمتهم ومجتمعاتهم من خير ﴿ إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ سورة الحجرات آية ١٣ .

ومثل ابن تيمية يتشرف بالانتساب إليه ، ولا يجعل للنسب ميزاناً بجانب الدين .

١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ، ص ٢٨٧ ، ط . المتوسط .

وانظر: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ج ١ ص ٧٤ ط. دمشق.

وانظر أيضاً : مختصر طبقات الحنابلة جمع جميل أديب أفندي الشطي ص ٥٢ .

٢) وجدته اسمها بدرة بنت فخر الدين محمد بن الخضر بن تيمية . وكانت كنيتها أم بدر ، توفيت سنة =

الحرّاني الحنبلي (مجد الدين أبو البركات) فقيه ، محدث مفسر أصولي نحوي ، مقرىء ، ولد بحران سنة ٥٩٠ هـ . وسمع من عمه الخطيب فخر الدين وغيره ، ثم ارتحل إلى بغداد وأقام بها سنين يشتغل في الفقه والعربية وغير ذلك وَقَالَ عنه أحد معاصريه : أُلينَ الفقه للشيخ مجد الدين كما ألين الحديد لداود عليه السلام[1] .

« وكان من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء ، وبيته مشهور بالعلم والدين والحديث وكان مشهوراً في حفظه للسنّة وسردها . وحفظ مذاهب الناس بلا كلفه .

وحكى البرهان المراغي : انه اجتمع بالشيخ المجد ، فأورد نكتة عليه ، فقال المجد : الجواب عنها من ستين وجهاً الأول كذا ، والثاني كذا والثالث كذا ، وسردها إلى آخرها ، ثم قال للبرهان : قد رضينا منك بإعادة الأجوبة فبخع وانبهر .

وكان المجد معدوم النظير في زمانه ، رأساً في الفقه وأصوله ، بارعاً في الحديث ومعانيه ، وله اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير .

ومن تصانيفه : أرجوزة في علم القراءات ، الأحكام الكبرى في عدّة مجلدات ، المحرّر في الفقه ، منتهى الغاية في شرح الهداية [2].

وتوفي في سنة ٦٥٢ هـ . بحرّان .

أما نسبه من جهة أمّه :

فهي ست المنعم بنت عبد الرحمن بن عبدوس الحرّانية ، ظلت على قيد الحياة حتى سنة ٧١٦ هـ . حتى رأت مجد ابنها يكتمل وقد صار المجاهد لإحياء

= ٦٥٢ هـ . قبل وفاة زوجها مجد الدين عبد السلام بن تيمية بيوم واحد .
أنظر : مختصر طبقات الحنابلة للشطي ص ٥٠ .
ـ طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٩ هـ . ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

١) مختصر طبقات الحنابلة جمع أديب أفندي الشطي .
وانظر : البداية لابن كثير ج ١٣ ص ١٧٧ ، ط. المتوسط./ لبنان.

٢) مختصر طبقات الحنابلة جمع أديب الشطي .

الشريعة ، وشجعته في جهاده ببرها وعطفها وحنانها ، وعندما ذهب إلى مصر كاتبها برسائل تفيض عطفاً وحناناً وحسناً ووفاء حتى يخفف عنهـا بعض آلامهـا ببعـده عنها .[1] .

ولقد تزوجت بعد أبيه وعمّرت أكثر من سبعين سنة وتوفيت بدمشق سنـة ٧١٦ هـ . ولم يعرف عن أمّها ، وزوجها عبد الرحمن بن علي عبدوس أنهما هاجرا من حرّان ، فقد تخلّف فيها أناس كثيرون[2] .

مولده ونشأته :

قال الشيخ **شمس الدين الذهبي** :[3] وفي هذه السنة (٦٦١ هـ .) ولـد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن أبـي القاسم بن تيمية الحرّاني بحرّان[4] **يوم الإثنين عاشر ربيع الأول** من سنة إحدى وستين وستمّاية[5] . وتوفي سنة ٧٢٨ هـ .

ويذكر بعضهم كصاحب **فوات الوفيات** أن مولده كان في **الثاني عشر** من

---

١) أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية ص ٦٦٠ وانظر أيضاً : ص ٨٣٢ من مقال النشأة العلمية عند ابن تيمية .

٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٦٩ ط . المتوسط .

٣) ستأتي ترجمته ص ٦٣ .

٤) حرّان : بلدة قديمة كانت من أهم مراكز الديانات القديمة ، وموطن الصابئة وتقـع شمالي شرق الجمهورية التركية ، وهي الآن بلدة عامرة بعد الخراب الذي أصابها عند احتلال التتار لها أيام رحيل آل تيمية وغيرهم عنها ، ومن يزعم أنه منسوب إلى حرّان العواميد كالمنجد وغيره فقد وهم ، فهذه شرقي دمشق وتسمى حران المرج وهذه قصبة ديار مضر في جزيرة ابن عمر .

هامش : كتاب الأعلام العَلِيَّة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية بقلم الأستاذ زهير الشاويش ط . المكتب الإسلامي / بيروت ط . الثالثة ص ١٦ .

٥) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٢٢٩

وانظر : العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد حامد الفقي ص ١٨ ط . دار الكتاب العربي / بيروت .

ـ الوافي بالوفيات لابن الصفدي ج ٧ ص ١٥ .

شهر ربيع الأول[1] ، وكما قيل لعله أراد أن يثبت بذلك موافقته مولده لمولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم تيمّناً بذلك ، وبأنّه سيُحْيِي سنته ويدافع عن شريعته إلى أن يموت .

وبعضهم أورد التاريخين في ترجمته كصاحب العقود الدرية[2] ، والمرجَّح أنه ولد في العاشر من شهر ربيع الأول لذكر هذا التاريخ ـ من قِبَل أكثر من تَرجَم وأرّخَ لَه .

وعلى كل فالفارق يومان ، وهذا لا يقدم ولا يؤخر شيئاً . إلا من باب الوقوف على حقيقة الأمر علمياً .

وكان والده عبد الحليم وجده مجد الدين عبد السلام من العلماء البارزين ، والعاملين ولم يتخلوا عما عندهم من الكتب حتى في احلك الظروف وأحرج الأوقات فعندما هاجروا إلى دمشق من جور التتار سنة ٦٦٧ هـ . ساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم وجود الدواب فكاد العدو يلحق بهم ، ففزعوا أشد الفزع ، وتسرب الخوف إلى نفوسهم ، وطرأ عطل على العجلة فوقفت فابتهلوا إلى الله تعالى ، واستغاثوا به فنجوا »[3] .

وكانا من أعيان المذهب الحنبلي ، وعلى يديهما تفقه الشيخ أحمد بن تيمية ، كما مرّ سابقاً .

وما إن استقر المقام بعائلة الشيخ في دمشق حتى انصرف الشيخ تقي الدين إلى تحصيل العلم ، ولم لا . . وهو من بيت عريق اشتهر بهذا الأمر حتى أصبح عَلماً عليه . فعني بدراسة الحديث وعلومه ، ونسخ جملة منه وتعلم الخطّ

---

١) فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ط . دار صادر بيروت تحقيق د . إحسان عباس ج ١ ، ص ٣٥ ـ ٤٥ (ترجمة ابن تيمية) .
٢) ص ١٨ ط . بيروت دار الكتاب العربي .
٣) فوات الوفيات . (ترجمة ابن تيمية) ص ٣٥ ـ ٤٥ .

والحساب ، وحفظ القرآن الكريم ، ثم أقبل على دراسة الفقه ، وقرأ العربية أياماً على يد ابن عبد القوي[1] ، وفهمها ، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه[2] حتى فهمه وبرع فيه .

ثم أقبل على التفسير إقبالاً كلياً ، حتى سبق فيه وأحكم أصول الفقه ، كل هذا وهو ابن بضع عشرة سنة فانبهر العلماء من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه وقوة حافظته وإدراكه ، وكان يحضر المجالس في صغره ، فيناظر ويفحم الكبار ، ويأتي بما يتعجبون له .

وأفتى وله أقل من تسع عشرة سنة ، وبعد صيته في العلم ، فطبق ذكره الآفاق[3] .

وذلك لأنه صرف جلّ وقته في طلب العلم والمعرفة وآثره على أية لذة عاجلة

---

١) محمد بن عبد القوي بن بدران بن عبد الله المقدسي المرداوي (شمس الدين أبو عبد الله) فقيه ، محدث ، نحوي ، ناظم ، ولد بمردي من قرى نابلس ، وأفتى ، وصنف ، وتوفي في دمشق سنة ٦٩٩ هـ . ودفن بسفح قاسيون من آثاره : القصيدة الدالية في الآداب الشرعية ، فجمع البحرين لم يتمه ، المنتقى في شرح العمدة لابن مالك في النحو ، وكتاب في طبقات الأصحاب .
معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ١١٠ ص ١٨٥ .
وانظر : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥ / ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .
ـ الاعلام للزركلي ج ٧ / ص ٨٣ .
ـ الوافي بالوفيات ج ٣ / ص ٢٧٨ .

٢) عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (أبو بشر) أديب ، نحوي أخذ النحو والأدب عن الخَليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب . وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر . وورد بغداد ، وناظر بها ، الكسائي . وتعصبوا عليه ، وجعلوا للعرب جعلاً حتى وافقو على خلافه . من آثاره : كتاب سيبويه في النحو .
معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٨ / ص ١٠ ط . دار احياء التراث / بيروت .
وانظر : النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢ / ص ٩٩ ـ ١٠٠ .
وفيات الأعيان ١ / ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

٣) أنظر الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية الطبعة الثالثة ط . المكتب الإسلامي ص ١٨ ـ ٢٢ .
والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ج ١ ص ٧٦ ط . دمشق .
وتاريخ ابن الوردي ج ٢ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ط . المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٩٦٩ م .
وتاريخ ابن كثير ج ١٤ ص ١٣٢ ـ ١٤١ ط . المتوسط .

فانية ، فلم يله كما يلهو الصبيان ، « فقد ورد ان أباه وأخاه وجماعة من أهله وآخرين ممن يلوذون بظله سألوه أن يروح معهم يوم سبت ليتفرج ، فهرب منهم ولا تفرّج ، فلما عادوا آخر النهار لاموه على تخلفه وتركه لاتباعهم .

فقال : أنتم ما تزيّد لكم شيء ولا تجدّد . وأنا حفظت في غيبتكم هذا المجلد وكان ذلك الكتاب « جَنّةُ المَنَاظِرِ وَجُنَّةُ المُنَاظِرِ » وهو مجلد صغير ، وأمره شهير ، لا جرم أنه كان في أرض العلم حارثاً وهو همّام[١] . وكان من الأذكياء النابهين فيذكر أن محمد بن أبي بكر السكاكيني[٢] عمل أبياتاً على لسان ذمّي[٣] في انكار القدر .

وأولها :

أيا علماءَ الدينِ ذمِّي دينكمْ	تَحيَّر ، دلُّوه بأعظمِ حجةِ
وإذا ما قضى ربي بكفري بزعمكمْ	ولم يرضهَ مني فما وجه حيلتي

---

١) شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين ص ٥١ ط . دار الكتاب الجديد / بيروت . نقلا عن « أعيان العصر للصفدي » مخطوط أمانة خزينة - (١٢١٤) .
وانظر في غزارة علمه وقوة حافظته :
- الاعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٢٠ - ٢١ .
- العقود الدرية لابن عبد الهادي .
- الكواكب الدرية للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي .

٢) محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمذاني أبوه الصالحي المعروف بالسكاكيني ولد سنة ٦٣٥ هـ . بالصالحية ، وقرأ بالروايات ، واشتغل في مقدمة النحو ، وسمع الحديث ، فاضل ، يميل إلى مذهب المعتزلة ، ثم دخل في التشيع ، فقرأ على أبي صالح الحلي شيخ الشيعة ، وصحب عدنان ، وقرأ عليه أولاده ، وطلبه أمير المدينة المنورة الأمير منصور بن حماد ، فأقام عنده نحوا من سبع سنين ثم عاد إلى دمشق وقد ضعف ، وثقل سمعه .
من آثاره كتاب بخطه اسمه « الطرائف في معرفة الطوائف» .
وتوفي سنة ٧٢١ هـ . يوم الجمعة سادس عشر من صفر ، ودفن بسفح قاسيون .
تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) ج ١٤ ص ٨٧ ط . المتوسط .
وانظر : معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٩ ص ١١٦ ط . دار احياء التراث / بيروت - الاعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٨٠ .

٣) وذكر صاحب الأعلام أن اليهودي هو الذي سأل ابن تيمية واعترض بهذه الأبيات ، والصحيح ما ذكره صاحب الدرر الكامنة ابن حجر العسقلاني من أن الذي سأل هو محمد بن أبي بكر السكاكيني بهذه الأبيات ليمتحن بها علماء زمانه وهذا ما رجحه الأستاذ زهير الشاويش (أنظر هامش الأعلام العلية ط . الثالثة المكتب الإسلامي / بيروت ص ٢٧ .

فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه على الأخرى . وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم ، بمئة وتسعة عشر بيتاً[1] ، أولها :

سـؤالك يا هذا سؤال معاند   يخاصم رب العرش باري البرية[2]

ولقـد نصر السنّـة المحضـة ، والطريقـة السـلفيه ، واحتـج لهـا ببراهـين ومقدمات ، وأمور لم يسبق إليها ، فأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا ، وجسر هو عليها ، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه ، وبدعوه وناظروه ، وكابروه ، وهو ثابت لا يداهن ، ولا يحابي ، بل يقول الحق المرّ الذي أدّاه إليه اجتهاده .

وجرت بينه وبينهم حملات حربية ووقعات شامية ومصرية ، وكان معـظماً لحرمات الله تعالى ، دائم الابتهال كثير الاستعانة ، قوي التوكل ، ثابت الجأش ، وله أوراد وأذكار ، وله من الطرف الآخر محبّون من العلماء والصلحاء ، والأمراء ، والتجار ، والكبراء ، وسائر العامة ، تحبه[3] .

شيوخه :

درس ابن تيمية على شيوخ عصره مع أنه لم يرحل لطلب العلم أثناء الفترة الأولى من حياته ، كما هي السنة المتبعة في تحصيل العلوم الشرعية ، عنـد علماء المسلمين . وأمر الرحلة في طلب العلم ، مشهور ووقائعه أكثر من أن تحصى .

وإنما كان اعتماده على حضور حلقات العلم في دمشق حيث كانت تعقد في مختلف العلوم الشرعية من فقه وتفسير ، وحديث ، وغيرها .

---

١) وقد اختلف في عدد هذه الأبيات ففي الأعلام العلية للبزار أنها ١٨٤ بيتاً ، أنظر: ص ٢٧ ـ وفي الدرر الكامنة كما هو مشار أعلاه (١١٩) بيتاً ، وفي العقود الدرية (١٨٤) بيتاً . وكيف ما كان فإن هذا مستغرب عن رجل لم يشتغل بالشعر . كما يدل على مبلغ ذكائه رحمه الله تعالى .

٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ١٥٦ ط . دائرة المعارف العثمانية بالهند .

٣) تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ص ٤٠٨ ط . المطبعة الحيدرية بالنجف سنة ١٩٦٩ م .
ومن أراد المزيد من سيرته وأخباره فعليه بكتب التراجم .

ولم يقتصر على حضور هذه الحلقات وحدها بل ثقف نفسه ثقافة عالية بمطالعته بدقة وعناية كل ما وقعت يده عليه من كتب[1] .

ويروي ابن رجب الحنبلي في طبقات الحنابلة « أن ابن تيمية ، لما كان بالقاهرة أمكنه أن يحصي ألف كتاب من تواليف ابن الجوزي[2] وأن يطلع عليها »[3] .

ويبدو أنّه من الصعوبة بمكان حصر جميع الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن تيمية ، وسأقتصر على ذكر البعض منهم ويكفي ما قاله عنه الشيخ كمال الدين الزملكاني[4] المتوفى سنة ٧٣٧ هـ ، وهو من أشد المتعصبين عليه ، والقائمين ضده : وكان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله ، وكان الفقهاء من سائر الطوائف ، إذا جلسوا معه ، استفادوا منه في مذاهبهم ما لم يكونوا قد عرفوه قبل ذلك[5] .

---

١) أنظر فصل ثقافته من هذه الرسالة .

٢) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي ، التيمي ، البكري ، البغدادي ، الحنبلي المعروف بابن الجوزي ، ولد ببغداد سنة ٥١٠ هـ . محدث ، حافظ ، مفسر ، فقيه ، واعظ ، أديب ، مؤرخ ، قال عنه ابن كثير : تفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه ، ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله ، وفي فصاحته ، وبلاغته ، وعذوبته ، وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة ، برز في علوم كثيرة ، وانفرد بها عن غيره . وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنّف وكتب بيده نحواً من مئتي مجلّدة . وله من المصنفات الكثيرة لدرجة أن اعتذر ابن كثير عن تعدادها منها : كتابه المشهور بزاد المعاد ، وجامع المسانيد ، استوعب غالب مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي . وله كتاب المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم في عشرين مجلداً . والأحاديث الموضوعة ، والعلل المتناهية ، كان خيراً وديّناً ، متواضعاً ، متصدقاً توفي ليلة الجمعة في الثاني عشر من رمضان من سنة ٥٩٧ هـ . رحمه الله رحمة واسعة . البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٢٧ - ٢٨ . ط . المتوسط .
وانظر : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ط . دار أحياء التراث / بيروت ج ٥ ص ١٥٧ .
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٤ / ص ٣٢٩ - ٣٣١ .

٣) أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية ، ص ٨٣٨ .

٤) سبقت ترجمته ص ٣٨.

٥) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ . ط . المكتب الإسلامي / بيروت . ص ١٠٥ وانظر قادة الفكر الإسلامي عبر القرون لعبد الله سعيد الروشيد ط . الحلبي ترجمة ابن تيمية .

ومن شيوخه :

والده الشيخ عبد الحليم[1] بن عبد السلام ابن تيمية المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

وابن عبد الدايم[2] ، وعبد الرحمن بن محمد بن قدامه المقدسي[3] . وابن عبد القوي[4] ، وقاضي القضاة شمس الدين الحنفي[5] ، والشيخ شرف الدين

---

١) سبقت ترجمته ص ٤٧ .

٢) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة بن محمد بن ابراهيم بن أحمد المقدسي النابلسي (أبو العباس زين الدين) محدث ، مؤرخ ، أديب ، ولد بجبل نابلس ، وقد كتب ورحل إلى بلدان شتى . وكان فاضلاً يكتب سريعاً ، وقد كتب تاريخ ابن عساكر مرتين واختصره لنفسه أيضاً . وأضر في آخر عمره توفي بسفح قاسيون وبه دفن في عاشر رجب وقد جاوز التسعين عام ٦٦٨ هـ . رحمه الله تعالى .
ـ معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ١ ص ٢٦٣ ط. دار احياء التراث/ بيروت. ـ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٤٤ ط. المتوسط. ـ وانظر الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٢٨ ـ ٢٩ .

٣) عبد الرحمن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ، الأصل ، الصالحي ، الحنبلي ، (شمس الدين ـ أبو محمد ـ أبو الفرج) فقيه أصولي محدث ، خطيب ولد بسفح قاسيون في دمشق سنة ٥٩٧ هـ . وسمع من أبيه وابن طبرزد ، وأبي القاسم الحرستاني ، وجماعة وتفقه على عمه موفق الدين ، وروى عنه محي الدين النووي وأحمد بن عبد الدايم ، وتقي الدين بن تيمية والبرازلي ، والمزي ، وغيرهم ولي القضاء مدة بغير أجر مكرها واستمر فيه أكثر من ١٢ عاماً. ولم يتناول عليه معلوماً وقال عنه ابن كثير : وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة وأمانة في عصره مع هدي وسمت صالح حَسَنْ . وتوفي في دمشق سنة ٦٨٢ هـ .
من تصانيفه : ـ شرح المقنع لعمه موفق الدين في عشر مجلدات . ـ تسهيل المطالب في تحصيل المذاهب. وكلاهما في فروع الفقه الحنبلي.
وانظر: معجم المؤلفين لكحالة ج ٥ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٨٦ط. المتوسط/ لبنان. شذرات الذهب لابن العماد ج ٥ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٩ الإعلام للزركلي ج ٣/ ٣٢٩ .

٤) سبق ترجمته ص ٥١ .

٥) هو أحمد بن ابراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي شارح الهداية ، كان بارعاً في علوم شتى وولي القضاء بمصر مدة ثم عزل قبل موته بأيام توفي يوم الخميس في الثاني عشر من ربيع الآخر سنة ٧١٠ هـ . ودفن بقرب الإمام الشافعي رحمه الله وله اعتراضات على الشيخ ابن تيمية في علم الكلام . . . وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات ، وأبطل حجته .
وله شرح على الهداية سماه الغاية ولم يكمله وانتهى فيه إلى كتاب الايمان في ست مجلدات .
ـ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٥٢ ط. المتوسط. ـ معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ١ ص ١٤٠ الدرر الكامنة لابن حجر ج ١ ص ٩١ ـ ٩٢
وانظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ج ٩ ص ٢١٣ ـ ٢١٣ .

أحمد بن نعمة المقدسي[1] . وشمس الدين محمد بن عبد الرحيم المقدسي[2] ، والشيخ اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر[3] ويحي بن أبي منصور بن الصيرفي[4] ، والقاضي شمس الدين أبو محمد عبد الله[5] بن عطاء بن حسن الأذرعي الحنفي[5] .

١) شرف الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حمّاد المقدسي الشافعي ولد سنة ٦٢٢ هـ . وسمع الكثير وكتب وصنف فأجاد ، وأفاد ، وولي القضاء نيابه بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق أيضاً ودرّس بالشامية البرانية ودار الحديث النورية وأذن الإفتاء لجماعة ومنهم الشيخ ابن تيميّة ، وكان يفتخر بذلك ويفرح به ، ويقول أنا أذنت لابن تيمية بالإفتاء من مؤلفاته البديع في أصول الفقه . وتوفي في رمضان سنة ٦٩٤ هـ .
معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج ١ ص١٥٦ . البداية والنهاية ج ١٣ص٣٢٣ ط . المتوسط/ بيروت.
وانظر : طبقات الشافعية : ج ٥ ص ٧ .

٢) محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور بن عبد الرحمن السعدي المقدسي الحنبلي (شمس الدين أبو عبد الله) محدث ، فقيه ، ولد في ذي الحجة ، وتوفي في دمشق سنة ٦٨٨ هـ . في جمادى الأولى . معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٣ ص ٢٤٢ .

٣) الإمام تقي الدين أبو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن أبي اليسر التنوخي ولد سنة ٥٨٩ هـ . وكان صدراً كبيراً وكتب الإنشاء للناصر داود بن المعظم ، وتولى نظر المارستان النوري وغيره ، وكان مشكور السيرة ، وقد أثنى عليه غير واحد وقد جاوز الثمانين . ومن شعره .

خاب رجاء امرىء له امل   بغير رب السماء قد وصله
أيبتغي غيره اخو ثقة   وهو ببطن الأحشاء قد كفله

وانظر : الدرر الكامنة لابن حجر ج ١ ص ٩١ - ٩٢
وتوفي سنة ٦٧٢ هـ . البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٢٥٤ ط . المتوسط/ لبنان .
وانظر : شذرات الذهب ج ٦ ص ٣٣٣ ط . المكتب التجاري / بيروت .

٤) يحي بن أبي منصور بن أبي الفتح بن رافع بن علي بن ابراهيم الحرّاني الحنبلي (ابن الصيرفي) ويعرف أيضاً بابن الحبيش (جمال الدين) أبو زكرياء ، فقيه ، محدث ، ولد بحران سنة ٥٨٣ هـ . وسافر إلى الموصل وبغداد ، وافتى ، وناظر ، وتخرج على يديه جماعة وتوفي في دمشق في الرابع عشر من صفر سنة ٦٨٧ هـ .
من تصانيفه : - نوادر المذهب .- انتهاز الفرص فيمن أفتى بالرخص في العقوبات. - دعائم الإسلام في وجوب الدعاء للإمام .
معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ١٣ / ص ٢٣٣ .

٥) قاضي القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن عطاء ابن جبير بن جابر بن وهيب الأذرعي الحنفي ولد سنة ٥٩٥ هـ ، سمع الحديث وتفقه على مذهب أبي حنيفة ، وناب في الحكم عن الشافعي مدة ثم استقل بقضاء الحنفية أول ما ولي القضاء من المذاهب الأربعة . . . وكان ابن عطاء من العلماء الأخيار ، كثير التواضع ، قليل الرغبة في الدنيا ، روى عنه ابن جماعة ، وأجاز للبرازلي - وتوفي يوم الجمعة تاسع جمادى الأول من سنة ٦٧٣ هـ .

والشيخ علي بن أحمد بن البخاري[1] والشيخ نجم الدين أبو العز يوسف بن علي بن المجاور الشيباني[2]. والشيخ حامد أبو حامد محمد[3] بن علي ابن الصابوني ، وأم أحمد زينب[4] بنت مكي بن علي بن كامل الحرّاني . والمؤمل[5] بن

---

1) علي بن أحمد بن عبد الواحد السّعدي المقدسي الصالحي الحنبلي (فخر الدين أبو الحسن) المعروف بابن البخارى علامة بالحديث ، نعته الذهبي بمسند الدنيا ولد سنة ٥٩٥ هـ . وأجاز له ابن الجوزى ، وكثيرون .
قال ابن تيمية : ينشرح صدرى إذا أدخلت ابن البخارى بيني وبين النبيﷺ في حديث ،حدث نحواً من ستين سنة ، ببلاد كثيرة ، دمشق ، ومصر ، وبغداد ، وغيرها ، وله شعر جيد ، وتوفي في دمشق سنة ٦٩٠ هـ . من تصانيفه : أسنى المقاصد وأعذب الموارد .
الاعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٥٧ معجم المؤلفين لكحالة ج ٧ ص ١٩ وانظر : شذرات الذهب ج ٥ ص ٤١٥ قال عنه الذهبي : أنه عدلاً مأموناً ومدحه كثيراً .

2) يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي ، (أبو الفتح ، جمال الدين) ابن المجاور ، مؤرخ ، عالم بالحديث من الكتاب من أهل دمشق . له تاريخ المستبصر طبع قسمان في مجلد ، وهو في الكلام على بلاد الحجاز واليمن ، وحضر موت وبعض أخبارها ، وعادات أهلها ، مبتدئاً بمكة ومنتهياً بالبحرين ولد سنة ٦٠١ هـ . وتوفي سنة ٦٩٠ هـ .
الأعلام للزركلي المجلد الثامن ص ٢٥٨ ، معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ١٣ ص ٣٤٥ .

3) محمد بن علي بن محمود أبو حامد ، جمال الدين ، المحمودي ابن الصابوني ، من حفاظ الحديث ، العارفين برجاله من أهل دمشق ، له كتاب (تكملة اكمال الإكمال) في رجال الحديث جعله ذيلا لكتاب ابن نقطة الذي ذيّل به الإكمال لابن ماكولا ، وله الأحاديث المنتقاة الأربعين عن الشيوخ الثقات الأربعين ، والتحفة في الحديث . قال ابن ناصر الدين : اختلط قبل موته بسنة أو أكثر . ولد سنة ٦٠٤هـ . وتوفي سنة ٦٨٠ هـ .
الاعلام للزركلي المجلد السادس / ص ٢٨٢ . معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ١١ / ص ٦٢ . وانظر : الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥ ص ٣٦٩ .

4) زينب بنت مكي بن علي الحراني ، فقيهة ، ازدحم عليها الطلبة ، يأخذون عنها العلوم الشرعية ، اشتهرت وهي من الصالحات ، وتوفيت في دمشق سنة ٦٨٨ هـ . الأعلام للزركلي المجلد الثالث / ص ٦٧ . ط . دار العلم للملايين / بيروت . وانظر شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥ ص ٤٠٤

5) أبو المرجا مؤمل بن محمد بن علي البالسي ، ثم الدمشقي روى عنه الكندي والخضر بن الكامل ، وجماعة وتوفي في رجب سنة ٦٧٧ هـ . شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٦٠ ط . المكتب التجاري / بيروت .

محمد البالسي ، وأبو بكر الهروى[1] ورشيد أبو عبد الله محمد[2] بن أبي بكر العامري .

ومنهم : شرف الدين بن القواس[3] ، ويحي[4] بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب الحنبلي ، والشيخ أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي[5] .

ولقد ذكر الشيخ أمين الدين أبو عبد الله محمد[6] بن ابراهيم بن محمد بن أحمد

---

١) أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن ثابت بن عبد الواسع بن علي الهروى ، الدمشقي عماد الدين ولد سنة ٦٥٦ هـ وقيل سنة ٦٥٤ هـ .
وأسمع على جده ، وأحمد بن عبد الدايم ، وابن أبي عمر والفخر وابن الزين وغيرهم ، وحدث وأخذ عنه البرازلي والذهبي وابن رافع والقطب وذكروه في معاجمهم وذكره أبو جعفر بن الكويك في معجم العز بن جماعة وتوفي سنة ٧٣٧ هـ . وكان حسن الخط ، جميل الهيئة ، بهي المنظر .
الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . تحقيق الأستاذ محمد سيد جاد الحق ط . دار الكتب الحديثة بمصر . ج ١ ص ٤٨٩ .

٢) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن سليمان الدمشقي العامري .
سمع دلائل النبوة ، وصحيح مسلم من ابن الحرستاني وجزء الأنصارى من الكندي ، توفي في ذي الحجة سنة ٦٨٢ هـ . شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي م ٣ . ج ٥ . ص ٣٨٨ .

٣) شرف الدين محمد بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير الطائي الدمشقي ولد سنة ٦٠٢ هـ .
وسمع من الكندي وابن الحرستاني ، والخضر بن كامل ، وكان شيخاً متميزاً حسن الديانة . توفي في ربيع الآخر سنة ٦٨٣ هـ . شذرات الذهب مجلد ٣ / ج ٥ / ص ٣٨٠ .

٤) سيف الدين يحي بن الناصح عبد الرحمن بن النجم الحنبلي ، ولد سنة ٥٩٢ هـ . وهو آخر من حدث بالسماع عن الخشوعي ، وسمع من حنبل ، وابن طبرزد ، والكندي وغيرهم ، بدمشق ، وسمع من العلامة تاج الدين الفزارى ، وأخوه الخطيب شرف الدين والحافظ الدمياطي وذكره في معجمه توفي في شوال سنة ٦٧٢ هـ . شذرات الذهب م ٣ / ج ٦ / ص ٣٤

٥) عبد الرحمن بن سليمان بن سعد بن سليمان البغدادي الأصل الحرّاني المولد ، الفقيه الحنبلي ، أبو محمد نزيل دمشق سنة ٥٨٥ هـ . وسمع من عبد القادر الحافظ ، وحنبل ، وحمّاد الحراني ، وغيرهم ، وتفقه بالشيخ الموفق ، وبرع وأفتى وانتفع به جماعة ، وروى عنه طائفة منهم مثل ابن الخبّاز وكان إماماً بحلقة الحنابلة بالجامع وتوفي سنة ٦٧٠ هـ . ودفن بسفح قاسيون بدمشق .
شذرات الذهب مجلد ٣ / ج ٥ / ص ٣٣٢ .

٦) محمد ابن ابراهيم بن أحمد الواني الخلاّطي الهمداني ، الدمشقي ، الحنفي المؤذن (أمين الدين أبو عبد الله) محدث ، وكان حسن الصوت والشكل ، محبباً إلى العوام ورحل إلى حلب وإلى مصر وتوفي بدمشق في الثاني من ربيع الأول سنة ٧٣٥ هـ .

الواني ثم الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ٧٣٥ هـ . باقي شيوخه ، في رسالة صغيرة تسمى « مجموعة الأربعين حديثاً » وهي مطبوعة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تحت رقم 297.08 M 1247 a A ـ وعلى غلافها الخارجي تحمل عنوان « أربعون حديثاً رواها شيخ الإسلام ابن تيمية عن شيوخه »(١) .

علماً بأن هناك الكثير من شيوخه لم يردوا في هذه الرسالة لأنه كما نعلم لقد سمع على أكثر من مئتي شيخ .

كما أنه استفاد من كبار الشيوخ الذي سبقوه بفترة من الزمن أو عاصروه وهو صغير كالحافظ ابن عساكر(٢) المتوفى سنة ٥٧١ هـ . وابن الأثير(٣) المتوفى سنة ٦٢٠ هـ .

كما وأفاد من ابن الصلاح(٤) المتوفى سنة ٦٤٣ هـ . ومن العز بن عبد

= البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٤٨ ط. المتوسط/ لبنان.
الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٧٤ ط. المكتب الإسلامي / لبنان.
وانظر :
الدرر الكامنة لابن حجر ج ٣ ص ٢٩٣ .

١) طبعة المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة سنة ١٣٤١ م .

٢) سبقت ترجمته ص ٣٤.

٣) سبق ترجمته ص ١٨ .

٤) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشَّهْرَزوري الموصلي ، الشرخاني الشافعي المعروف بابن الصلاح (تقي الدين أبو عمر) محدث ، مفسر ، فقيه ، نحوى ، أصولي ، عارف بالرجال شارك في علوم عديدة ولد بشرخان ، وتفقّه على والده ، وأفتى وتوفي في دمشق في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٦٤٣ هـ.
من مصنفاته : علوم الحديث ، ويعرف بمقدمة ابن الصلاح . معرفة المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال وطبقات الشافعية .
معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٦ ص ٢٥٧ .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ١٦٠ ط . مطبعة المتوسط/ لبنان .
شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٥ ص ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

السلام(1) المتوفى سنة ٦٦٠ هـ . ومحيي الدين النووي(2) المتوفى سنة ٦٧٦ هـ . وابن دقيق العيد(3) المتوفى سنة ٧٠٣ هـ . و«ابن بطة العكبري»(4) المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، وأبو الوفاء بن عقيل(5) المتوفى سنة ٥١٣ هـ .

كما وأفاد من علماء كثيرين ممن سبقوه فقرأ مؤلفاتهم ولم يجتمع بأشخاصهم ، أو عاصوه ، فشافههم وأخذ عنهم .

---

١) سبق ترجمته ص ٢٨ .
٢) سبق ترجمته ص ٢٩ .
٣) سبق ترجمته ص ٢٢ .
٤) هو عبيد الله بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن ابراهيم بن سعد بن عتبة العكبرى الحنبلي ، المعروف بابن بطة (أبو عبد الله) فقيه ، محدث ، متكلم من مصنفاته السنن المناسك ، الإمام ضامن ، الإبانة ، الإنكار على من قضى بكتب الصحف الأولى ، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرقة المذمومة توفي ٣٨٧ هـ . معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٦ / ص ٢٤٥ . شذرات الذهب لابن العماد ج ٣ / ص ١٢٢ - ١٢٣ .
٥) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، أبو الوفا شيخ الحنابلة ، وصاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة ولد سنة ٤٣١ هـ . وقرأ القرآن على ابن سبطا وسمع الحديث الكثير ، وتفقه على القاضي أبي يعلى بن الفراء ، وقرأ الأدب على ابن برهان ، والفرائض على عبد الملك الهمذاني ، والوعظ على أبي طاهر العلاف ، والأصول على أبي الوليد المعتزلي . من تصانيفه تفضيل العبادات على نعيم الجنات كتاب الفنون في مجلدات كثيرة ، الفصول في فروع الفقه الحنبلي في عشر مجلدات ، الإنتصار لأهل الحديث الواضح في أصول الفقه .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ١٩٨ ط. الأصمعي للنشر والتوزيع بالرياض - بالسعودية . معجم المؤلفين لرضا كحالة ج ٧ ص ١٥٢ . شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٥ - ٤٠ .

تلاميذه :

ألقى ابن تيمية دروسه على مدى ستة وأربعين عاماً وذلك منذ توفي أبوه وهو في الحادية والعشرين من عمره إلى أن توفاه الله تعالى ، وقد بلغ السابعة والستين من عمره . كل ذلك بهمة عالية ، ونشاط بالغ وحماس شديد ، لا يكل ولا يمل ، لأن في ذلك حياته ، ومن أجل ذلك نذر نفسه إلى مماته .

ولكثرة تنقلاته بين مصر والشام ، وفي مصر العامرة بين القاهرة والإسكندرية ، وعكوفه الدائم على البحث والمناقشه ، ولعذوبة منطقه ، وفصاحة بيانه ، وجمال أسلوبه ، كثر اتباعه ومحبوه، حيث كانت له دروس عامّة يلقيها في المسجد على عامّة الناس يبين فيها حقيقة الإتباع ، وأن النجاة فيه ، ويحذر من الابتداع وأن الهلكة فيه ، وكان همه أن يعود بالناس إلى ذلك النبع الصافي ، والمنهل الرائق « الكتاب والسنة » .

ولا شك أنه كان له أتباع يلازمونه ليستفيدوا من علمه وحاله ، حيث كان يلزم نفسه بما يدرسه ، ويطابق فعله لقوله .

وآثر بعض الباحثين أن يطلق عليهم اسم المريدين لأنهم لا طاقة لهم بإحاطة مقاصد كلام الشيخ ومراميه ، حتى يكونوا له تلاميذ بالمعنى الخاص حتى يرثوا علمه ، ويكونوا حملة اللواء من بعده .

وكان له دروس خاصة يلقيها على تلاميذه ومحبيه ، وهم الذين لازموه أغلب أوقاته ، وبعض من هذه اللقاءات الخاصّة ، كانت في مصر .

من هؤلاء التلاميذ الذين كانوا أنجماً متألقة في سماء الفكر والمعرفة والدعوة إلى الإلتزام بشرع الله تعالى :

ابن القيم الجوزية : -

وهو محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي ، المعروف بابن قيم الجوزية (شمس الدين وأبو عبد الله) الفقيه الأصولي ، المجتهد ، المفسر ، المتكلم ، النحوي ، المحدث ، ولد سنة ٦٩١ هـ . « وسمع الحديث ، واشتغل بالعلم ، وبرع في علوم متعددة ، لا سيما علم التفسير والحديث ، والأصلين ، ولما عاد الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في سنة ٧١٢ هـ . لازمه إلى أن مات الشيخ ، فأخذ عنه علماً جماً ، مع ما سلف له من الاشتغال ، فصار فريداً في بابه ، في فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً ، وكثرة الابتهال ، وكان حسن الخلق والقراءة ، كثير التودد ، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه ، ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد : ويقول عنه ابن كثير : وكنت من أصحب الناس له ، وأحب الناس إليه ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمة الله . وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عُشره من كتب السلف والخلف ، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، سامحه الله ورحمه ، وقد تصدى للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصّة والعامّة[1] . في سنة ٧٥١ هـ .

وهو الذي دوّن مذهب استاذه في مؤلفاته ووضّح آراءه ، ومهدها للأجيال من بعده[2] .

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٢٠٢ مطبعة المتوسط/ لبنان .

٢) أنظر : مجلة التضامن الإسلامي / تصدر بمكة المكرمة عدد السنة الثلاثون جزءان الرابع والخامس من مقال بعنوان « ابن تيمية كما كتب عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق » بقلم سعيد زايد ص ٩٨ .

ومن تصانيفه الكثيرة :

١ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد .
٢ ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين .
٣ ـ الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية .
٤ ـ هداية الحيارى من اليهود والنصارى .
٥ ـ القصيدة النونية في الإنتصار للفرقة الناجية .
٦ ـ القياس في الشرع .
٧ ـ التبيان في أقسام القرآن .
٨ ـ الكلام الطيب .
٩ ـ مدارج السالكين في اياك نعبد واياك نستعين .
١٠ ـ مراحل السائرين .
١١ ـ زاد المسافرين .
١٢ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .
١٣ ـ الصراط المستقيم .
١٤ ـ مفتاح السعادة .
١٥ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية في الرد على المعطلة والجهية(*)

أبو عبد الله الذهبي :

هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل ، الفارقي ، ثم الدمشقي ، الذهبي الشافعي (أبو عبد الله شمس الدين) ، مؤرخ

(*) أنظر في ذلك : ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٥٢٨ .
تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون للدكتور عمر فروخ ص ٤٦١ ط. المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر/ بيروت .
ـ الدرر الكامنة لابن حجر ٣ / ص ٤٠٠ ـ ٤٠٣ .
ـ شذرات الذهب لابن العماد ٦ / ص ١٦٨ .
ـ المجددون في الإسلام لعبد المتعال الصعيدي ، ص ٣٠٢ ـ ٣٠٦ .

الإسلام قال عنه السبكي في طبقاته الكبرى : « كأن الأمة جمعت في صعيد واحد ثم أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها » .

وشيخ المحدثين ، قال عنه ابن كثير بعد موته ختم به شيوخ الحديث وحفاظه .

ولد في دمشق في ربيع الأول سنة ٦٧٣ هـ . وتوفي بها سنة ٧٤٨ هـ ودفن في مقبرة الباب الصغير . ومشيخته بالسماع والإجازة نحو ألف وثلمائة شيخ يجمعهم معجمه الكبير .

وكان آية في نقد الرجال ، عمدة في الجرح والتعديل ، عالماً بالتفريع والتأصيل ، إماماً في القراءات ، فقيهاً في النظريات له دربه بمذاهب الأئمة ، وأرباب المقالات وهو الذي قال عنه أبو عبد الله محمد بن محمد ، بن عبد الكريم ابن الموصلي الاطرابلسي الشافعي المتوفي سنة ٧٧٤ هـ . لما قدم دمشق متوجهاً للحج سنة ٧٣٤ هـ .

ما زلت بالسمع أهواكم وما ذكرت أخباركم قط إلاّ ملت من طرب
وليس من عجب أن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مالت إلى الذهب

ومؤلفاته كثيرة منها :

١ ـ تاريخ الإسلام الكبير في ٢١ مجلد .
٢ ـ ميزان الإعتدال في نقد الرجال / مطبوع
٣ ـ طبقات الحفاظ . / مطبوع
٤ ـ سير اعلام النبلاء / طبع منه أجزاء . (*)

(*) أنظر في ترجمته :
ـ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٩٤ ط . المتوسط .
ـ الرد الوافر ص ٦٧ ـ ٦٨ ط . المكتب الإسلامي / بيروت .
ـ طبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ٢١٦ ـ ٢٢٦ .
ـ الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .
ـ الدارس في تاريخ المدارس ج ١ / ص ٧٨ ـ ٧٩ .

الحافظ ابن كثير :

الشيخ العلامة الحافظ عماد الدين أبو الفداء ، ثقة المحدثين ، عمدة المؤرخين ، علم المفسرين (أبو الفداء) اسماعيل بن الشيخ العالم الخطيب ، أبي حفص عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن ضوء بن ذرع القرشي ، البصرى ، ثم الدمشقي ، الشافعي ولد سنة ٧٠١ هـ . بمجيدل من أعمال بصري إذ كان أبوه خطيباً بها .

له عدة مصنفات منها :

١ ـ تفسير القرآن العظيم .

٢ ـ التاريخ الكبير المسمى البداية والنهاية .

٣ ـ جامع المسانيد ، جمع فيه أحاديث الكتب الستة والمسانيد الأربعة[١] .

الحافظ شمس الدين محمد بن قدامة المقدسي :

محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ، الأصل ، الصالحي الحنبلي (شمس الدين ، أبو عبد الله) مقرىء ، فقيه ، أصولي ، نحوي ، محدث ، حافظ ، مفسر ، لغوي ، عارف بالرجال ولد في رجب سنة ٧٠٥ هـ . وتفقه بابن تيمية ، وسمع ما لا يحصى من الروايات من القاضي سليمان بن حمزة ، وأبي بكر بن عبد الدايم ، وآخرين ، ورافق الحفاظ والمحدثين ، وعني بالحديث وأنواعه ، ومعرفة رجاله وعلله ، وتفقه ، وافتى ، ودرس وجمع ، وألّف ، وكتب الكثير وصنف وتصدى للإفادة ، والإشتغال في فنون من العلوم .

---

١) معجم المؤلفين لعمر كحالة ٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
الرد الوافر لابن ناصر الدين ط . المكتب الإسلامي ص ١٥٤ .
وانظر : الدرر الكامنة لابن حجر ١ / ص ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .
الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١/ ص ٣٦ ـ ٣٧ .
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١١/ ١٢٣ ـ ١٢٤ .
شذرات الذهب لابن العماد ٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

وكان إماماً في العلوم الإسلامية ، كالتفسير ، والقراءات ، والحديث ، والأصول ، والفقه واللغة ، وأثنى عليه الذهبي في تذكرة الحفاظ ، وقال عنه : «والله ما اجتمعت به قط إلاّ استفدت منه». وقال عنه الصفدي: «لو عاش لكان آية » توفي سنة ٧٤٤ هـ . بعد أن مرض قريباً من ثلاثة أشهر ، وكان آخر كلامه اشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ومن مصنفاته :

- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق « لابن الجوزي مجلدان » .
- « المحرر في الأحكام » مختصر مفيد .
- « جزء في الردّ على أبي حيان فيما رده على ابن مالك » .
- « والرد على السبكي في رده على ابن تيميه »[١] .

أبو العباس أحمد بن الحسن المشهور بقاضي الجبل :

أحمد بن قاضي القضاة شرف الدين أبي الفضل الحسن بن الخطيب شرف الدين أبي بكر عبد الله بن شيخ الإسلام أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، الصالحي الحنبلي ، قاضي الجبل ، وابن قاضيه .

ولد في ٩ شعبان سنة ٦٩٣ هـ . وتوفي في دمشق في ١٤ رجب سنة ٧٧١ هـ ولي القضاء سنة ٢٩٢ هـ .

من مصنفاته :

- المناقلة في الأوقاف وما في ذلك من النزاع والخلاف .

١) معجم المؤلفين لرضا كحالة ط. دار أحياء التراث ج ٨ / ص ٢٢٧ .
الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ط . أولى المكتب الإسلامي / بيروت ص ٦٢ .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٨٢ ط. المتوسط/ بيروت .
وانظر في ترجمته :
الوافي بالوفيات للصفدي ج ٢ ص ١٦١ - ١٦٢ .
الدرر الكامنة لابن حجر ج ٣ ص ٣٣١ - ٣٣٣.
الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ج ١٤ ص ١٨٢ .

ـ الفائق في فروع الفقه الحنبلي .
ـ القصد المفيد في حكم التوحيد .
ـ قطر الغمام في شرح أحاديث الأحكام .

صاحب الشيخ تقي الدين بن تيمية وسمع منه ، وتفقه به ، وأخذ عنه ، وكان يسميه شيخ الإسلام ، وقال فيه :

نبـي أحمـد وكذا امامي ... وشيخي أحمد كالبحر صافي
واسمي أحمد أرجو بهذا ... شفاعة سيد الرسل الكرام

وهذا من عشقه ومحبته لشيخه ابن تيمية مع أن المعلوم أن الأسماء ليس لها أي دخل في الشفاعة[1] .

عمر بن الوردي :

عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعرّي الحلبي ، لغوي ، نحوي ، مؤرخ ، ولد بمعره النعمان ، بسوريا ، وولي القضاء بمنبج وتوفي بحلب ، وقد جاوز الستين سنة ٧٤٩ هـ .

من تصانيفه الكثيرة :
ـ خريدة العجايب ، وفريدة الغرائب . (وفيه خرافات كثيرة جداً) .
ـ منظومة النفحة الوردية في النحو .
ـ نظم الحاوي الصغير للقزويني في فروع الفقه الشافعي وسماه البهجة الوردية .
ـ منظومة نصيحة الإخوان ، ومرشد الخلاّن[2] .

---

١) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ط. أولى ـ المكتب الإسلامي / بيروت ص ١٣٢ .
معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ١ ص ١٩٤ .
وانظر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . ١ / ١٢٠ ـ ١٢١ .
الدارس في تاريخ المدارس للنّعيمي ج ٢ / ص ٤٤ ـ ٤٦ .
٢) معجم المؤلفين لكحالة ج ٢ / ص ٣ .
شذرات الذهب لابن العماد ج ٦ / ص ١٦١ ـ ١٦٢
طبقات الشافعية للسبكي ج ٦ / ص ٣ / ١٩٥ ـ ١٩٧

شمس الدين ، أبو عبد الله محمد بن مفلح :

محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي ، الراميني ، الدمشقي الصالحي ، الحنبلي (شمس الدين ، أبو عبد الله) نائب قاضي القضاة جمال الدين ابن يوسف بن محمد المقدسي الحنبلي ، وكان بارعاً ، فاضلاً ، متفنّناً في علوم كثيرة ، ولا سيما في علم الفروع ، كان غاية في نقل مذهب أحمد ، فقيه ، أصولي ، محدث ، ولد ونشأ ببيت المقدس وسمع من عيسى المطعم ، وأخذ عن المَزّي والذهبي ، وتقي الدين السبكي ، وغيرهم .

ودرّس ، وأفتى وناظر ، وحدّث ، وناب في الحكم عن قاضي القضاة جمال الدين المراودي وتوفي بالصالحية في دمشق سنة ٧٦٣ هـ . في ٢ رجب .

من تصانيفه : ـ

- الآداب الشرعية والمنح المرعية .
- كتاب الفروع في ٤ مجلدات .
- شرح كتاب المقنع في ٣٠ مجلدة .
- شرح المنتقى في مجلدين .
- كتاب في أصول الفقه على المذهب الحنبلي .

قال عنه أبو البقاء السبكي : « ما رأيت بعيناي أفقه منه » .

وقال ابن القيم : « ما تحت قُبَّة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد بن حنبل من ابن مفلح »[1] ولَعَلَّ في هذا ما يكفي لننتقل إلى مذهبه .

---

١) معجم المؤلفين كحالة ج ١٢ / ص ٤٤ .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ٢٥٢ ط. المتوسط .
وانظر في ترجمته :
الدرر الكامنة لابن حجر ٤ / ص ٢٦١ ـ ٢٦٢ .
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١١ / ص ١٦ .
الدارس في تاريخ المدارس ج ٢ / ص ٣٣ ـ ٣٤ .

مذهبه :

نشأ ابن تيمية نشأة حنبلية بحكم أن اسرته قد اعتنقت هذا المذهب ، فأخذ الفقه عن أبيه وأتم كتاباً في الفقه الحنبلي ، ابتدأه جده ، وعمل فيه أبوه .

وعندما اتسع أفقه ، وعمقت دراسته ، واستوى على سوقه اختار المذهب الحنبلي لكون الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه من علماء السنّة النبوية البارزين ، وكان دائم البحث عنها والجمع لها .

وكان يجري في استنباط الأحكام على أصول المذهب الحنبلي ويعتبره أمثل المذاهب ويقول أحمد بن حنبل . أعلم من غيره بالكتاب والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين له بإحسان ، ولهذا لا يكاد يوجد له قول يخالف نصاً .

وكان اختياره لهذه الأصول بعد فحص ودراسة وتعمق .

وذكر بعض هذه الأصول في رسالة له سماها « طرق الأحكام الشرعية » وهي الكتاب ، والسنة والإجماع ، والقياس ، والاستصحاب ، ثم المصالح المرسلة ، وقد أدخل الاستحسان في نطاق المصالح المرسلة أو عده قريباً منها[1] .

لكن هل يظنّ بابن تيمية صاحب العقل السليم ، والفكر المستنير أن يقف في دراسته الفقهية عند حدود المذهب الحنبلي ، ولا يتعدّاه لسواه ؟

المرجح أنه خرج في دراسته من الإطار المحدد إلى الدراسة الواسعة الشاملة ، ولذلك نجد له اختيارات من مختلف المذاهب الإسلامية . وأحياناً يخرج عنها ، كما مرّ إلى إجهاد خاصٍ به .

والشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله عدّة مجتهداً في المذهب الحنبلي لكثرة اختياراته ، وحسن تعليلها بالدليل والبرهان ، وكان يكره التعصب والهوى بغير

---

١) أنظر ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله ص ٤٥٣ .

دليل ويقول: «من تعصب لواحد من الأئمة بعينه ، فقد اشبه أهل الأهواء ، سواء أكان التعصب لمالك أو لأبي حنيفة أو لأحمد .

ثم غاية المتعصب لواحد منها أن يكون جاهـلاً ظالماً ، والله يأمـر بالعلـم والعدل ، وينهى عن الجهل والظلم قال تعالى : « وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً »[1] .

وهذا أبو يوسف ومحمد من اتبع الناس لأبي حنيفة واعلمهم بقوله ، وهما خالفاه في مسائل لا تكاد تحصى ، لما تبين لهما من السنة والحتمية ما أوجب عليهما عدم اتباعه فيها ، وهما مع ذلك يعظمانه[2] .

---

١) سورة الأحزاب ، آية ٧٣.

٢) أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية ١ ـ ٦. نيسان (ابريل) سنة ١٩٦١ من مقال بعنوان النشأة العلمية عند ابن تيمية لهنري لاووست.

الفصل الثاني

ثقافته

في التفسير وعلومه :

« أحب ابن تيمية التفسير ، وبرع فيه ، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيّال ، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميّال ، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها »[1] .

وكان يفسر كتاب الله تعالى أيام الجمع ، على كرسي من حفظه ، من غير توقف ولا تلعثم ، وكان يورد الدرس بتؤدة وطمأنينة ، وبصوت جهوري فصيح ، « ولقد لقبه علم الدين البرازلي[2] المتوفى سنة ٧٣٩ هـ . « بحبر القرآن » وكان آية من آيات الله تعالى في التفسير والتوسع فيه ، ولعله يبقى في تفسير الآية المجلس المجلسين ، ولفرط إمامته في التفسير وعظمة إطلاعه عليه يبين خطأ كثير من أقوال

---

١) أنظر طبقات المفسرين للداوودي المتوفى سنة ٩٤٥ هـ . ص ٤٧ . ط. مكتبة وهبة، شارع الجمهورية/ عابدين القاهرة.

٢) أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف ابن محمد بن أبي يداس البرازيلي الإشبيلي الأصل الدمشقي ، صاحب « التاريخ » الخطير « والمعجم » الكبير كان بأسماء الرجال بصيراً ، وناقلاً لأحوالهم تحريراً . ولد سنة ٦٦٥ هـ . ويقول عنه ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ . صاحب الرد الوافر أنه سمع بعض مشايخه يذكر أن الحفاظ الثلاثة الذهبي والمزي ، البرازيلي إقتسموا معرفة الرجال ، المزي أحكم الطبقة الأولى ، والذهبي الوسطى ، والبرازيلي الأخيرة والمقصود بها مشايخ عصره ومن فوقهم بقليل ومن بعدهم .
وخرج له المحدث شمس الدين ابن سعد ، وسمع الكثير من أكثر من ألف شيخ وقال عنه ابن تيمية : نقل البرازيلي كنقش في حجر .
وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرمونه ، وكان شيخ حديث بالنورية ، وبدار الحديث القوطية ، وكان متواضعاً توفي عن أربع وسبعين سنة عام ٧٣٨ هـ . وفي البداية والنهاية سنة ٧٣٩ هـ . انظر:
الرد الوافر لابن ناصر الدين . ط. المكتب الإسلامي/ بيروت ص ٢٠٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ مطبعة المتوسط/ لبنان ص ١٦١ .

المفسرين ، ويوهي أقوالاً عديدة ، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دلّ عليه القـرآن والحديث »[1] .

وقال عنه أيضاً : « الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه ، قرأ القرآن وبرع فيه ، والعربية والأصول ومهر في علمي التفسير والحديث ، وكان إماماً لا يلحق غباره في كل شيء ، وبلغ رتبة الإجتهاد ، واجتمعت فيه شروط المجتهدين ، وكان إذا ذكر التفسير أبهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إيراده وإعطائـه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتصنيف والإبطال وخوضه في كل علم . كان الحاضرون يقضون منه العجب ، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبـادة والإشتغـال بذكر الله تعالى والتجرد من أسباب الدنيا ودعاء الخلق إلى الله تعالى .

وكان يجلس في صبيحة كل جمعة على النّاس يفسر القرآن العظيم ، فانتفع بمجلسه وبركة ودعائه وطهارة أنفاسه وصـدق نيتـه ، وصفـاء ظاهـره وباطنـه ، وموافقة قوله لعمله ، وإنابته إلى الله تعالى خلق كثير »[2] .

ولم يقف به الأمر عند حد التدريس فقط بل تعداه إلى الكتابة والتأليف في هذا العلم ، ونال من قلمه (نصيب) كما نالت بقية العلوم الإسلامية حيث «كتب نقول السلف مجردة عن الإستدلال على جميع القرآن ، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالإستدلال، وكان يكتب بعض آيات للتذكر. ولما حبس في آخر عمره كتب إليه تلميذه وأخص أصحابـه «عبـدالله بن رشيق»[3] أن يكتـب على جميع آي القرآن

١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ابن عبد الهادي ـ ط . دار الكتاب العربي / بيروت ص ٤٣ .

٢) الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية « شيخ الإسلام » كافر لابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ . ط . المكتب الإسلامي / بيروت تحقيق زهير الشاويش ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ . الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م .

٣) كاتب مصنفات الشيخ ابن تيمية ، وكان أبصر بخط الشيخ منـه ، إذا عزب شيء منـه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا وكان سريع الكتابة لا بأس به ، ديّنـاً ، عابـداً كثير التـلاوة ، حسـن الصلاة ، له عيال ، وعليه ديون ، توفي في يوم عرفة من شهر الله ذي الحجة سنة ٧٤٩ هـ .
البداية والنهاية لابن كثير ، ج ١٤ ، ص ١٩٨ ط . المتوسط/ لبنان

تفسيراً مرتباً على السور فكتب إليه يقول : « إن القرآن فيه ما هو بين بنفسه وفيه ما قد بينه المفسرون في غير كتاب ، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء فربما يطالع الإنسان منها عدّة كتب ، ولا يتبين له تفسيرها ، وربما كتب المصنف الواحد في آية تفسيراً وتفسير غيرها بنظيره .

فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل ، إذ أنّه إذا تبين معنى آية تبين معنى نظائرها ، وقد فتح الله علي في هذه المرّة من معاني القرآن ومن أصول العلم بأشياء ، كان كثير من العلماء يتمنونها ، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن »[1] .

وقيل : « إن ما جمعه في تفسير القرآن العظيم وما جمعه من أقوال مفسري السلف الذين يذكرون الأسانيد في كتبهم ، وذلك في أكثر من ثلاثين مجلداً وقد بيض أصحابه بعضها ، وكثيراً منها لم يكتبوه بعد »[2] ، أو كتب وضاع في خضم الفتن والمحن التي تعرض لها ابن تيمية وأتباعه ، وقد كان مخالفوه والحاقدون عليه ، يبحثون عن كل ما كتبه ليخفوه أو يحرقوه . حتى لا ينتفع به إذا نشر بين الناس .

« فأخفى تلاميذه وأتباعه ما استطاعوا أن يخفوه ووهبوا الكثير من كتبه ، وأودعوها الناس في مكان آمن علّهم يستفيدون منها بعد زوال الفتن التي اشتد الأمر فيها عليه وعلى أتباعه ، حتى إن أحدهم تسرق كتبه أو تجحد فلا يستطيع أن يطلبها أو أن يرفع الأمر إلى من يخلّصها[3] .

« وكان يقول إني وقفت على مائة وعشرين تفسيراً أستخلص من الجميع

---

١) العقود الدرية من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي ـ ط . دار الكتاب العربي / بيروت ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

وانظر ابن تيمية لعبد العزيز المراغي ـ سلسلة أعلام الإسلام ط . دار المعارف الإسلامية ص ٥١ .

٢) العقود الدرية من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي ص ٤٢ .

٣) العقود الدرية ص ٨١ / ٨٢ .

الصحيح الذي فيها »[1] وهذا مما يدل بلا شك على مبلغ ثقافته وعلو رتبته في علم التفسير .

ومع هذا العلم الواسع ، والإطلاع الكبير ، ومع أنه صنف الكثير من المصنفات « التي لم يسبق إلى مثلها ولا يلحق في شكلها توحيداً أو تفسيراً وإخلاصاً وفقهاً ، وحديثاً ولغة ونحواً »[2] ، فإنه لم يكتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم للسبب الذي مرّ منذ قليل ومن ادّعى أنه كتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم فقد وهم . كابن بطوطة الذي قال عنه « إنه جمع تفسيراً كاملاً للقرآن في أربعين مجلداً سماه « البحر المحيط » ونقل قريباً من مثل هذا المستشرق « بروكلمان » في ذكره لتصانيف ابن تيمية .

ولعل منشأ هذا الوهم مما قاله ابن عبد الهادي[3] في عده لتصانيف ابن تيمية « ومن ذلك ما جمعه في تفسير القرآن العظيم ، وما جمعه من أقوال مفسري السلف

---

١) نقلاً من مقدمة المقدمة في أصول التفسير لابن تيمية بقلم الدكتور عدنان زرزور ص ١١ ـ ١٢ .

٢) الرد الوافر لابن ناصر الدين ص ٦٣ط. تحقيق الشيخ زهير الشاويش المكتب الإسلامي / بيروت من قول لابن عبد الهادي المتوفى سنة ٧٤٤هـ .

٣) ابن عبد الهادي هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الجماعيلي الأصل ثم الصالحي .
الفقيه المحدث ، الحافظ ، الناقد ، المتقن ، ولد سنة ٧٠٤ هـ . قرأ القرآن الكريم وسمع ما لا يحصى من المرويات من القاضي سليمان بن حمزة ، وأبي بكر بن عبد الدائم وآخرين ، ورافق الحفاظ والمحدثين وحصل ما لا يبلغه الشيوخ الكبار ـ وتفنن في الحديث والفقه والنحو والتصريف والتفسير والأصلين والتاريخ والقراءات ، وله مجاميع وتعاليق مفيدة كثيرة وكان حافظاً جيداً لأسماء رجال وطرق الحديث عارفاً بالجرح والتعديل ، بصيراً بعلل الحديث ، حسن الفهم له . ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين وفي طبقات الحفاظ . وأثنى عليه فيهما ومن كتبه تنقيح التحقيق لابن الجوزي مجلدان . المحرر في الأحكام مجلد .
الإعلام في ذكر مشايخ الأئمة الأعلام أصحاب الكتب الستة . ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية وهي مطبوعة تحقيق محمد حامد الفقي . توفي سنة ٧٤٤ هـ . ودفن بسفح قاسيون . الرد الوافر لابن ناصر الدين . ط . بيروت المكتب الإسلامي ص ٦٢ البداية والنهاية لابن كثير ، ج ١٤ ص ١٨٢ .
شذرات الذهب لابن العماد ج ٦ ص ١٤٠ المجلد الثالث ط . المكتب التجاري للطباعة والنشر / بيروت .

الذي يذكرون الأسانيد في كتبهم ، ومن ذلك أكثر من ثلاثين مجلداً »[1] .

لكن قول عبد الله بن رشيق السابق الذكر يقطع الأمر ويفصله ، إذ هو أعرف الناس بما كتبه شيخه ابن تيمية ، فضلاً عن أنه طلب من شيخه أن يفعل ذلك ، فأجابه بالاقتصار على الآيات التي أشكلت على كثير من العلماء ، لأنه في نظره لا حاجة إلى كتابة ما كتبه المفسرون قبله ، وإنما كتب هذه النقول لنفسه ولأن يتذكر فيها إذا لزم الأمر ذلك .

مع أنّ ابن بطوطة لم يجتمع بالشيخ ولم يلتق به ولم يسمع كلامه ، وقد خلط بينه وبين أبي حيّان الأندلسي اللغوي صاحب البحر المحيط[2] في التفسير وهو في أربعين مجلداً كما قال . وطبع في ثمان مجلدات كبار . وابن بطوطة « كذاب » حيث أنه افترى على ابن تيمية بقوله عنه أنه قال : « إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجتين من درج المنبر » مع أنه لم يره ، ولم يجتمع به إذ وصل دمشق قادماً من بعلبك يوم الخميس في التاسع من شهر رمضان المبارك سنة ٧٢٦ هـ ، وكان دخول الإمام إلى قلعة دمشق في السادس من شهر شعبان من ذلك العام ، ومكث فيها إلى أن توفاه الله تعالى ليلة الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨ هـ[3] .

---

١) العقود الدرية ص ٤٢ .

٢) محمد بن يوسف بن حيان النفري الأندلسي الجياني ثم الغرناطي ثم المصري الظاهري ولد بمطخشارش من غرناطة بالأندلس سنة ٦٥٤ هـ . ارتحل سنة ٦٧٩ هـ . وحج فيها ولقي الشيوخ وأجاز له خلق منهم الخطيب يوسف بن إبراهيم بن أبي ريحانة الأندلسي وأبو الحسن علي بن البخاري . وتوفي في ٢٢ صفر سنة ٧٤٥ هـ . بعد أن أضر في آخر عمره .
الرد الوافر لابن ناصر الدين ص ١١٣ ط . أولى المكتب الإسلامي / بيروت ، البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٨٤ .

٣) أنظر في هذا المقام حياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار حيث رد هذه الفرية وفنّدها بالدليل والبرهان . ص ٣٦ - ٤٤ ط . الثانية المكتب الإسلامي / بيروت .

ولعل الخطأ ممن نقل معاني رحلة ابن بطوطة حيث أنه لم يكتبها بنفسه بل أملاها على ابن جزي الكلبي إذ قال في مقدمة الرحلة « ونقلت معاني كلام أبي عبد الله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها ، موضحة للمعاني التي اعتمدها ، وربما أوردت لفظه على وصفه ، فلم أخل بأصله ولا فرعه »[1] .

وجملة القول : أنه لا يخلو كتاب له من مادة التفسير وإن لم يجمعها في مصنف واحد على نسق التفاسير التي بين أيدينا ، فانظر مثلاً إلى كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ففيه تفسير لآيات جمة من القرآن الكريم ، وكذلك كتابه « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » ، « وكتاب درء تعارض العقل والنقل » .

« والفتاوى الكبرى » التي جمعت من بعده فيها تفسير لكثير من آيات القرآن الكريم .

ولمّا توفي رحمه الله نودي للصلاة عليه بهذه العبارة « الصلاة على ترجمان القرآن »[2] مما يدل أنه شهر بالتفسير ، وبمعرفة قواعده وأصوله كما يظهر ذلك من رسالته التي وضعها في هذا العلم وهي بعنوان « مقدمة في أصول التفسير »[3] .

في الحديث وعلومه :

تمتع ابن تيمية بثقافة عالية في الحديث وعلومه حتى قيل عنه « كل حديث لا

= ونقل ابن بطوطة هذا الكلام في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (الشهير برحلة ابن بطوطة) .

١) رحلة ابن بطوطة ص ٤ ، الطبعة الثانية / مطبعة التقدم بمصر بشارع محمد علي.

٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام (الجزء الثاني) خاص بحياة ابن تيمية لأبي الحسن الندوي - ط . دار القلم الكويت ، ص ٢٨٤ .

(٣) طبع عدة طبعات منها طبعة حققها وقدم لها الدكتور عدنان زرزور .

يعرفه ابن تيمية فليس بحديث »[1] « وقل أن يذكر له قول إلاّ وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله وأثره ، أوراو إلاّ وقد عرف حاله من جرح وتعديل بإجمال وتفصيل »[2] .

وقال عنه أحد معاصريه ، وهو الإمام الذهبي[3] المتوفى سنة ٧٤٨ هـ . « وكانت له خبرة تامّة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم ، ومعرفة بفنون الحديث وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم ، مع حفظه لمتونه الذي انفرد به ، فلا يبلغ أحد في العصر رتبته ، ولا يقاربه ، وهو عجيب في إستحضاره ، واستخراج الحجج منه ، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب السِّتَّة أو المسند ، بحيث يصدق عليه أن يقال « كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث »[4] ولكن الإحاطة تعالى ، غير أنه يغترف فيه من بحر ، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي »[5] .

وقال عنه في قصيدة يرثيه بها :

غيبت بحر مفسّراً جبلا　　حبرا تقياً مجانب الشيع
فإن يحدّث فمسلم ثقة　　وإن يناظر فصاحب «اللّمع »[6]

---

١) العقود الدرية من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي .
تحقيق محمد حامد الفقي ، ط . دار الكتاب العربي / بيروت ص ٤١ .
٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٣٠ تحقيق الأستاذ زهيز الشاويش ـ الطبعة الثالثة .
٣) هو الإمام الحافظ مفيد الشام ومؤرخ الإسلام ناقد المحدثين وإمام المعدلين والمجرحين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقي الأصل الدمشقي ابن الذهبي الشافعي محدث أو مؤرخ ولد سنة ٦٧٣ هـ . وتوفي سنة ٧٤٨ هـ .
الردّ الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي الطبعة الأولى المكتب الإسلامي / بيروت ص ٦٧ ـ ٦٨ .
وسبق الحديث عن ترجمته وافياً عند الحديث عن تلاميذ ابن تيمية ص ٦٣ .
٤) وهذا على سبيل المبالغة ، بدليل أن الأحاديث النبوية لا يمكن إحاطتها جميعها لتفرق الصحابة في البقاع والأصقاع والإحاطة لله تعالى .
٥) العقود الدرية لابن عبد الهادي ط. دار الكتاب العربي / بيروت ص ٤١
٦) الرد الوافر لابن ناصر الدين تحقيق الأستاذ زهير الشاويش الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ ، المكتب الإسلامي / بيروت .

كما قال عنه في مقام آخر « ما رأيت أشد إستحضاراً لمتون الأحاديث منه . وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو السنن كأن ذلك نصب عينيه ، وعلى طرف لسانه ، بعبارة رشيقة حلوة وإفحام للمخاطب »[1] .

أمّا عن ثقافته في الفقه وأصوله :

أَجمع أهل الفضل والعلم في عصره ، على قوة فكره ، وسعة علمه ، وأنه بعيد المدى ، عميق الفكرة .

وقوته هذه كانت محل إعجاب المؤيدين له والمندفعين لنصرته وإعانته ، ومكان استهجان أعدائه ومناوئيه ، مما دفعهم الى الاستعانة بالقوة ليمنعوه من القول ، لعجزهم عن مجاراته بالحجة والبرهان .

ولكثرة معلوماته فهو أشبه بالموسوعة العلمية إذ كان يكتب الكثير من المؤلفات ، دون أن يرجع الى كتاب أو مصدر مكتوب بين يديه ، ومع ذلك يسند كل قول لقائله ، وكما قال صاحب الاعلام العلية : « ومن أعجب الأشياء في ذلك أنه في محنته الأولى بمصر لما أخذ وسجن وحيل بينه وبين كتبه صنف عدة كتب صغاراً وكباراً ، وذكر فيها ما احتاج الى ذكره من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء وأسماء المؤلفين والمحدثين ومؤلفاتهم وعزا كل شيء من ذلك الى ناقليه وقائليه باسمائهم وذكر أسماء الكتب التي ذكر فيها وأي موضوع هو منها ، كل ذلك بديهة من حفظه لأنه لم يكن عنده كتاب يطالعه ، ونقبت واختبرت واعتبرت فلم يوجد فيها بحمد الله خلل ولا تغيرّ »[2] .

ولا غرابة أيضاً في خلوها من الخلل لأنه الذكي الالمعي والعالم الفذ المشهود

---

١) الوافي بالوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٧ ص ١٧ .
ـ وإنما أكثرت من النقول عن الإمام الذهبي لما له من مكانة في الحديث وعلومه ، والجرح والتعديل ، وهي من الأمور التي ترينا مكانة ابن تيمية ومبلغ ثقافته في الحديث وعلومه .

٢) ص ٢٢ طبعة المكتب الإسلامي / بيروت الطبعة الثالث تحقيق الشيخ زهير الشاويش .

له في هذا الميدان . « فجولاته في الفقه جعلته فقيه عصره ، وجولاته في علم الكلام جعلته من الشخصيات البارزة فيه ، وتفسيراته للقرآن الكريم ، ودراسته أصول التفسير ، ووضعه المناهج لها جعلته في صفوف المفسرين »(١) .

ولقد « بنى ثقافته هذه على أساس متين من العلم الواسع بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مما مكنه مع ما أوتيه - من أصالة وعبقرية - من الكشف عن نواحي النقص والانحراف في الثقافة الدخيلة ، واستطاع أثناء نقده ورده لها أن يبين الهدي الإسلامي الصحيح ، ازاء كل رأي مخالف ، بالفكر الموافق للكتاب والسنة في مقابل كل فكرة منحرفة ، وتمكن من شق طريقه في الظلمات ، بفضل تمسكه بنور الله المبين وحبله المتين »(٢) .

فقرأ كل ما وقع له ، أو طالته يده من كتب للفقه في عصره ، بعد أن تلقى الفقه الحنبلي عن أبيه أولاً .

فمِن الكتب التي درسها ، كتب الطحاوي المقارنة وكتب الخصاف ، وكتب الحصيري ، وكتب السرخسي في الفقه الحنفي ، ومختصر المزني ، والمهذب للشيرازي ، والمجموع والروضة للنووي ، والوجيز للغزالي ، وكتاب المغني لابن قدامة المتوفى سنة ٦٣٠هـ . فأغلب الظن(*) أنه اطلع عليه ، لقرب عهد المؤلف من ابن تيمية ، ولما كان يتمتع به آل قدامة من منزلة عند الناس ، وتجمع بينهما الدمشقة إذ أن كلاً منهما كان في دمشق ، وهو دراسة مقارنة بين فقه المذاهب الأربعة ، ودرس الموطأ وفقه الإمام مالك رحمه الله(٣) .

وقرأ المحلى لابن حزم الأندلسي(٤) المتوفى سنة ٤٥٦هـ . والاحكام في أصول

---

١) ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله ص ١٣ بتصرف يسير .
٢) ابن تيمية مقارنة بينه وبين الغزالي للدكتور محمد رشاد سالم ص ١٣٨ - ١٣٩ ط . الدار السلفية .
*) يرجح أنه اطلع عليه وله نقول منه وردود عليه .
٣) ابن تيمية لعبد العزيز المراغي « لجنة دائرة المعارف الإسلامية » ص ٧٨ بتصرف يسير .
٤) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد =

الأحكام للآمدي[1] واستفاد من كل ما قرأ ، ونظرة فاحصة على كتابه « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » ومقارنته بكتاب الأحكام السلطانية للماوردي[2] الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠هـ . ترينا مدى هذه الإستفادة.

ثم إن احتكاكه بالشيعة ، جعله يطّلع على ما عندهم ، ويظهر ذلك جلياً من مناقشته لأفكارهم ومعتقداتهم في كتابه « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ».

وقل أن يتكلم في مسألة إلاّ ويذكر فيها أقوال الأئمة الأربعة ، وأقوال المذهب الواحد إذا تعددت أو مذاهب الصحابة ومن بعدهم ولقد خالف المذاهب الأربعة في مسائل واحتج لها بالكتاب والسنة.

= مولى القائد المجاهد يزيد ابن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي رضي الله عنهما .
فارسي الأصل ، من قرطبة ولد سنة ٣٨٤ هـ ، قرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية وصنف الكتب الكثيرة منها :
- الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل .
- الإلتباس فيما بين أصحاب الظاهر والقياس .
وتوفي سنة ٤٥٦ هـ .
أنظر في ترجمته :
- البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٩٩ ط . مكتبة الأصمعي للنشر والتوزيع / الرياض.
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ / ص ٣٢١ - ٣٢٩ .

١) سبق ترجمته ص ٣٣.

٢) القاضي الماوردي صاحب الحاوي الكبير علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي البصري ، شيخ الشافعية صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية ، وأدب الدنيا والدين قال بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة .
ولي القضاء في بلاد كثيرة ، وبلغ منزلة عند ملوك بني بويه . توفي عن ست وثمانين عاماً سنة ٤٥٠ هـ .
- البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٨٦ ط . مكتبة الأصمعي للنشر والتوزيع بالسعودية .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ / ص ٢٨٥ = ٢٨٧ .
- طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ / ص ٣٠٣ - ٣١٤ .

من هذه المسائـل :

- القول بقصر الصلاة في كل ما يسمى سفراً طويلاً كان أو قصيراً ، كما هو مذهب الظاهرية ، وبعض الصحابة[1] .

- القول بأنّ البكر لا تستبرىء ، وإن كانت كبيرة ، كما هو قول ابن عمر ، واختاره البخاري أيضاً .

- القول بأن من أكل في شهر رمضان معتقداً أنه ليل فبان انه نهار ، لا قضاء عليه . كما هو مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ، وإليه ذهـب بعض التابعـين وبعض الفقهاء بعدهم[2] .

- القول بأنّ المتمتع يكفيه سعي واحد بين الصفا والمروة ، كما هو في حق القارن والمفـرد.

وهو قول ابن عباس رضي الله عنه .

- القول باستبراء المختلعة بحيضة واحدة[3] ، وكذلك الموطوءة بشبهة ، والمطلـق الطلاق الأخير.

- القول بإباحة وطء الوثنيات بملك يمين أي مثل اماء أهل الكتاب .

- القول بجواز التيمم مع وجود الماء لمن خاف فوات العيد أو الجمعة أو وقت صلاة أخرى من الصلوات المكتوبة إذا استعمل الماء[4] .

---

١) وإلى هذا ذهب ابن حزم وأبو القاسم الخرقي في كتابه المغني . أنظر فقه السنة للشيخ سيد سابق ط . المطبعة النموذجية / القاهرة ج ١ ص ١٤٣ .

٢) وذهب إسحاق وداود الظاهري وعطاء وعروة والحسن البصري ومجاهد إلى أن صومـه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم﴾ إلى غير ذلك من الأدلة .

٣) فقه السنة لسيد سابق ط . المطبعة النموذجية بمصر ج ٣ ص ٢٧٠ .
وهذا مذهب سيدنا عثمان بن عفان وابن عباس وواصح الروايتين عن أحمد وهو مذهب إسحاق بن راهويه . فقه السنة لسيد سابق ج ٨ ص ١٥٥ .

٤) للمذاهب آراء مختلفة في هذه المسألة .
الشافعية : قالوا لا يتيمم بالخوف من خروج الوقت مع وجود الماء مطلقاً لأنه يكون قد تيمم حينئذ مع =

- القول الذي مال اليه أخيراً بتوريث المسلم من الكافر الذمي.

- القول بعدم وقوع الطلاق بالحلف به إذا حنث وليس على الحانث حينئذ إلاّ كفارة يمين[1] .

- القول بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع إلا واحدة.

- القول بأن المرأة إذا لم يمكنها الإغتسال في البيت وشق عليها النزول الى الحمّام وتكرره ، لها أن تتيمم وتصلي.

- القول بأن لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره[2] ، ولا لأقل الطهر بين الحيضتين ولا بسنّ اليأس من الحيض ، فإن ذلك يرجع الى ما تعرفه كل امرأة من نفسها .

= فقد شرط التيمم .

أما الحنابلة فقالوا : لا يجوز التيمم لخوف فوات الوقت إلا إذا كان المتيمم مسافراً ، وعلم وجود الماء في مكان قريب ، وأنه إذا قصده وتوضأ منه يخاف خروج الوقت فإنه يتيمم في هذه الحالة ويصلي .

أما الحنفية فقالوا إن الصلاة بالنسبة لهذه الحالة ثلاثة أنواع :

أ - نوع لا يخشى فواته أصلاً لعدم توقته وذلك كالنوافل غير المؤقتة .

ب - ونوع يخشى فواته بدون بدل عنه وذلك كصلاة الجنازة والعيد .

ج - ونوع يخشى فواته لبدل، وذلك كالجمعة والمكتوبات فإن للجمعة بدلاً عنها وهو الظهر ، وللمكتوبات بدلاً عنها وهو ما يقضي بدلها في غير الوقت .

- فإن النوافل لا يتيمم لها مع وجود الماء إلاّ إذا كانت مؤقتة كالسنة التي بعد الظهر والمغرب والعشاء فإن أخرها بحيث لو توضأ لفات وقتها ، فإن له أن يتيمم ويدركها . وأما الجنازة والصيد فإنه يتيمم لهما إن خاف فواتهما مع وجود الماء .

وأما الجمعة فإنه لا يتيمم لها مع وجود الماء بل يفوّتها ويصلي الظهر بدلها بالوضوء ، وكذلك سائر الصلوات المكتوبة ، فإن تيمم وصلاّها وجب عليه إعادتها .

أمّا المالكية فاشتهر عنهم بالقول بعدم جواز التيمم للجمعة إذا خاف فواتها وإن كان لهم قول بجواز ذلك .

الفقه على المذاهب الأربعة (قسم العبادات) للشيخ عبد الوهاب خلاف ط . دار الشعب ص ٧٧ .

١) وهذا عند الشافعية أيضاً حيث لا يلزم طلاق ولا غيره .

أنظر فقه السنة لسيد سابق ٨ ص ٤٣ ط . المطبعة النموذجية .

ورد عليه الشيخ السبكي في رسالة سماها الدرة المضية في الرد على ابن تيمية وأخرى في نقد الإجتماع والإفتراق في مسائل الايمان والطلاق . وأرى أن الحق مع الشيخ السبكي . (أنظرهما مطبعة الترقي دمشق سنة ١٣٤٧ هـ .)

٢) هذا ما اعتمده الشيخ سيد سابق في كتابه فقه السنة ج ١ ص ١٤٣ . ودعّمه بالأدلة والأحاديث .

ـ القول بأن تارك الصلاة عمداً لا قضاء عليه ولا يشرع له القضاء ، بل عليه الإكثار من النوافل رجاء غفران الله له[1] .

ـ القول بأن سجود التلاوة ، لا يشترط له الطهارة كما هو مذهب ابن عمر واختيار البخاري[2] .

ـ القول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلي وغيره كالخاتم ونحوه ، بالفضة متفاضلاً ، وجعل الزيادة في الثمن مقابل الصنعة.

ـ القول بأن الماء لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ، إلاّ أن يتغير قليلاً كان أو كثيراً[3]

وله فتاوى كثيرة عديدة[4] . لا مجال لذكرها الآن حتى لا يطول المقام ، وننتقل بعد ذلك الى ثقافته في الفلسفة وعلم الكلام.

وأما عن ثقافته في الفلسفة وعلم الكلام:

« فلقد أخذ أكثر علماء عصره بالحيطة في دراسة المنطق والفلسفة اليونانية ، وأما الذين درسوها فقد تأثروا بها في قليل أو كثير ، حتى أن حجة الاسلام الغزالي . . . لم يتمكن من صون مؤلفاته عنها.

وأما ابن تيمية فقد رفع لواء الثورة على الفلسفة اليونانية ولم يتفاهم معها بحال من الأحوال ، فناقش مقدمات المنطق ومسائل الفلسفة كناقد خبير في كتابه

---

١) وهذا رأي ابن حزم الظاهري الأندلسي . أنظر فقه السنة لسيد سابق ، ج ١ ص ١٩٤ .
والصواب أن عليه القضاء لأنه دين في ذمته ، ودين الله أحق بالقضاء والله أعلم .

٢) واختيار الإمام الشوكاني أيضاً حيث قال : ليس في أحاديث الباب (سجود التلاوة) ما يدل على إعتبار أن يكون الساجد متوضئاً ، وقد كان يسجدﷺ ويسجد معه من حضر تلاوته ، ولم ينقل عنه أنه أمر واحداً منهم بوضوء ، ويبعد أن يكونوا جميعاً متوضئين .
وأيضاً ، فقد كان يسجد معه (ﷺ) المشركون وهم أنجاس لا يصح وضوءهم .
نيل الأوطار للشوكاني ج ٣ ص ١٢٦ سنة ١٩٧٣ ط . دار الجيل / لبنان.

٣) ابن تيمية بقلم د . محمد يوسف موسى (سلسلة أعلام العرب) رقم (٥) المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .
وانظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ج ٢ ص ٣٨٧ ـ ٤٠٨ تحقيق محمد حامد الفقي .

٤) جمعت في كتابه (مجموع الفتاوى لابن تيمية) طبع في عشرين مجلداً بالرياض وكثير منها لم يطبع .

الرد على المنطقيين ، وتناولها بعملية جراحية ، وزعزع أساسها بالكلية ، حتى انه لم يترك موضعاً إلاّ وثقبه بسهامه الحادة »[١] .

« وبين أيدينا اليوم كتابه الرد على المنطقيين ، وهو من أعظم الكتب النافعة في التراث الفكري الإسلامي ، وهو يدل دلالة واضحة على مدى ثقافته المنطقية العميقة »[٢] .

« وهو لم يكتف بالوقوف من الفلسفة والمنطق موقِفاً سلبياً بأن حرم التعامل معها ، بل درسهما ومحصّهما لا ليطلب الحقائق من ورائها ، بل ليبين ما يعارض الدين منهما ، فعنده فيما جاءه عن رسول الله ﷺ ما يكفيه . وليبين خبثهما بعد معرفته والاطلاع عليه ، حتى لا يغترّ الناس ببهرجهما وليستطيع أن يحدّد بعد ذلك طرق العلاج ، التي استنبطها من القرآن والسنة »[٣] .

«ومما لا شك فيه أنه اطّلع على الفلسفة اليونانية ودرسها ، بدليل ما ينقله من آراء أفلاطون وارسطو ، ومقارنته بينهما . ودرس بجانب تلك ، الفلسفة الإسلامية ، ولا سيما كتب ابن سينا ، وابن رشد ، وكان على علم تام بمناهج هؤلاء الفلاسفة الإسلاميين ، وما حاولوه من التوفيق بين الدين والفلسفة »[٤] .

«وكان يذكر عن ابن رشد أنه أفضل الفلاسفة ، كما انّ الباقلاني أفضل الأشاعرة ، رغم معارضته لآرائه في النبوات والمعجزات . وكان يقول عنه « ليس فيهم مثله ولابعده »[٥] .

وهذا مطابق لمنهجه في تسجيل الفضل لذويه ، وإن اختلف معهم .

ولم يمنعه هذا الاختلاف ، من الاستفادة مما في كلامهم من حق في أغلب الأحيان .

---

١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام الجزء الثاني خاص بابن تيمية لأبي الحسن الندوي ط . الكويت ص ٢٧ .

٢) مقارنة بين ابن تيمية والغزالي للدكتور محمد رشاد سالم ص ٢٢ ـ ط . المطبعة السلفية .

٣) أنظر المرجع السابق ص ٤٦ .

٤) ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين للأستاذ محمد خليل هراس ص ٢٧ بتصرف يسير .

٥) الفتوى الحموية تحقيق محمد حامد الفقي ص ١٤٩ . طبع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل .

كما أنه اطلع على رسائل اخوان الصفا ، ونقدها ، إذ قال في رده على النصيرية ما نصّه : « إنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين ، ولا بشيء من كتب الله المنزلة ، وهم يبنون قولهم على مذاهب المتفلسفة الطبائعيين ، لا الإلهيين ، كما فعل أصحاب رسائل اخوان الصفا ، فإنهم تارة يبنونه على قول المتفلسفة ، وغرض المجوس الذين يعبدون النار ويضمون الى ذلك الكفر والرفض ، ويحتجون لذلك من كلام النبوات ، اما بلفظ يكذبون به فيحرّفون نقطة ، ليوافق قول الفلاسفة اتباع أرسطو. . . واما بلفظ ثابت عن النبي ﷺ يحرفونه عن مواضعه ، كما يصنع أصحاب رسائل اخوان الصفا ونحوهم من أئمتهم »[1] .

ولم تسلم الباطنية من نقده، إذ أنكر صحة قولهم :«في أن للقرآن باطناً ، وأن للباطن باطناً ، الى سبعة أبطن »[2] .

وقال: «ان أريد بالعلم الباطن علمٌ مخالفٌ لظاهر الشريعة فإن قائل ذلك اما ملحد أو زنديق واما جاهل ضال»[3] .

وكان له اطلاع واسع على ما كتبه علماء الكلام من متقدمين ومتأخرين ، فقد قرأ كثيراً من كتب المعتزلة وأحاط بمذاهبهم ، وكذلك قرأ كتب الأشعري[4]

١) ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة ص ١١٧ نقلاً من مقدمة رسائل إخوان الصفا لأحمد زكي باشا رحمه الله .

٢) أنظر نقده في رسالة في العلم الظاهر والباطن ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
وانظر أيضاً : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٣ ـ ٧٤ . الطبعة الثالثة / المكتب الإسلامي ـ بيروت / لبنان .

٣) أنظر ص ٢٣٥ من رسالة في العلم الظاهر والباطن .

٤) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر بن أبي موسى بن قيس الأشعري اليماني البصري (أبو الحسن) متكلم ، تنسب إليه الطائفة الأشعرية ولد بالبصرة ، وسكن ببغداد وتوفي بها سنة ٣٣٠ هـ . ومن تصانيفه : الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن خلق الله الأعمال ، الرد على الجسمية ، الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرآن ، والتبينّ في أصول الدين .
أنظر في ترجمته : وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ص ٤١٢ ـ ٤١٣ .

والباقلاني[1] وإمام الحرمين[2] والغزالي[3] والرازي[4] وغير هؤلاء من متأخري الأشاعرة ، وان كثيراً من أحكامه في هؤلاء الأئمة تكشف عن ثاقب فكره وبعد نظره ، فإنه يخبرنا عن نفسه بأنه تأمل في مؤلفات الأشعري واستفاد منها ، إلاّ أنه يعتب عليه أنه تأثر ببعض تعاليم الجهمية والقدرية والمعتزلة .

= النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/ ص ٢٥٩. شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٢/ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥ .

١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري ثم البغدادي المعروف بالباقلاني (أبو بكر) متكلم على مذهب الأشعري ولد بالبصرة وسكن بغداد وسمع بها الحديث أورد على المعتزلة والشيعة والخوارج والجسمية توفي ببغداد سنة ٤٠٣ هـ . من مؤلفاته : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، مناقب الأئمة ونقض المطاعن على سلف الأمة ، اعجاز القرآن ، أسرار الباطنية .
أنظر في ترجمته : الوافي بالوفيات للصفدي ج ٣/ ص ١٧٧ ـ ١٧٨. شذرات الذهب ج ٣/ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ . تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ص ٢٦٣ . البداية والنهاية لابن كثير ج ١١/ ص ٣٩١ ط . الأصمعي / الرياض السعودية .

٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، النيسابوري ، الشافعي الأشعري ، المعروف بإمام الحرمين (ضياء الدين ـ أبو المعالي) فقيه أصولي متكلم ، مفسر ، أديب ، جاور بمكة ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ . ودفن بنيسابور من تصانيفه : نهاية المطلب في دارية المذهب ، الشامل في أصول الدين ، البرهان في أصول الفقه ، تفسير القرآن ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد .
أنظر في ترجمته : البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ١٣٨ . ط . مكتبة الأصمعي للنشر والتوزيع . شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ / ص ٣٥٨ ـ ٣٦٢ طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ / ص ٢٤٩ ـ ٢٨٣ .

٣) محمد بن محمد (أبو حامد) الغزالي ولد سنة ٤٥٠ هـ . وتفقه على إمام الحرمين وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في علوم عديدة ، وكان من الأذكياء ، وسادَ في شبيبته حتى انه درس بالنظامية ببغداد سنة ٤٨٤ هـ . ورحل إلى الشام إلى بيت المقدس ، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين والتزم طريقة التصوف ، وأقبل في آخر حياته على حفظ القرآن وتلاوته ، وحفظ الأحاديث الصحاح .
أنظر في ترجمته :
ـ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
ـ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٤ ص ١٠ ـ ١٣ .
ـ طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

٤) سبق ترجمته ص ٣٣.

وكان كثيراً ما يشير في كتبه الى الإمام الغزالي ، والفخر الرازي[1] .

وقرأ ما كتبته فرقة الكرّامية ، واطلع عليها كما يظهر ذلك في كتبه وأحاط بما كتبه علماء الشيعة ، وملاحدة الباطنية من الاسماعيلية والنصيرية بمختلف مذاهبهم .

ووضع كتاباً في الرد على الرافضة سماه « منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية » يدلنا على مدى فهمه وإطلاعه على ما عندهم .

وكان ملماً أيضاً بالمسيحية وبعقائد فرقها المختلفة وقد وضع كتاباً في الرّد عليهم سماه « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » .

« وكان يعرف اليهودية »[2] . واللغة التركية .

والذي يميز ثقافة ابن تيمية ، أنها ثقافة إسلامية عميقة بالدرجة الأولى ، وأنه يتبع منهاج أهل السنة والجماعة اتباعاً دقيقاً ، وخاصّة منهج الإمام أحمد بن حنبل وكبار علماء الحنابلة وإن كان يأخذ من غيرهم ، كعلماء المذاهب الأربعة ، وكبار المحدثين ، كالبخاري ، والشافعي ، والطبري . . . . الى غير هؤلاء الاعلام .

ولقد أعجب السيوطي بمدى معرفته بالفلسفة والمنطق فقال : « فإن برعت في الأصول وتوابعهما من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ، ومجاراة العقول ، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة ، وأصول السلف ، ولفّقت بين العقل والنقل فما أظنك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تدانيها »[3] .

---

١) أنظر : أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية من مقال لهنري لاوست بعنوان النشأة العلمية عند ابن تيمية ص ٨٤٢ .

٢) أنظر هامش الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ١٧ ط . المكتب الإسلامي الثالثة ص ١٧ . وفيه أنه كان يفهم الكثير من اللغة العبرية ، وسمع التوراة التي بين أيديهم (أنظر - نقض المنطق ص ٩٢) ، كما كان يعرف التركية (أنظر مجموع الرسائل الكبرى ١/ ١٢٤) .

٣) من كتاب ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله ص ١١٦ .

وبعد هذه الجولات مع ثقافته الواسعة في مختلف العلوم الإسلامية ننتقل الى تلك المصنّفات التي جمعت هذه العلوم .

مصنفاته :

لقد منّ الله عز وجل على ابن تيمية بعقل متفتح وبخاطر فياض ، وبقلم سيّال ، وبحب للكتابة ، والتأليف ، حتى انه لما حبس في آخر أيامه وأُخرج من عنده كل شيء ، كتب بالفحم لأنه لا يطيق الجلوس بغير الاشتغال في العلم والكتابة فيه . وهذا محل اجماع المترجمين لسيرته .

وكذلك كان مجلس درسه ووعظه فكان يجلس بعد أن « يصلي ركعتين ، فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ﷺ على صفة مستحسنة مستعذبة ، ثم يشرع ، فيفتح الله عليه ايراد علوم وغوامض ، ولطائف ودقائق ومتون ونقول واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء ، ونصر بعضها ، وتبين صحته وايضاح حجته ، واستشهاد باشعار العرب وربما ذكر اسم ناظمها . وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ، ويفيض كما يفيض البحر ويصير منذ يتلكم الى أن يفرغ كالغائب عن الحاضرين »[1] .

وقال أحد أصحابه « لو أراد أحد حصر مؤلفات الشيخ ابن تيمية لما قدر على ذلك لأنه لم يزل يكتب ، وقد منّ الله عليه بسرعة الكتابة والحفظ ، وكان يكتب من حفظه من غير نقل . وقد كتب مجلداً لطيفاً في يوم ، وكتب مرة اربعين ورقة في جلسة وأكثر ، وأحصيت ما كتبه وبيّضه في يوم فكان ثمانية كراريس في مسألة من أشكل المسائل ، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلداً ، وكثيراً ما كان يكتب الجواب فإن حضر من يبيّضه وإلاّ أخذه السائل وذهب ، ولما حبس تفرق اتباعه ، وتفرقت كتبه ، وخوّفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه ، فذهب كل واحد بما عنده وأخفاه ، فبقي هذا يهرب بما عنده وهذا يبيعه أو يهبه ، وهذا يخفيه أو يودعه ،

---

١) الأعلام العلية ص ٢٧ . ط . المكتب الإسلامي . الثالثة.

حتى إن منهم من تسرق كتبه أو تجحد فلا يستطيع أن يطلبها ، ولا يقدر على تخليصها ، ولو أنّ الله لطف وأعان ومنّ وأنعم ، وجرت العادة في حفظ أعيان كتبه وتصانيفه لما أمكن لأحد أن يجمعها »[1] .

فهذه الظروف القاسية التي مرّ بها ابن تيمية وأتباعه كانت بمثابة العقبات الكأداء أمام جمع مؤلفاته وحصرها ، إلاّ أنه قد جرت محاولات من بعض محبيه لجمع هذه المؤلفات كالشيخ الذهبي[2] حيث قال : « جمعت مصنفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية فوجدته ألف مصنف ثم رأيت له أيضاً مصنفات اخر »[3] .

وتلميذه الحافظ عمر بن علي البزار « أمكنه أن يعد من مصنفات شيخه ابن تيمية ما ينيف على المائه »[4] إلاّ أنه وكما يبدوا أراد بذلك العدد الكتب والرسائل التي تتناول موضوعات مستقلة محدّدة بدليل قوله بعد ذلك انّ (فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن أقدر على إحصائها ، أو يحضرني جملة

---

١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي . ص ٨١ - ٨٢ ، ط . دار الكتاب العربي / بيروت .

٢) سبق ترجمته ص ٦٣ .

٣) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص ٧٢ . ط. المكتب الإسلامي/ بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م.

٤) الأعلام العلية للحافظ البزار ص ٢٦ .

وهو الشيخ العالم الفقيه الفاضل المحدث سراج الدين أبو حفص عمر ابن علي بن موسى بن الخليل البغدادي الأزجي البزار . ولد سنة ٦٨٨ هـ .

سمع ببغداد من عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي وتلا عليه القرآن بحرف أبي عمر بن العلاء .

ورحل إلى دمشق فقرأ على الحجار « صحيح البخاري » بمدرسة شرف الإسلام ابن الحنبلي الدمشقي . وله مصنفات في الحديث والفقه ، وكان ذا عبادة وتهجد .

وقال الشيخ زهير الشاويش : إن الذين ترجموا له ذكروا أن له مصنفات عدة إلاّ أنه لم يعثروا على شيء حتى الآن سوى الأعلام العلية . وتوفي سنة ٧٤٩ هـ . رحمه الله تعالى .

الرد الوافر لابن ناصر الدين ط . المكتب الإسلامي الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠ م . ص ١٩٥ .

مقدمة الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية بقلم الشيخ زهير الشاويش ص ١١ الطبعة الثالثة .

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ / ص ٢٥٦ . طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٢/ ٤٤٤ .

أسمائها ، بل هذا لا يقدر عليه أحد غالباً لأنها كثيرة جداً كباراً وصغاراً ، وهـي منثـورة في البلدان فقلّ بلد نزلته الاّ ورأيت فيه من تصانيفه »[1] .

وإليك ما كتبه في التفسير كما ذكر ذلك تلميذه ابن القيم في مصنفه اسماء مؤلفات ابن تيمية[2] :

١ ـ أوراق على الإستعاذة .

٢ ـ قاعدة في الفاتحة .

ففي سورة البقرة :

١ ـ قاعدة في تفسير أول سورة البقرة .

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً . . ﴾ آية ١٧ .

٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ الاّ من سفه نفسه . . . ﴾ آية ١٣٠

٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ومن حيث خرجت فولّ وجهك شطر المسجد الحرام . . . ﴾ الآية ١٤٩ ـ ١٥٠ .

٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ فمن تمتع بالعمرة الى الحجّ ﴾ الآية ١٩٦

٦ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ فمن اضطر غير باغ ولا عاد . . ﴾ الآية ١٧٣

---

١) الأعلام العلية ص ٢٣ .

٢) أنظر في أسماء مؤلفاته :

ـ أسماء مؤلفات ابن تيمية لابن القيم الجوزية . تحقيق صلاح الدين المنجد ط. دار الكتاب العربي / بيروت .

ـ الوافي بالوفيات لابن الصفدي .

ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ٢٣ ـ ٢٦ .

ـ العقود الدرية من مناقب ابن تيمية لابن عبد الهادي.

ـ دائرة المعارف الإسلامية مادة ابن تيمية بقلم محمد شنب .

ـ أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية ،(مقال النشأة العلمية عند ابن تيمية لهنري لاووست) .

ـ وسأقتصر على ذكر بَعْض مؤلفاته .

٧ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن . . ﴾ الآية ٢٣٣ .

٨ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم . . . ﴾ آية ٢٥٥ .

٩ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمناً . . ﴾ آية ٨ .

١٠ ـ رسالة في تفسير آيات الربا ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

وفي سورة آل عمران :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله الاّ الله . . ﴾ آية رقم ٧

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿شهد الله انه لا إله إلاّ هو . . ﴾ آية رقم ١٨ .

٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات . . ﴾ آية رقم ٧

٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ آية رقم ٨٣ .

٥ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون﴾ نحو عشر ورقات أو أكثر . آية رقم ١٤٦ .

وفي سورة النساء :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله . . . ﴾ الآية نحو مائة ورقة . آية ٧٨ .

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية . . . ﴾ آية ٨٥ .

٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً . . . ﴾ آية ٩٢ .

وفي سورة المائدة :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة . . ﴾ الآية نحو ثلاثين ورقة .

٢ ـ تفسير سورة المائدة (مجلد لطيف) .

وفي سورة الأنعام :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل . . . ﴾ آية , .
٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم . . . ﴾ آية ٨١ .
٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا أحب الآفلين . . . . . ﴾ آية ٧٦ .
٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا تدركه الأبصار . . . ﴾ آية ٣٠ .

وفي سورة الأعراف :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم . . . ﴾ الآية رقم : ١٧١ وهي ٣ قواعد في أكثر من سبعين ورقة .
٢ ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ لنخرجنّك يا شعيب . . . ﴾ آية ٨٧ .
٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ واختار موسى قومه . . . ﴾ آية ١٥٤ .

وفي سورة الأنفال :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ﴾ آية ٦٤ .

وفي سورة براءة :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك . . . ﴾ آية ٧
٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ فأتمّوا إليهم عهدهم . . . ﴾ آية ٥ .
٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إنمّا الصدقات للفقراء . . . ﴾ آية ٦١ .
٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . ﴾ آية ١٢٣ .

وفي سورة هود :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ كتاب أحكمت آياته . . . ﴾ آية ١ .
٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة عن ربه ويتلوه شاهد منه . . ﴾ آية ١٧ .

٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك . . ﴾ تكلم على هذا الإستثناء آية رقم ١٠٨ ـ ١٠٩ .

٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . . ﴾ آية ١١٩ .

وفي سورة يوسف :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء . . . ﴾ آية ٥٣ .

٢ ـ ولقد همت به ، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه . . . ﴾ آية ٢٤ .

٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل . . ﴾ آية ١١٠

٤ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة . . ﴾ آية رقم ١٠٨

وفي سورة الرعد :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويسبّح الرعد بحمده ﴾ . آية ١٤

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ . آية ١٩ .

وفي سورة الحجر :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني . . . ﴾ الآية ٨٧ .

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ هذا صراط علي مستقيم . . ﴾ آية آية ٤١ .

وفي سورة النحل :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً . . ﴾ آية ٧٥ .

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ آية ١١ .
وفي قوله : ﴿لآيات لقوم يعقلون ﴾ آية ١٢
وفي قوله :﴿لآية لقوم يذكرون ﴾ : آية ١٣

٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر . . . ﴾ الآية ١٠٣

وفي سورة الأنبياء :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ لا إله إلاّ أنت سبحانك . . . ﴾ آية ٥٢ . في مجلد لطيف .
٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله . . ﴾ آية ٩٨ .

وفي سورة الحج :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ آية ٥٢ .
٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى ؛ ﴿ ومن عاقب بمثل ما عوقب به . . ﴾ آية ٦٠

وفي سورة النور :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ الزانـي لا ينـكح إلاّ زانية . . . ﴾ آية ٢ في قاعدتين
٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . . ﴾ آية ٣٠ خمس ورقات .

وفي سورة القصص :

١ ـ رسالة في حمو موسى هل هو شعيب أم غيره في كراسة .
٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي . . ﴾ آية ٧٨ .

٣ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض . . . ﴾ آية ٨٣ .

وفي سورة العنكبوت :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ الـم أحسب الناس . . . ﴾ آية ١ ـ ٢ .

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ أقم الصلاة إن الصلاة تنهـي عن الفحشـاء والمنكر . . . ﴾ آية ٤٥ .

٣ ـ رسالة في تفسير قولـه تعـالى : ﴿ ولا تجادلـوا أهـل الكتـاب إلا بالتـي هي أحسن . . . . ﴾ آية ٤٦ .

وفي سورة لقمان :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ آية ١٢ .

وفي سورة السّجدة :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وجعلناهـم أئمة يهدون بأمرنا لمّا صبروا . . . ﴾ آية ٢٤ .

وفي سورة الأحزاب :

١ ـ رسالـة في تفسـير قولـه تعـالى : ﴿ يا أيهـا الـذين آمنـوا اذكروا نعمــة الله عليكم . . ﴾ الآية ٩ . وذكر فيها قصة الخندق .

وفي سورة سبأ :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعـالى : ﴿ قل لا تسألـون عما أجرمنـا ولا نسـأل عما تعملون . . . ﴾ آية ٢٥ .

وفي سورة فاطر :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا . . . . ﴾ آية ٣٢ .

٢ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا . . . ﴾ آية ٣٦ .

وفي سورة غافر :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ رفيع الدرجات . . . ﴾ آية ١٥ .

٢ ـ رسالة في تفسير أواخر السورة : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض . . . ﴾ آية ٨٢ ـ ٨٥ .

وفي سورة الشورى :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء . . . . ﴾ آية ١١ نحو خمسين صفحة .

وفي سورة الزخرف :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ قلْ إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين . . . . ﴾ آية ٨١ .

وفي سورة الدخان :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولقد اخترناهم على علم . . . ﴾ آية ٣٢ .

وفي سورة الجاثية :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وأضله الله على علم . . . ﴾ آية ٢٢

وفي سورة الذاريات :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ في نحو سبعين ورقة آية ٥٦ .

وفي سورة الواقعة :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ آية ٨٣ .

وفي سورة المجادلة :

١ ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلاّ هو رابعهم ، ولا خمسة . . . ﴾ الآية رقم ٧ . وتكلم عن المعية في جميع مواردها .

وفي سورة الممتحنة :

ـ رسالة في تفسير قوله تعالى : ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ آية ١٠ .

ـ تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى (مجلد لطيف) .

ـ تفسير سورة الشمس .

ـ تفسير سورة القلم .

ـ تفسير سورة الفجر .

ـ تفسير لا أقسم بهذا البلد .

ـ تفسير إقرأ باسم ربك الذي خلق .

ـ تفسير لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب .

ـ تفسير قل يا أيها الكافرون .

ـ تفسير تبت .

ـ تفسير المعوذتين .

ـ ولقد طبع تفسير لست سور « الأعلى ، الشمس ، الليل ، العلق ، البينة ، الكافرون » بمطبعة بمباي بالهند.

وهذه الطبعة تشمل بجانب التفسير أبحاث ومناظرات لعلماء الكلام ، ناقشهم ابن تيمية الحساب حيث يأوّلون الصفات ، ويعطلونها .

ـ ولقد علّق على هذه المجموعة تعليقات نافعة ومفيدة ، وخرّج أحاديثها وترجم اعلامها الأستاذ عبد الصمد شرف الدين . الذي ظفر بهذه المجموعة في كتاب « الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري » لابن عروة الدمشقي الحنبلي المتوفى سنة ٨٣٧ هـ . والمحفوظ بخزانة دار الكتب المصرية تحت رقم ٦٤٥ .

ومن مباحث هذا الكتاب :

صفة العلو ، مسألة النزول ، قيام ابراهيم وموسى ومحمد بأصل الدين ، التوحيد ، وحدة الأديان ، إخوة الرسل الكرام ، الرّد على ابن بطوطة في الهامش ، بقلم عبد الصمد شرف الدين .

ـ **تفسير سورة الإخلاص** . طبع في الكويت / مكتبة المنار الإسلامية عام ١٩٧٧ م .

وهو مؤلف واف بمعاني السورة ، وحاول قدر طاقته البشرية ان يبين مراد الله فيها من خلال تعرضه لحقيقة التوحيد ، ومعاني الصمد والصبر ، وكيفية المعاد من أنه بالروح والجسد ، والمحكم والمتشابه ، وحاول أن يكشف عن الفروق بين التفسير والتأويل ، وختم تفسير السورة بالحديث على معاني الإستواء والمراد بها ، وجزم بأن الكيفية لا نعلمها ، وإن كنا نعلم معنى الإستواء .

وتحدث عن نشأة الأوثان وخطرها على العقيدة وكيف أن الإسلام احتاط في ذلك بالوسائل المختلفة .

- وكتب أيضاً قاعدة في فضائل القرآن .

- وأخرى في أقسام القرآن ، وأمثال القرآن .

- « وهذا المصنفات التي سبقت الإشارة إليها بعضها مجلد كبير ، وبعضها مجلد صغير »[١] .

« وله من الأجوبة والقواعد شيء كثير غير ما تقدم ذكره يشق ضبطه واحصاؤه ، ويعسر حصره واستقصاؤه ، وسأجتهد إن شاء الله في ضبط ما يمكنني من مؤلفاته في موضع غير هذا »[٢] .

ومن مؤلفاته المشهورة : -

١ - درء تعارض العقل والنقل :

اجمع الذين ذكروا مؤلفات الشيخ ابن تيمية بأنه أهم كتبه ، وذكروه بأكثر من عنوان .

فالذهبي سماه « الموافقة بين المعقول والمنقول »[٣] في مجلدين وعلق ابن عبد الهادي على قول الذهبي السابق بقوله : « هذا الكتاب وهو كتاب درء تعارض العقل والنقل - في أربع مجلدات ، وهو كتاب حافل عظيم القدر رد الشيخ فيه على الفلاسفة والمتكلمين ، وله كتاب في نحو مجلد أجاد فيه على ما أورده كمال الدين ابن الشريشي على الكتاب »[٤] .

وذكره ابن القيم بين مؤلفات شيخه باسم « درء تعارض العقل والنقل »[٥] .

---

١) العقود الدرية ص ٥٢ .

٢) العقود الدرية في مناقب ابن تيمية ص ٨٠
قال هذا الكلام صاحب العقود بعد أن ذكر شيئاً من هذه القواعد ، وذكر ابن القيم في رسالته في أسماء مؤلفات ابن تيمية الشيء الكثير الكثير .

٣) العقود الدرية تحقيق حامد الفقي ط . محمود توفيق بالقاهرة سنة ١٩٣٨ م . ص ٢٥

٤) العقود الدرية ص ٢٥ - ٢٦ .

٥) أسماء مؤلفات ابن تيمية تحقيق صلاح الدين المنجد ط . دمشق أو طبعة بيروت - دار الكتاب العربي .

أما صاحب الأعلام العلية الشيخ عمر البزار فذكره باسم « الجمع بين العقل والنقل »[1] .

أما ابن تيمية نفسه فقد سماه في معظم كتبه « درء تعارض العقل والنقل »[2] .

ويبدأ ابن تيمية كتابه هذا بعد الخطبة ، بعرض مفصل لقانون حل تعارض الأدلة السمعية والعقلية . فيقول : «فصل» قول القائل : إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل ، أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات ، فإما أن يجمع بينهما وهو محال ، لأنه جمع بين النقيضين وإما أن يردّا جميعاً .

وإمّا أن يقدم السمع ، وهو محال لأن العقل أصل النقل ، فلو قدمناه عليه ، كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل .

والقدح في أصل الشي قدح فيه ، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً ، فوجب تقديم العقل .

ثم إن النقل إما أن يتأول ، وإما أن يفوض وإما إذا تعارضا ، تعارض

---

١) ص ٢٣ .

٢) أنظر كتاب : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية لابن تيمية ، وبهامشه الكتاب المسمى « بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول » ط . مكتبة الرياض الحديثة بالرياض . ج ٣/ ص ٧٠ ، وص ١٠٦ ، وص ١١١ .

وانظر كذلك : كتاب الرد على المنطقيين ص ٢٥٣ ـ ٢٧٣ . وسماه في موضع آخر من هذا الكتاب (ص ٣٢٤) ب « بيان تعارض الشرع والعقل » .

وانظر : الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح فأسماه « رد تعارض العقل والشرع » ج ٣/ . ص ٢٦٧ ط . المدني القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

وفي كتابه : الفرقان بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان أسماه « رد تعارض العقل والنقل » ، ص ٧٥ . الطبعة الخامسة / المكتب الإسلامي / بيروت ـ لبنان .

الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما »[1]

والغاية من تأليفه هذا الكتاب أشار اليها بقوله « لمّا كان بيان مراد الرسول ﷺ في هذه الأبواب لا يتم إلاّ بدفع المعارض العقلي ، وامتناع تقديم ذلك على نصوص الأنبياء بينا في هذا الكتاب ، فساد القانون الفاسد الذي صدّوا به الناس عن سبيل الله ، وعن فهم مراد الرسول وتصديقه فيما أخبر »[2] .

وردّاً على ما ادعوه من وجوه عديدة حتى بلغت أربعة وأربعين وجهاً ، تحدث من خلالها ، عن عدة مباحث من أهمها ، « مسألة العلو » حيث شغلت جزءاً كبيراً من الكتاب . وفنّد كلام الفلاسفة في ذلك وعرض كذلك لقول الفلاسفة بالعقول العشرة والأفلاك . ولقد طبع جزء من هذا الكتاب لم يكمل بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم .

وهو من أعظم كتب ابن تيمية ، وكما قال عنه تلميذه ابن القيم ، « كتاب لم يطرق العالم له نظير في بابه ، فقد هدم فيه قواعد أهل الباطل من أسسها فخرّت عليهم سقوفه من فوقهم ، وشيّد فيه قواعد أهل السنة والحديث ، وأحكمها ، ورفع أعلامها وقرّرها بمجامع الطرق المختلفة . . . فجاء كتاباً لا يستغني من نصح نفسه من أهل العلم عنه ، فجزاه الله عن أهل العلم والإيمان أفضل جزاء وجزاء العلم والإيمان عنه كذلك »[3] .

٢ ـ كتاب الـرّد على المنطقيين :

نشره السيد عبد الصمد شرف الدين بمباي الهند سنة ١٩٤٩م. في ٥٨٧ صفحة .

وله اسم سابق على هذا الاسم « نصيحة أهل الايمان في الرد على منطق

١) درء تعارض العقل والنقل ج ١ ، ص ٢ هامش منهاج السنة النبوية . مكتبة الرياض بالسعودية .
٢) المرجع السابق ، ج ١ ص ١١ .
٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ص ١٩٥ ، ط . المطبعة المنيرية سنة ١٣٥٧ هـ .

اليونان » وقد لخّصه السيوطي بعنوان « جهد القريحة في تجريد النصيحة » .

وقد نشره الاستاذ علي سامي النشار سنة ١٩٤٧م . ملحقاً بكتاب صون المنطق للسيوطي .

وقد عرض ابن تيمية في هذا الكتاب لأقسام المنطق الأرسطاليسي وتتبعها في كلياتها وجزئياتها،ولقد سبق ابن تيمية الكثيرين في الهجوم على هذا المنطق القياسي ونقده ، ووضع البدائل له من الأدلّة القرآنية والأحاديث النبوية ، وتحدث فيه على المنهج الأستقرائي وكيفية نشأته عند المسلمين .

« ويتميز هذا الكتاب بأصالة نادرة مع نظريات نقدية تاريخية ، وتطبيقات للنظريات المنطقية اليونانية والنظريات المنطقية الإسلامية على مختلف العلوم النظرية والدينية والتجريبية .

وقد عرض لهذا كله بأسلوب فاتن حيث لا يشعر القارىء أنه أمام كتاب قديم ألّف في القرن الثامن الهجري »[١] .

وله كتاب صغير في نقد المنطق باسم « نقض المنطق » حققه الشيخ محمد حامد الفقي . طبع في مطبعة السنة المحمدية (القاهرة) .

٣ ـ كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم :

وهو كتاب مليء بالحجج والبراهين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لرد البدع والخرافات التي علقت بأذهان المسلمين .

والباعث على تأليفه استبعاد بعض الناس مجيء الشريعة بمخالفة أهل

---

١) المكتبة الإسلامية (كلية الإمام الأوزاعي) وهي نشرات كتبت باسم الكلية (نقلاً عن كتاب الدليل البيبليوجرافي للقيم الثقافية العربية سنة ١٩٨٠ م . ص ١٧ .

ـ وانظر معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ، مؤسسة الرسالة ط . السادسة سنة ١٩٨١ ص ٤١٣ .

الكتاب لكون ذلك يضطرهم إلى مخالفة العادات التي نشأوا عليها ، وتمسكوا بها ، وأنه لما رأى كثيراً من الناس قد عمهم البلاء حتى أخذوا من الجاهلية بعض الأمور وغلبت على تصرفاتهم .

فألّف هذا الكتاب الذي جاء بحجمه لأنه لم يرد استقصاء جميع ما ورد في ذلك من أقوال العلماء والآثار .

وقد عرض فيه للآيات التي تحضّ على مخالفة أهل الكتاب ، ودلّل على ذلك من الكتاب السنة ، وأتى على تفريعات كثيرة من عاداتهم ، وتقاليدهم .

ورد فيه على قول من قال: ان النبيﷺ كان يحب موافقة أهل الكتاب ، وتعرض للقاعدة الشرعية التي تقول « شرع من قبلنا شرع لنا » وناقشها .

ثم تحدث عن لفظة البدعة لغة واصطلاحاً وخلص الى أن الضابط في ذلك « هو أن الناس ، لا يحدثون شيئاً إلاّ لأنهم يرونه مصلحة ، إذ لو اعتقدوه مفسدة لم يحدثوه ، فإنه لا يدعو اليه عقل ولا دين ، فما رآه المسلمون مصلحة نظر في السبب المحوج اليه ، فإن كان السبب المحوج اليه أمراً حدث بعد النبي ﷺ لكن تركه النبيﷺ ، ومن غير تفريط منه ، فهنا قد يجوز إحداث ما تدعو الحاجة اليه ، وكذلك إن كان المقتضي فعله قائماً على عهد رسول الله ﷺ موجوداً لو كان مصلحة ، ولم يفعل : يعلم أنه ليس بمصلحة .

وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخالق ، فقد يكون مصلحة ، ثم هنا للفقهاء طريقان :

أحدهما : ان ذلك يفعل ما لم ينه عنه ، وهذا قول القائلين بالمصالح المرسلة .

الثاني : إن ذلك لا يفعل ما لم يؤمر به ، وهو قول من لا يرى إثبات الأحكام بالمصالح المرسلة .

وهؤلاء ضربـــان :

- منهم من لا يثبت الحكم إن لم يدخل تحت دليل من كلام الشارع أو فعلـه أو إقراره ، وهم نفاة القياس.

- ومنهم من يثبته بلفظ الشارع أو بمعناه ، وهم القياسيون .

فأما من كان المقتضي لفعله موجوداً ، لو كان مصلحة ، وهـو مع هذا لم يشرعه ، فوضعه تغيير لدين الله ، وإنما أدخله فيه من نسب الى تغيير الدين من الملوك والعلماء والعباد ، أو من زل منهم باجتهاد »[1] .

وبالجملة فالكتاب لا يستغني عنه طالب علم ، وخصوصاً في مقارنة الأديان لأنه من الكتب المعتمدة في توضيح ما عليه النصارى واليهود ، وكيفية مخالفتهـــم .

٤ - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيـح :

يقع هذا الكتاب المطبوع بمصـر سنة ١٩٠٥م ، في أربعة أجزاء ، وهي تبلغ أكثر من الف وأربعمائة صفحة بالقطع الوسط .

وهو كتاب مكمل للكتـاب السابـق وهـو ردّ لجـواب ورد من قبـرص فيه الاحتجاج لدين النصارى ، بما يحتج به علماء دينهـم ، وفضلاء ملّتهم ، قَديماً وحديثاً من الحجج السمعية والعقلية فاقتضى أن يقوم ابن تيمية بهذا الجواب حتى يحصل به فصل الخطاب حيث قال : « وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلاً فصلاً ، واتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً وأصلاً ، وعقداً وحلاً. . . . فإن هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك ، ويتناقلها علماؤهم بينهم ، والنسخ بها موجودة قديمة وهي مضافة الى بولص الراهب أسقف صيدا الإنطاكي كتبها الى بعض أصدقائه » .

---

١) إقتضاء الصراط المستقيم ط . مطابع المجد التجارية السعودية ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

« وقد اشتمل الكتاب في ردّه على ستة فصـول :

١ ـ دعواهم أن محمدﷺ لم يبعث الاّ الى أهل الجاهلية من العرب .

٢ ـ دعواهم انّ القرآن أثنى على دينهم الذي هم عليـه .

٣ ـ دعوى أن نبوات الأنبياء المتقدمين تشهد لدينهم الذي هم عليه من الأقانيـم والتثليـث والاتحاد وغير ذلك .

٤ ـ فيه تقريـــر ذلك بالمعقـول .

٥ ـ دعوى أنهم موحدون ، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر فيها تعدد الآلهة كألفاظ الأقانيـم .

٦ ـ إن المسيح جاء بعد موسى عليهما السلام بغاية الكمال ، فلا حاجة بعد النهاية الى شرع مزيد على الغاية »[١] .

ويبدو أنّ الغرض الأول من تأليف هذا الكتـاب إضافـة الى رده على هذه الإدعاءات الست المتقدمة هو بيان أصول الشرائع السماوية والكتب المنزّلة وأنها واحدة[٢] .

وإثبات نبوة محمّدﷺ وأن كتبهم وأناجيلهم صرّحت بذلك[٣] ، حتى لا يبقى بعد ذلك مقال لزائغ أو مجال لطاعن حاقد ، وهذا إقامة للحجة عليهم ، وهـم محجوجون بالنبي العظيمﷺ الى قيام الساعة وأي انسان منهم أو من غيرهم لا يؤمن به فهو كافر من أهل النار كما نطقت بذلك الأحاديث الصحيحة . شارحاً ذلك بشيء من سيرة النبيﷺ وهديه وأوصافه وأخلاقه ومعجزاته .

---

١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ١٩ ـ ٢٠ الجزء الأول .
٢) أنظر ج ٣ ص ٢٤٥ .
٣) أنظر ج ٣ ص ١١٠ من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

٥ ـ الرسالة التدمريــة :

نشرت بإشراف الأستاذ محمد زهدي النجار ـ القاهرة ـ مطبعة الإمام سنة ١٩٤٩ م . وقد نشرت أيضاً في بيروت ط . المكتب الإسلامي .

وتعالج هذه الرسالة مشكلة الصفات الإلهية واختلاف الفرق في إثباتها أو نفيها ، كما تعالج مشكلة التوحيـد في العبادة ومعنى الإله ، والفِرق التي خاضت في مشكلة القضاء والقدر ، وأقسام النّاس في العبادة.

وفي الرسالة مناقشة صارمة للمعتزلة والفلاسفة والباطنية ، وهي تكشف عن تناقضهم حيث ينكرون تعدد الصفات كما جاء بها القرآن .

ويؤكد فيها نظرية السّببيّة ، وينكر نظرية الفيض ، ويدحض مسألة الحلول والإتحاد التي اعتقد بها البعض ويسفه رأي المتصوفة القائلـين بالفنـاء ، ويصف القائلين بالإتحاد بأنهم أهل الإلحاد .

٦ ـ العقيـدة الحمويـة الكبـرى :

وهي جواب عن سؤال ورد من حماه سنة ٦٩٨هـ . في آيات الصفات كقوله تعالى « الرحمن على العرش استوى »[1] والأحاديث الواردة في ذلك .

وتعرض بسببها الى فتـن ومحـن ، وثـار عليه جماعـة من الفقهـاء « وأرادوا إحضاره الى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي ، فلم يحضر ، فنودي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة بالحموية ، فانتصر له الأمير سيف الـدين جاعـان انتصـاراً شديداً حتـى أنـه ضرب بعض من قام عليه ، فسـكت الباقون ، ثم في الجمعة التي تلت ذلك الموقف عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته ، وفسرّ قوله تعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ثم اجتمع بالقاضي إمام

١) سورة طه آية ٥ .

الدين يوم السّبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء وبحثوا في الحموية وناقشوه في أماكن عدّة منها ، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير[1] » . فسكنت الفتنة ، وهدأت الخواطر الى حد ما .

وهي الرسالة التي قال في بدايتها : قولنا فيها ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وما قاله أئمة الهدى من بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره .

٧ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :

طبع خمس مرات الأولى والثالثة في بيروت والباقي في دمشق / المكتب الإسلامي .

وقد ألّفه شيخ الإسلام لما هاله من كثرة إدعاء الصلاح عند الناس لأدنى صلة خير ، ولاضطراب الموازين عند كثير من الناس ، فذكر في صفات أولياء الله تعالى ، وأقسامهم وتفاضلهم بحسب أعمالهم ، وأنه لا عصمة لولي ، وهي مقصورة على الأنبياء فقط لنزول الوحي عليهم ، وأن خوارق العادات ليست دليلاً على الولاية .

وردّ فيه على من قال : إن من الأولياء من هو أفضل من الأنبياء وأن النبوة لم تنقطع .

ورد فيه أيضاً على من قال بالحلول والإتحاد ، وذكر بعض معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء . وذكر شيئاً من الفروق بينهما ، وأن مبنى الكرامات على الايمان والتقوى لا على الجهل والدعوى .

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ، ج ١٤ ص ٤ ط . المتوسط بيروت / لبنان .

٨ ـ شرح حديث النــزول:

بينّ فيه أنّ النــزول صفة ذات لا صفة فعل ، ونقل فيه روايات عن أئمة السنة كحماد بن زيد ، وإسحاق بن راهوية وهو مطبـوع في المكتـب الإسلامـي ـ بيروت .

٩ ـ الرّد على الاخنائي [١] واستحبـاب زيارة خـير البـرية الـزيارة الشرعية:

وسبب تأليفه لهذا الكتاب « انه قد ارسل اليه بعض اصحابه جزءاً اخبر انه صنفه بعض القضاة وقد تكلم في المسألة التي انتشر الكلام فيها ، وهي السفر إلى غير المساجد الثلاثة ، كالسفر الى مجرد زيارة القبور هل هو حرام او مباح أو مستحب بلا نزاع ، وهي المسألة التي أجاب عنها الإمام منذ مدة بالقاهرة، لكن لاظهـار بعض الناس لها ظانا ان الذي فيها خلاف الاجماع، وان السفر لمجرد قبور الأنبياء والصالحين هو مثل السفر المستحب بلا نزاع، وهو السفر إلى مسجد نبينا (محمد صلى الله عليه وسلم) المتضمن لما شرعه الله من السفر إلى مسجده والصلاة فيه، والسلام عليه ومحبته وتعظيمه، وغير ذلك من حقوقـه في مسجـده المؤسسس على التقوى ألَّفَ هذا الكتاب وطبع بمصر سنة ١٣٤٦ هـ .

١٠ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة:

شرح فيه المراد بلفظة التوسل «وانه يراد به ثلاثة معان:

---

١) المسمى بقاضي القضاة علم الدين أبو عبد الله محمد بن القاضي بن شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة الأخنائي السعدي المصري الشافعي الحاكم بدمشق وأعمالها ، كان عفيفاً ذكياً سار العبارة محباً للفضائل ، معظماً لأهلها،كثير إسماع الحديث في العادلية الكبرى . توفي في ١٣ من ذي القعدة ودفن بسفح قاسيون بدمشق .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٣٨ .
وانظر شذرات الذهب لابن العماد ج ٦ ص ١٠٣

٢) أنظر حياة شيخ الإسلام لمحمد بهجة البيطار ص ٦٧ الطبعة الثانية ط . المكتب الإسلامي .

احدهما : التوسل بطاعلته صلى الله عليه وسلم فهذا فرض لا يتم الايمان الاّ به .
الثاني : التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته صلى الله عليه وسلم ، ويكون بعد مماته يوم القيامة .
الثالث : التوسل به بمعنى الأقسام على الله بذاته ، والسؤال بذاته ، فهذا الذي لم يكن الصحابة يفعلونه ، في الإستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ، ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم وهذا هو الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه بأنّه لا يجوز ، ونهوا عنه حيث قالوا : لا يسأل بمخلوق»[1] .

١١ ـ كتاب الاستعانة المعروف بالرد على البكري [2] :

وهو ردّ على مسألة الاستغاثة بالمخلوقين، «وفيه مباحث جليلة في مدوني التفسير والحديث والسير والتاريخ والجرح والتعديل، وذكر طائفة من الكتب المعتمدة، وبيان ما اتسع فيه الكذب من فضائل الأعمال والاشخاص والاماكن والأزمان، وفيه تحقيق للفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب ، وخلص فيه الى انه لا يجوز للانسان الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى»[3]. وهو مطبوع في مصر سنة ١٩٣٦م.

---

١) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار ص ٦٤ ط . المكتب الإسلامي .

٢) (أبو الحسن) علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي له تصانيف وقرأ مسند الشافعي على وزيرة بنت المنجا ، ثم إنه أقام بمصر ، وقد كان في جملة من ينكر علي ابن تيمية فأراد بعض رجال الدولة قتله ، فهرب واختفى عنده ، لما كان ابن تيمية قيّماً بمصر ، وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كـدِرَه لاطمت بحراً عظيماً صافياً . . . ودفن بالقاهرة وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة ، وكان شيخه ينكر عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له أنت لا تحسن أن تتكلم . وتوفي سنة ٧٢٤ هـ . ودفن بالقاهرة .
البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٠٠ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٦ ص ٦٤ .

٣) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية لمحمد بهجة البيطار ، ص ٦١ ـ ٦٢ ط . المكتب الإسلامي .

١٢ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول :

« كان هذا الرجل الشاتم واسمه عساف من أهل السويداء وقد شهد عليه جماعة انه سب النبي صلى الله عليه وسلم استجار عَسَّاف هذا بابن احمد بن حجي امير آل علي ، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفارقي في دار الحديث فدخلا على الأمير عز الدين ايبك الحموي نائب السلطنة فكلَّماَه في ذلك ، فأجابهما إلى طلبهما وارسل يحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس ، فرأوا عسّافا حين قدم ، ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه ، فقال ذلك الرجل البدوي ـ هو خير منكم ـ يعني النصراني ، فرجمهما الناس بالحجارة ، وأصابت عسافا ، ووقعت محنة عظيمة قوية ، فارسل النائب فطلب الشيخين ، فضربهما بين يديه ، وقدم النصراني فأسلم ، وعقد مجلس بسببه وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ، فحقن دمه ، ثم استدعى الشيخين ، فأرضاهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز فقتله ابن اخيه قريبا من مدينة الرسول ﷺ . وصنف الشيخ ابن تيمية كتابه في هذا «وهو مطبوع متداول»[١] .

١٣ ـ فتاوى ابن تيمية :

ولقد طبعت في خمسة مجلدات كبار (بالرياض) ثم طبعت أغلب فتاواه في سبعة وثلاثين مجلداً جمعها عبد الرحمن بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي . بالرياض سنة ١٣٨٢ هـ . الطبعة الأولى وهي في الحقيقة عبارة عن أبحاث في مختلف العلوم تفسير ، عقائد ، فقه . . . الخ وهي أشبه بالموسوعة العلمية .

وهناك الكثير جداً من فتاواه والتي لم تطبع حتى الآن .[٢] .

ولقد ترك رحمه الله كثيراً من المؤلفات المفيدة والنافعة ، وفيما ذكرته كفاية ،

---

١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ / ص ٣١٨ .

٢) لقد أخبرني الشيخ زهير الشاويش محقق الكثير من كتب ابن تيمية بأن لديه مخطوطات كثيرة في فتاواه التي لم تنشر حتى الآن ، وهو بصدد إخراجها ونشرها .

ومن أراد الاطلاع على مؤلفاته واسمائها فليرجع إلى الكتب التي تَرجَمت للشيخ ولقد اشرت اليها في هامش صفحة ٩٠.

بعض الملاحظات:

ما من أحد يكتب كتاباً أو يؤلف رسالة إلاّ ويتمنّى بعد الفراغ منها إذا قدم أو أخرّ، او حذف أو اضاف، ويلحظ القراء له او عليه، وجل من له الكمال والتمام وحده، الذي انزل على رسوله كتابا، لا يخلق على كثرة الرّد، ولا تنقضي عجائبه. ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾[1] وابن تيمية، ترك الكثير من المؤلفات، إذا طالعت شيئاً منها، فستجد نفسك أمام:

١ ـ عاطفة قوية جيّاشة.

٢ ـ انفعالات حادة[2].

وكأنها ترتسم على قسمات وجه مؤلفها لأنه انّه كان يكتب وهو متأثر بواقع مرير انحدر اليه المسلمون في عصره، وهذا شأن كل الغيورين المخلصين الذين يودّون النّهوض بامتهم من المسلمين ليكونوا على مستوى خير امه اخرجت للناس حتى يتبوّءوا مكانتهم في قيادة البشرية والأخذ بيدها إلى شاطىء الأمان.

ولعلّ شيئاً من هذه الحدّة اتصف بها وكمنت في دائرة اللاشعور عنده، فلا تظهر إلا عند اشتداد الخصومة مع مناوئيه، إذ انه مؤمن بصحة قوله بعد وضوح الأدلة من الكتاب والسنة.

وتمتاز مؤلفاتِه كذلك بالسلامة من الناحية الفنية، وخُلُـوّها من التعقيدات اللفظية، ويعلوها جمال الأسلوب وسلاسة الألفاظ من غير قصد منه لذلك وكما قال عنه صاحب الأعلام العلية «يجـري كما يجـري السيل، ويفيض كما يفيض البحر، ويصير منذ أن يتكلم إلى أن يفرغ، كالغائب عن الحاضرين»[3]. ولكن

١) سورة النساء، آية ٨٢.

٢) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي طبعة المكتب الإسلامي سنة ١٩٨٠ م. ص ٧٢.

٣) الأعلام العلية، ص ٢٨ ط. المكتب الإسلامي الثالثة.

لا تخلو هذه الكتب من ملاحظات فلنوضحها :

أولا : كثرة الاضطراب والاستطراد، والانتقال من معنى لمعنى آخر لأدنى مناسبة تذكر وكثيرا ما تجد تحقيق مسألة من المسائل في غير مظانها.

ثانياً : عدم التبويب لموضوعاته ، والتنسيق لفصوله . إذ أنّ هذه القضايا من ضرورات التأليف، فلو كان هناك تبويباً منظماً هادفاً، مفصلا، لأراح طالب الافادة من كتبه كثيراً.

مع أنَّ الإستطراد يحمل في طياته كثرة المعلومات ودقة الملاحظة والإستنباط ، وكل هذا دليل على شدّة الذكاء ، ووفرة العقل ، وحضور البديهة .

وليس الاستطراد مقصورا على التأليف بل كانت دروسه العامة التي يلقيها في المسجد تحويه ايضاً فيفتح الله عليه ايراد علوم وغوامض ولطائف ودقائق وفنون ونقول، واستدلالات بآيات واحاديث، وأقوال العلماء، ونصر بعضها، وتبيين صحته او تزييف بعضها وايضاح حجته واستشهاد باشعار العرب، وربما ذكر اسم ناظمها، وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل، ويفيض كما يفيض البحر»[1].

أقوال العلماء فيه :

سأذكر أقوال بعض العلماء الذين عاصروه فعرفوه ، وأقوال البعض الذين عرفوه من قراءة كتبه وتراجمه ، لتكون بمثابة عنصر من عناصر التقييم لشخصيته .

قال فيه ابن كثير[2] :

« وأثنى عليه وعلى علومه ، وفضائله جماعة من علماء عصره ، مثل القاضي

---

1) الأعلام العلية ص ٢٨ ط . المكتب الإسلامي / بيروت .

2) سبق ترجمته ص ٦٥ .

الخوني ، وابن دقيق العيد وابن النحاس ، والقاضي الحنفي قاضي مصر ابن الحريري وابن الزملكاني وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه قال « اجتمعت فيه شروط الإجتهاد على وجهها وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبادة، والترتيب والتقسيم والتبين ، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات :

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

وكل هذا الثناء عليه وعمره يومئذ نحو الثلاثين سنة »[1] .

وقال فيه الحافظ فتح الدين . أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمري المصري[2] :

---

١) تاريخ ابن كثير ، ج ١٤ ص ١١٩ ط . المتوسط .

٢) هو الشيخ الحافظ الفقيه العالم الأديب البارع أبو الفتح محمد ابن الحافظ أبي عمر بن محمد ابن الحافظ العلامة الخطيب أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن أبي قاسم ابن سيد الناس اليعمري الأندلسي ، الإشبيلي ثم المصري الشافعي ولد بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ . وتوفي سنة ٧٣٤ هـ . ودفن عند ابن أبي حمزة. وله مصنفات مفيدة منها :

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير .
- النفح الشذي في شرح كتاب الترمذي .
- المقامات العلية في الكرامات الجلية .
- الشعر الرائق الفائق .
- النثر الموافق ، البلاغة التامة .
- حسن الترصيف والتصنيف .
- العقيدة السلفية الموضوعة على الآي والأخبار والآثار والاقتفاء بالآثار النبوية .

وانظر في ترجمته الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ط. سنة ١٩٨٠م. المكتب الإسلامي ص ٥٧ . البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ ص ١٤٧ ط . المتوسط . تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٤ ص ٢٨٥ . فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج ٢ ص ١٦٩ - ١٧٢ .

« فألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظاً ، إن تكلم في التفسير ، فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه ولم تر عين من رآه مثله ، ولا رأت عينه مثل نفسه »[1] .

وقال فيه الذهبي[2] :

« وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أنـي ما رأيت بعينـي مثلـه ، ولا والله هو ما رأى مثـل نفسـه في العلـم بـ . . . . ورثاه بقصيـدة منها :

ياموت خذ من أردت أو فدع	محـوت رسـم العلـوم والورع
أخذت شيخ الإسلام وانفصمت	عرى التقى واشتفى أولو البدع
غيّبـت بحـراً مفسرّاً جبـلا	حبـراً تقيّـا مجانـب الشّيـع
فـإن يحـدّث فمسـلـم ثقـة	وان يناظر فصاحب « اللمع »[3]
وإن يخض نحـو سيبـويه يفه	بـكل معنـى في الفـنّ مخترع
وصـار عالي الاسنـاد حافظه	كشعبـة أو سعيـد الضبـعي .
والفقـه فيه مكان مجتهـداً	وذا جهـاد عار من الجزع[4]

وقال فيه الحافظ كمال الدين الزملكاني[5] :

« كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسّامع أنـه لا يعـرف غير

---

١) الرد الوافر لابن ناصر الدين ط . المكتب الإسلامي سنة ١٩٨٠ ص ٥٧ .
٢) سبق ترجمته ص ٦٣ .
٣) « اللمع » كتاب في أصول الفقه للإمام إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هـ .
٤) الرد الوافر لابن ناصر الدين طبعة سنة ١٩٨٠ ص ٧٢ ـ ٧٣ .
وانظر طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين الداوودي المتوفى سنة ٩٤٥ هـ . ص ٤٨ .
٥) تقدمت ترجمته ص ٣٨ .

ذلك الفن ، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك »[1]

وقال فيه الشيخ عماد الدين الواسطي[2] :

« فوالله ثم والله ثم والله ، لم ير تحت أديم السماء مثل شيخكم ابن تيمية ، علماً وعملاً وحالاً ، وخلقاً واتباعاً وكرماً ، وحلماً ، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرماته.

أصدق الناس عقيدة ، وأصحهم علماً وعزماً . وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق ، وقيامه بهمّة ، وأسخاهم كفاً ، وأكملهم أتباعاً لنبيه محمد ﷺ. ما رأينا في عصرنا من تستجلي النبوة المحمديّة ، وسننها من أقواله وأفعاله إلاّ هذا الرجل ، يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة »[3] .

وقال فيه شيخ النحاة أبو حيان[4] لما اجتمع به :

« ما رأت عيناي مثل ابن تيمية »[5] .

---

1) الراد الوافر لابن ناصر الدين ط . سنة ١٩٨٠ م المكتب الإسلامي ص ١٠٥ .
وانظر ترجمة شيخ الإسلام بقلم محمد كرد علي ص ٧ .

2) هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود بن عمر الواسطي الحزامي ابن شيخ الحزاميين . ولد سنة ٦٥٧ هـ . وتوفي سنة ٧١١ هـ . وقرأ ببلدة واسط شيئاً من الفقه على مذهب الإمام الشافعي ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن طائفة ثم حج وأقام بالقاهرة ثم انتقل إلى دمشق وصحب الشيخ ابن تيمية وأمره بمطالعة السيرة النبوية فلزمها وأدمن مطالعتها . اختصر سيرة ابن إسحاق . وله مؤلفات غالبها في اقتفاء السنة وطريقة التصوف والرد على المبتدعة كالاتحادية وغيرهم . وكان الذهبي يعظمه ويثني عليه . الرد الوافر لابن ناصر الدين ط . سنة ١٩٨٠ ص ١٢٤ ، شذرات الذهب لابن العماد ج ٦ ص ٢٤ .

3) شذرات الذهب ج ٦ ص ٨٥ ط . القدس .

4) سبق ترجمته ص ٧٥.

5) الرد الوافر ط . المكتب الإسلامي سنة ١٩٨٠ ص ١١٤ . تحقيق الأستاذ زهير الشاويش .

وقال فيه تاج الدين السبكي[1] :

« والله يا فلان ما يبغض ابن تيمية إلاّ جاهل أو صاحب هوى ، فالجاهل لا يدري ما يقول وصاحب الهوى يبعده هواه عن الحق بعد معرفته »[2] .

وبعد : فهذا قليل من كثير ، بل في كتاب الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي المتوفي سنة ٨٤٢هـ . أقوالٌ كثيرة كلها تشهد ، وتحمل الثناء على ابن تيمية حيث أن مؤلفه رحمه الله أراد الرّد على من كفر من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام فهو أثبت أنه شيخ الإسلام على لسان أقرانه ، وأتى بسجل وافٍ من الثناء والذكر الجميل . ولقد طبع الكتاب أكثر من مرة .

أما العلماء المحدثون :

١ ـ ما قاله فيه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي[3] العمري المتوفى سنة ١١٧٦هـ في رسالته التفهيمات الإلهية :

« فإنا قد تحققنا من حاله ، أنه عالم بكتاب الله تعالى ومعانيه اللغوية والشرعية ، أستاذ في النحو واللغة ، محرر لمذهب الحنابلة ، فروعه وأصوله فائق في الذكاء ، ذو لسان وبلاغة ، في الذب عن عقيدة أهل السنة ، لم يؤثر عنه فسق

---

١) هو محمد بن عبد البر بن يحيى بن تمام يوسف بن موسى بن تمام بن تميم بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سوار بن سليم الأنصاري الخزرجي السبكي ولد سنة ٧٠٧ هـ . وتوفي سنة ٧٧٧ هـ . سمع الحديث من خلق منهم ابن الشحنة ، وابن الواني أبو الحسن ويونس الدبوسي ذكره الذهبي في معجمه المختص بالمحدثين .
الرد الوافر ط . سنة ١٩٨٠ ، ص ٩٣ ، الأعلام للزركلي ج ٧ ص ٥٥ .
الوافي بالوفيات للصفدي ، ج ٣ ص ٢١٠ ـ ٢١٤ .

٢) الرد الوافر ط . أولى سنة ١٩٨٠ المكتب الإسلامي ص ٩٥ .

٣) ولي الله عبد الرحيم العمري الدهلوي ، محدث ، مفسر ، فقيه ، أصولي ، ولد بدهلوي بالهند ونشأ بها من آثاره الإرشاد إلى مهمّات علم الإسناد ، إنسان العين في مشايخ الحرمين وغيرهما (معجم المؤلفين لكحالة ج ١٣ ، ص ١٦٩) .

ولا بدعة ، اللهم إلاّ هذه الأمور التي ضيق عليه لأجلها ، وليس بشيء منها إلاّ ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار السلف ، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم ، ومن يطيق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره »[1] .

٢ ـ ما قاله الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله :

« كان ابن تيمية عظياً في ذات نفسه اجتمعت له صفات لم تتجمع في أحد من أهل عصره ، فهو الذكي الالمعي ، والكاتب العبقري ، وهو الخطيب المصقع ، وهو الباحث المنقب ، وهو العالم المطلع الذي درس أقوال السابقين ، وقد أنضجها الزمان وصقلتها التجارب ، ومحّصتها الاختبارات ، فنفذت بصيرته الى لبها وتغلغل في أعماقها ، وتعرف أسرارها ، وفحص الروايات ، ووازن بين الآراء المختلفة ، وطبقها على الزمان »[2] .

٣ ـ ومما قال فيه الأستاذ أنور الجندي :

انه في تقدير الباحثين رابع أربعة ، كانوا رمزاً للتحدي ، ورد الفعل في مواقف التطور الفكري والإجتماعي للإسلام ، والعالم الإسلامي ، وهم : ابن حزم[3] ، والغزالي[4] ، وابن تيمية[5] ، والأشعري[6،7] ، «وننتقل الآن الى منهجه في التفسير.

---

١) المجدون في الإسلام من القرن (١ ـ ١٤) لعبد المتعال الصعيدي ص ٢٤٣ .

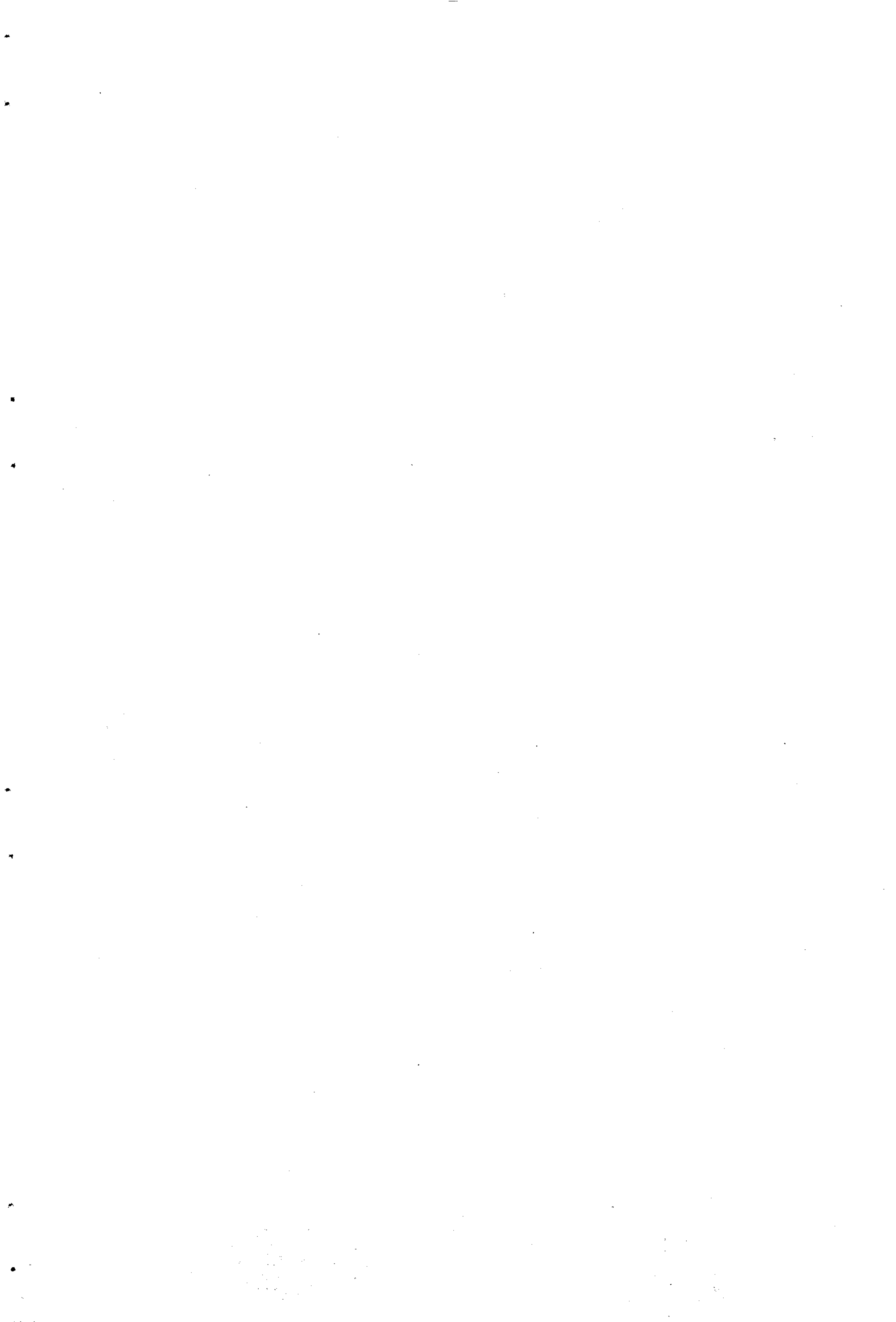
٢) ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله .

٣ و٤ و٥ و٦) سبقت ترجمتهم صفحة ٧٩ ، ٨٦ ، ٤٥ ، ٨٥.

٧) نوابغ الفكر الإسلامي لأنور الجندي ص ٣١١ .

الباب الثاني

منهجه وآراؤه في التفسير



الفصل الأول

منهجه في التفسير

المنهج الفكري العام :

يحسن بنا قبل أن نتكلم عن منهجه في التفسير أن نقف على المنهج الفكري العام والأصول المنهجية التي سار عليها ابن تيمية . ويتمثل ذلك في الآتي :

أولاً :

كان لا يعتمد على العقل وحده ، بل عمدته الكتاب والسنة أولاً ، ويستخدم العقل للتزكية والتقريب ، وليس للإهتداء إلى حقائق الأمور .

وهو بهذا لم يهمل العقل كلياً ، لأن فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فهما عميقاً يحتاج ، إلى عقل واع وفكر مستنير[١] .

« وإذا كان منهج علماء الكلام قائماً على أساس تفسير النقل وتأويله وتطويعه لما يدينون به ، ويعتقدونه من مذاهب وآراء ، فإنّ منهج ابن تيمية كان قائماً على أساس أنه لا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام ، وكل ما يتصل بها إجمالاً ، وتفصيلاً واعتقاداً واستدلالاً إلا من القرآن والسنّة المبينة له والسير في مسارهما ، فهو يجعل النقل متبوعاً لا تابعاً ، وحكماً لا محكوماً عليه .

وإذا كان للعقل مجال عنده ففي مجال تقريب المعقول من المنقول (لا العكس) ، وإن كان يعتقد أن النقل الصحيح لا يمكن أن يعارضه عقل بريء من الهوى وسلم من دواعي الإنحراف »[٢] .

---

١) أنظر ابن تيمية بقلم محمد يوسف موسى سلسلة أعلام العرب رقم (٥) ص ١٢٧ وما بعدها .

٢) أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية ص ٧٨٣ . من مقال بعنوان « الجبر والإختيار عند ابن تيمية » بقلم محمد سعيد عبده .

وابن تيمية لم يلغ دور العقل بالكلية في انتصاره لآراء السلف وتأييده لمنهجهم بل كثيراً ما استخدم الأقيسه العقلية ، وخصوصاً قياس الأولى الذي هو اثبات حكم الأدنى للأعلى لأولويته به[1] .

« واستخدم قاعدة الكمال أيضاً ، وتوسع في استخدامها إلى أقصى حد ، ويرى أنها كانت ولا تزال معتد العقلاء قديماً وحديثاً في إثبات وجود الله تعالى وصفاته »[2] .

«كما أنه ينكر قياس الغائب على الشاهد ، ويرى أنه لا يجوز استخدامه في الشؤون الإلهية ، لأنها فوق ما تدركه عقولنا وتتصوره حواسّنا فيقول : « ومما يوضح أن العلم الالهي ، لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الفرع والأصل ، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده ، فإن الله تعالى ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوى أفرادها .

ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية لم يصلوا بها إلى اليقين بل تضاربت أقوالهم ، وتناقضت أدلتهم ، وغلب عليهم بعد التناهي في الحيرة والإضطراب »[3] .

ثانياً :

كان لا يتبع الرجال على أسمائهم ، فليس لأحد عنده مقام إلا الدليل من الكتاب والسنة أو آثار السلف رضي الله عنهم ، فما من قول يتلقى تلقياً ، ويسوع فيه الإتباع من غير دليل ، مهما تكن درجة الإمامة عند قائله ، وينعى أشد النعي على الذين يتبعون الأقوال من غير معرفة أدلتها ، ووجه الحق فيها ، إذا كانوا

---

١) ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين لمحمد خليل هراس ص ٦٦ .
٢) ابن تيمية السلفي ، ونقده لمسالك المتكلمين ص ٦٦ .
٣) ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين ص ٦٨ .

قادرين على الإستدلال ووزن الأدلة الشرعية ، والمقابلة بين النصوص المختلفة ، وأنه ليوجب على المقلد لمذهب إذا رأى حديثاً يخالفه أن يعدل عن مذهبه في موضوع الحديث ان كان قادراً على فهمه . . . .[1] . شريطة أن يعلم صحة هذا الحديث .

ولذلك كان يروي عن الأئمة رحمهم الله تعالى : انهم نهوا تلاميذهم عن أن يتبعوا آراءهم انْ وجدوا من الدين ما يخالفها ، . . . ولهذا خرج على النّاس بآراء لم يألفوها ، ولكنه كان يردّها إلى أصولها من الكتاب والسنة .

ثالثاً :

« لا تعصب عنده في تفكيره فلم يسيطر عليه فكر معين يتعصب له ، ويجمد عليه ، بل كان حر التفكير ، خلع نفسه من كل ما يقيده إلاّ الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح »[2]

وكثيراً ما كان يعتذر عمن يخالفه في الرأي ، ويفترض أنه مجتهد ، والمجتهد يخطيء ويصيب بل انّه كتب رسالة بعنوان « رفع الملام عن الأئمة الاعلام » معتذراً عنهم داعياً إلى تقديرهم واكبارهم فيقول : « يجب بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن وخصوصاً العلماء الذين هم ورثه الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة الأنبياء ، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم يهتدى بهم في ظلمات البر والبحر وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتم إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ علماؤها شرارها إلاّ المسلمين ، فإن عُلَماءَهُم خيارهم ، فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنّته ، بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا . وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمّة قبولاً عاماً يتعمّد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سننه دقيق أو جليل .

---

1) ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة ط . دار الفكر العربي ص ٢١٦ .

2) ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢١٨ .

فهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسولﷺ ، وعلى أن كل أحد من النّاس يؤخذ من قوله ويترك إلاّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا وجد لواحد منهم قول ، قد جاء حديث صحيح بخلافه ، فلا بد له من عذر في تركه ، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف .

أحدها : عدم اعتقاده أن النبيﷺ قاله .

ثانيها : عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول .

ثالثها : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ[1] .

أما عن قواعد المنهج الذي ارتضاه في باب الصفات فهي :

١ ـ « أنّ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ، لا يجوز إطلاق شيء على الله في الإثبات أو النفي إلاّ بإذن من الشارع .

٢ ـ إن الله عز وجل في كل ما نثبت له من الأسماء والصفات لا يماثل شيئاً من خلقه ، ولا يماثله شيء ، بل كل ما نثبت له من صفات الكمال فهو مختص به ، لا يشركه أحد من خلقه ، وإذا كان هناك من الأسماء ما يطلق على صفات خلقه ، فليس هذا إلاّ مَحْضُ اشتراكٍ في الإسم ، لا تقتضي مماثلة صفاته لصفاتهم أصلاً .

٣ ـ إنه سبحانه موصوف بصفات الكمال التي لا غاية فوقها منزّة عن سمات النقص والاحتياج[2] .

ويرى بعضهم أن ابن تيمية اعتمد في منهجه على الآتي :

١ ـ النص : فإذا وجد النص افتى بموجبه ، ولم يلتفت إلى ما خالفه ولا من خالفه كائناً من كان .

---

١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص ٩ ـ ١٢ . الطبعة الخامسة المكتب الإسلامي / بيروت .

٢) مجلة التضامن الإسلامي تصدر عن وزارة الأوقاف والحج بمكة العدد ٢٦ يوليو سنة ١٩٧٢ م . من مقال بعنوان « ابن تيمية المفسر » لمحمد خليل هراس .

٢ - فتوى الصحابة : فإذا اختلفوا تخيرّ من أقوالهم ما كان أقرب من الكتاب والسنّة .

٣ - الأخذ بالحديث المرسل والضعيف : إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه .

كقوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم . . ﴾[١] .

« وأمّا المسندة فمنها ما رواه ابن الجوزي باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال : « من نظر إلى غلام أمرد بريبة حبسه الله في النار أربعين خريفاً »[١]

وكقوله عند حديثه عن النجاسة المعنوية ، وأنه لا يرفعها عمن تَنَجَّسَ بها قلبه وباطنه إلاّ التوبة النصوح المستمرة إلى المات « وهذا معنى ما ورد عن ابن أبي الدنيا وغيره ، حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن اسماعيل بن كثير عن مجاهد قال : لو أن الذي يعمل عمل قوم لوط اغتسل بكل قطرة في السماء وكل قطرة في الأرض ، لم يزل نجساً »[٢] .

ولعلو مرتبة ابن تيمية في علوم الحديث كان ينبه على الحديث الضعيف وذلك

---

١) تفسير سورة النور لابن تيمية تحقيق صلاح عزام / ط . الشعب ص ٧٣ .
والحديث : لم أجده في موضوعات ابن الجوزي بهذا اللفظ وإنما ورد فيه : « من قبّل غلاما لشهوة لعنه الله » وهو موضوع من جهة عدي .
وفيه أيضاً : « من قبل غلاماً بشهوة عذبه الله في النار ألف سنة » . حديث موضوع من جهة داود ابن عفان . ج ٣ ص ١١٢ ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٢) تفسير سورة النور لابن تيمية ص ٩٩ / ١٠٠ .
والحديث : أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات وورد لفظ« لو اللوطي اغتسل بماء البحار لم يجيء يوم القيامة إلا جنباً » والحديث رجا له ثقات إلاّ أبي سهل . وهو موضوع ، وورد في كشف الخفاء ومزيل الإلباس » لو اغتسل اللوطي بماء البحر لم يجيء يوم القيامة إلا جنباً » .
أسنده الديلمي عن أنس مرفوعاً ، وأسنده أيضاً عن أبي هريرة رفعه بلفظ « المتلوط لو اغتسل بكل قطرة من السماء على وجه الأرض إلى أن تقوم الساعة لما طهره الله تعالى من نجاسته أو يتوب » وذكره ابن الجوزي في الموضوعات أيضاً .
كشف الخفاء ص ١٥٤ ، ج ٢ حديث رقم ٢٠٩٣ .

لأن القاعدة السلفية تمنع رواية الحديث الضعيف من غير بيان درجته ، وكان لهذه القاعدة الفضل الأكبر في تنقية كتب السلف من كثير من الموضوعات والضعاف التي تجدها عند غيرهم .

٤ ـ استعمال القياس عند الضرورة القصوى[١] ، ويرجع إلى الاستحسان والاستصحاب ، ولا يعدل عن الظاهر إلاّ عند الضرورة التي لا مناص منها .

٥ ـ الناحية التاريخية ، التي كثيراً ما احتكم إليها مع من يخالفه « لأنه من المعلوم بالضرورة لمن تدبّر الكتاب والسنّة أنّ خير قرون هذه الأمة[٢] في الأقوال والأفعال والإعتقاد وغيرها من كل فضيلة ، القرن الأول ، ثم الذين يلونهم ، كما ثبت ذلك عن النبيﷺ من غير وجه . . . إلى أن قال : وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رضي الله عنه في رسالته : « هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل وكل سبب يناله به علم أو يدرك به هدى ، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا »[٣] .

فالتحاكم لما كان عليه أهل القرون الثلاثة الأولى كان شأنه وديدنه عن علم ومعرفة بكل ذلك .

« ولو ادّعينا أنه لم يأت عالم (مثله) يعرف ما طرأ على الدين ومذاهب أهله فيه ، ساعة ساعة ، ويوماً يوماً ، ما قدر أحد على ردّ دعوانا[٤] .

وهناك ملاحظتان إيجابيتان لا بد من ذكرهما لما لهما من صلة وثيقة بالمنهج الفكري العام .

١) أنظر تفسير سورة النور لابن تيمية ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

٢) أنظر صحيح مسلم المجلد الخامس ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ ط . الشعب بإشراف الأستاذ عبد الله أبو زينة ففيه « خير أمتي القرن الذي يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وغيرها من الروايات في هذا المعنى .

٣) نقض المنطق لابن تيمية مطبعة السنة المحمدية ١٢٩ ـ ١٣٠ .
وانظر : نوابغ الفكر الإسلامي للأستاذ أنور الجندي ص ٣٤٠ .

٤) ترجمة ابن تيمية بقلم الأستاذ محمد كرد علي ص ١٦ .

الملاحظة الأولى :

أنه كان يرد القول لقائله بعد تحقيق وتمحيص ولا يكتفي بنسبته إليه في الكتب بل يعمل جهده لأن يلتقي به ويشافهه ان كان معاصراً له وأمكنة لقياه .

الملاحظة الثانية :

أنه كان يهتم بتحديد « مدلولات الألفاظ » إذ عليها يتوقف مدار البحث . وذلك على ضوء معرفته باللغة والعادة والعرف الذي نزل في القرآن والسّنة ، وما كان الصحابة يفهمونه من الرسولﷺ عند سماعهم لتلك الألفاظ .

وتحديد الألفاظ قبل البدء بالمناقشة من أهم ما توصي به الفلسفة الحديثة فقد جاء في كتاب « مبادىء الفلسفة لرابوبرت » ما نصه : « ولا يخفى ما في تحديد الألفاظ من الفائدة ، فكثيراً ما يثور الخلاف بيننا في مسألة ، ويشتد الخلاف والجدال في موضوع ، ويظهر أن المتجادلين على خلاف فيما بينهم وهم في الواقع على اتفاق ، ولو حدّدت ألفاظهم لتجلّ لهم أنهم على رأي واحد .

ولعل منشأ الغلط في الفهم ، الغلط في تحديد الألفاظ أو غموضها أو تعقيدها والتباسها ، ولذلك كان « ڤولتير » يبدأ المناقشة دائماً بقوله : «حدّد ألفاظك » فالعلم بمعاني الألفاظ علم صحيح لا يستغنى عنه للتفكير الصحيح ، ولا للحكم الصحيح »[1] .

والآن على ضوء منهجه الفكري العام ، يمكننا أن نتبين معالم **منهجه في التفسير : -**

إنَّ منهجه في التفسير ينطلق من أنّ النبيﷺ فسر القرآن الكريم كله ولم يترك فيه جزءاً يحتاج إلى بيان أو تفصيل أو تقييد إلاّ بينه أو فصله أو قيده . كما

---

[1] مبادىء الفلسفة لرابوبرت ترجمة الأستاذ أحمد أمين ص ٦٦ .

قال الله تعالى لرسوله ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾[1].

فإن قال قائل: « فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب:

إنَّ أصح الطرق أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في موضع بسط في موضع آخر... فإن لم تجده.

فمن السنّة، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ. قال فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. قال: فضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله... »[2] الحديث.

وحينئذ إن لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبارؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، وعبد الله بن مسعود »[3].

---

١) سورة النحل آية ٤٤.

٢) هذا الحديث أخرجه أبو داود قال: حدثنا حفص بن عمر عن شعبه عن أبي عون عن الحارث عن عمرو بن أبي المغيرة بن شعبة عن أناس من أهل حمص من أصحاب معاذ بن جبل... الحديث. سنن أبي داود ج ٣ ص ٣٠٣ في باب اجتهاد الرأي في القضاء حديث رقم ٣٠٩٢ ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

- وأخرجه ابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ. في كتابه جامع الأصول في أحاديث الرسول. جمع عبد القادر الأرناؤوط. ج ١٠ ص ١٧٧ في كيفية الحكم / حديث رقم ٧٦٧٣ ط. (مطبعة الملاح - الحلواني - دار البيان).

- وقال عنه ابن كثير في تفسيره أنه مروي في السنن والمسند بإسناد جيد ج ١ ص ٣. ط. دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي / القاهرة. لكن تكلم الترمذي وابن حزم في كتابه الاحكام في إسناده حيث قالوا ان الحارث بن عمرو مجهول ولا يدري من هو.. الاحكام لابن حزم ص ٧٧٣.

٣) مقدمة في أصول التفسير ص ٩٣ - ٩٥.

وذكر السيوطي في كتابه الإتقان من اشتهر في التفسير من الصحابة وهم « الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم ، وهناك من تكلم في التفسير غير هؤلاء . كأنس بن مالك وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين ، غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جدّاً ، ولم يكن لهم من الشهرة بالقول في القرآن ما كان للعشرة المذكورين أولاً .

كما أن العشرة المذكورين والمشهورين بالتفسير تفاوتوا قلّة وكثرة ، فأبو بكر وعمر وعثمان لم يرد عنهم في التفسير إلاّ النزر اليسير .

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو أكثر الخلفاء الراشدين رواية عنه في التفسير[1] ومن المعلوم أن قول الصحابي فيما ليس للرأي فيه مجال ولا للإجتهاد فيه مدخل له حكم المرفوع إذا كان هذا الصحابي ممن لا يعرف بالأخذ عن الإسرائيليات[2] .

ويقرر ابن تيمية ان الصحابة كانوا يطلبون معاني القرآن ، بجانب حفظهم للفظه فيقول : « إذ من المعلوم أن كل كلام المقصود منه فهم معانيه ، دون مجرد ألفاظه فالعادة تقر ألاّ يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه ، فكيف بالكلام الذي فيه عصمتهم ، ونجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم ، ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً »[3] .

ثم إن ابن تيمية إذا لم يجد التفسير في القرآن والسّنة أو في أقوال الصحابة ، فقد رجع كغيره من الأئمة إلى أقوال التابعين .

---

١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ، ص ١٨٧ .
٢) أنظر مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٢٥ ط . دار الكتب العلمية / بيروت
٣) المقدمة في أصول التفسير ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور ص ١٠١ .

فإنّ منهم من هو آية في التفسير كمجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن ابي رياح ، والحسن البصري ، ومسروق بن الأجدع ، وسعيد بن المسيب ، وأبي العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة والضّحاك بن مزاحم . . . . . وغيرهم .

والسبب في أخذه بأقوال التابعين ، لأنهم في الأغلب تلقوا هذه الأقوال عن الصحابة الذين تلقوها بدورهم عن رسول الله ﷺ . وعلى ذلك فليست أقوالهم شيئاً قالوه من عند أنفسهم .

« فعن الفضل بن ميمون قال : سمعت مجاهداً يقول : « عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرّة» . وعنه أيضاً قال : « عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، أقفه عند كل آية منه ، وأسأله عنها فيم نزلت وكيف كانت » .

وقال خصيف : كان أعلمهم بالتفسير مجاهد .

وقال النووي : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . . . ولهذا اعتمد على تفسيره الشافعيّ والبخاري وغيرهما من أهل العلم .

وكان عكرمة يقول : « ولقد فسرت ما بين اللوحين » .

ويقول أيضاً : كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل ، ويعلمني القرآن والسنن »[1] .

ولم يكن ابن تيمية في رجوعه إلى أقوال التابعين ، إلا متّبعاً لكبار الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل ، وهذا فيما أجمعوا عليه ، ويكون قولهم عندئذ حجة على من خالفهم ، أما إذا اختلفوا ، فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم .

---

١) أنظر في هذه الأقوال الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٨٩ .

وعلى هذا يمكننا أن نلخص منهجه في تفسير القرآن بالآتي :

١ ـ تفسيره القرآن بالقرآن .
٢ ـ تفسيره القرآن بالسّنة .
٣ ـ تفسيره القرآن بأقوال الصحابة .
٤ ـ الأخذ بما أجمع عليه التابعون ، وإذا اختلفوا تخيرّ من أقوالهم ما كان أقرب إلى لغة القرآن أو السّنّة ، أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة .

وهو منهج سليم ، سار عليه في تفسيره للآيات التي عرض لها ، وإن كانت لا تخلو من استطرادات في أمور خارجية لأدنى مناسبة تذكر ، ومن بعض نظراته المحمودة في معاني الآيات القرآنية . وهو الذي سار عليه تلميذه ابن كثير في تفسيره[1] من بعده حيث ذكره في مقدمة تفسيره والتزم به .

موقفه من الإسرائيليات :

اسرائيليات : جمع «اسرائيلية » والنسبة فيها الى «اسرائيل» وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام.

واسرائيل : كلمة عبرانية مركّبة من «اسرا» بمعنى «عبد» و«ايل» بمعنى الله ، فيكون معنى الكلمة : عبدالله وصفوته من خلقه .[2]

« وهذه الكلمة قد غلبت على كل ما نقل من اليهودية الى الإسلام ، وما نقل عن الأديان الأخرى اليه ولكنها خصّت بهذا الاسم ، لأن أغلب ما نقل عن الأديان الأخرى ، واليهودية ، كان طريقة أولئك الاسرائيليون »[3] .

---

١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٥ ـ ٧ .
٢) دائرة معارف القرن العشرين مجلد ١ ص ٢٨٠ تحت كلمة إسرائيل ، والأولى أن تكون النسبة إلى عجز المركب الإضافي (بني إسرائيل) .
٣) نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن الكريم للدكتور السيد أحمد خليل ص ٣٧ .

ومنهم من قال : « هذه الكلمة يهودية الأصل »، و« قد أطلقها علماء المسلمين على جميع العقائد غير الإسلامية ولا سيما تلك العقائد والأساطير التي دسّها اليهود والنصارى في الدين الإسلامي منذ القرن الأول الهجري »[1] .

« ولقد تسربت هذه الإسرائيليات الى كتب التفسير نتيجة لتسرب الثقافة اليهودية والنصرانية الى الثقافة العربية الإسلامية ، فالعرب كان لهم بحكم رحلاتهم المختلفة اختلاط باليهود والنصارى ، وكانت هناك طوائف من اليهود تقيم في يثرب بالحجاز وكان النصارى يقيمون في نجران باليمن ، فكان من الطبيعي أن تتم اللقاءات بين العرب من جهة واليهود والنصارى من جهة أخرى ، والعرب بحكم بداوتهم وأميتهم قوم يتشوقون إلى معرفة أخبار الأولين وقصص السابقين ، ومن أجل ذلك كانوا يأخذون هذه الأخبار والقصص عن أهل الكتاب الذين يجتمعون بهم ، يضاف الى ذلك أن طائفة من أهل الكتاب دخلوا في الإسلام كوهب بن المنبه[2] وكعب الأحبار[3] وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج[4] وهؤلاء

---

١) السيادة العربية والشيعية والإسرائيلية في عهد بني أمية .
لڤان فلوتن ترجمة وتعليق د . حسن إبراهيم ، ود . محمد زكي إبراهيم ص ١٠٩ .

٢) هو أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني الصنعاني ولد سنة ٣٤ هـ . في اليمن . ويذكر الذهبي أنه ولد في خلافة عثمان رضي الله عنه . توفي سنة ١١٤ هـ . على أرجح الأقوال .
روى عن أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وعبد الله بن عمر وابن عباس وغيرهم . وروي عنه ابناه عبد الله ، وعبد الرحمن ، وأخوه إسماعيل وهمام وابن أخيه عبد الصمد ، وعمر بن دينار وغيرهم وأخرج له البخاري والترمذي ومسلم وأبو داود والنسائي .
من آثاره : (ذكر الملوك المتوجة من حميد وأخبارهم وقبورهم وأشعارهم) في مجلد
ـ قصص الأنبياء ـ قصص الأخيار .
ـ أنظر في ترجمته : معجم المؤلفين لكحالة ج ١٣ / ص ١٧٤ .
الأعلام للزركلي ج ٩/ ص ١٥٠ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢/ ص ٢٣٨ .

٣) أبو إسحاق كعب بن ماتِعْ الحميري توفي سنة ٣٢ هـ . في حمص وكان يهودياً يمنياً واعتنق الإسلام . وقدم المدينة أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم خرج إلى الشام فاصطفاه معاوية ، وجعله من مستشاريه وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام . وهو من رواة الحديث .
ـ دائرة المعارف الإسلامية ص ٥٨٢ مادة كعب الأحبار . ـ الأعلام للزركلي مجلد ٥ ص ٣٢٥ .

٤) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم ، المكي ، محدث ، حافظ ، فقيه ، مفسر ، =

جميعاً كانوا مصدراً من أهم المصادر التي أدخلت الاسرائيليات في المجتمع الإسلامي وفي ثقافة المسلمين[1] .

وفي هذا يقول ابن خلدون « وقد جمع المتقدمون في ذلك - أي في التفسير المستند إلى الآثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول - ومقاصد الآي . . . , ، إلاّ أنّ كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدون منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ، ومن تبع دينهم من النصارى »[2].

ونظرة لما بين أيدينا من كتب التفسير ، لا نكاد نجد تفسيراً يخلو من هذه الاسرائيليات ، لكن مع تفاوت فيما بينها قلة وكثرة ، وبين ناقد محّص لها معقّب عليها أو تارك لها من غير تعقيب .

فمن المكثرين لرواياتها الإمام محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، في كتابه « جامع البيان في تفسير القرآن » ، والإمام أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ . في تفسيره « الكشف والبيان عن تفسير القرآن » .

= رومي الأصل ، ولد بمكة وقدم العراق ، وحدث بالبصرة من آثاره : السنن ومناسك الحج ، تفسير القرآن .

- أنظر : معجم المؤلفين لكحالة ج ٦ ص ١٨٤ . وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٥٩. تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٢ .

١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب فايد . ط . المطبعة الأميرية سنة ١٩٧٣ م . ص ١٧٨ .

٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٣٩ - ٤٤٠ ط . دار القلم / بيروت .

ومن احتاط في إيرادها والأخذ بها الإمامان ابن كثير وابن عطية في تفسيريهما .

وينعي الشيخ أحمد شاكر رحمه الله على من يورد هذه الإسرائيليات في مقام التفسير للقرآن الكريم .

فيقول : « إن إباحة التحدث عنهم ـ أهل الكتاب ـ فيما ليس عندنا دليل على صدقة ولا كذبة ـ شيء ، وذكر ذلك في تفسير القرآن وجعله قولاً أو رواية في معنى الآيات أو في تعيين ما لم يعين فيها ، أو في تفصيل ما أجمل فيها شيء آخر ، لأن في إثبات ذلك بجوار كلام الله ما يوهم إن هذا الذي لا نعرف صدقة ولا كذبه ، مبين لقول الله سبحانه ومفصّل لما أجمل فيه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك ، وأن رسول الله ﷺ أذن بالتحدّث عنهم ، فأمرنا أن لا نصدقهم ، ولا نكذبهم ، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ، ونضعها منه موضع التفسير ، أو البيان ، اللهم غفراً »[1] .

وهذا الذي قاله المرحوم الشيخ أحمد شاكر رأي له وجاهته حيث أن كتاب الله أرفع وأجل من أن يقرن تفسيره بمثل هذه الترّهات والخرافات . حيث تذهب جماله ورونقه .

ورغم اقتناع جميع المفسرين بضرورة التخلص من هذه الإسرائيليات إلاّ أنهم لم يتمكنوا من طرحها جانباً لضرورة بيان المبهم وتفصيل المجمل خاصّة في باب القصَصْ القرآني إذا لم يرد في ذلك شيء صحيح عن رسول الله ﷺ، ولم يكن المسلمون بحاجة إلى أن يعرفوا لون كلب أهل الكهف ، وصفات ناقة صالح ، وهدهد سليمان ، والجزء الذي ضرب به القتيل ليحيا ويخبر عن قاتله ، وعن موضوع زينب بنت جحش وأن النبي ﷺ قال : « سبحان مقلب القلوب بعد إعجابه

---

١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ـ اختصار المرحوم الشيخ أحمد محمود شاكر . ط . دار المعارف / مصر ١٣٧٦ هـ . ج ١ ، ص ١٥ .

بها »[1] ، وعن الذئب الذي اتهمه أبناء يعقوب بأكل يوسف ، وعما جرى بينه وبين يعقوب عليه السلام .

ولأمثّل بتفسير ابن كثير المشهور بتشدده وحيطته الشديدة في الإسرائيليات ، وكثيراً ما يعرض عنها بالكلية كقوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[2] ذكر ابن حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها »[3].

وكما فعل عند تفسيره لقوله تعالى من سورة « ص » ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ﴾[4].

فقال : قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه لكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة القصة ، وأن يرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق وما تضمنه فهو حق أيضاً »[5].

وكتعليقه على الروايات التي أوردها في قصة هاروت وماروت التي مفادها ، أنهما ملكين أنزلا إلى الأرض ، وسلطت عليهما الزهرة وهي من أجمل نساء الدنيا ، بقوله : « غريب جداً » .

---

١) قصة « زينب بنت جحش » لا تدخل في باب الإسرائيليات عند بعض العلماء إلاّ على سبيل التجوز وهي أَلْصَقُ بالدَّخيل في التفسير إذ هي أقوال وردت عن بعض السلف لم تثبت صحتها .
٢) آية ٣٧ من سورة الأحزاب .
٣) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٩١ ط . عيسى الحلبي وشركاه .
٤) سورة ص آية ٢١ .
٥) تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ٣١ ط . عيسى الحلبي وشركاه .

ومع هذا النقد الشديد منه للروايات نجده يورد روايات غريبة ، ولا يعقب عليها بكلمة ، تفيد تضعيف هذه الرواية

كقوله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ﴾[1] .

« فقيل كان أول من أدخل من الطيور الدرة وآخر من أدخل من الحيوانات الحمار ، فتعلق إبليس بذنبه وجعل يريد أن ينهض فيثقله إبليس ، وهو متعلق بذنبه ، فجعل يقول له نوح عليه السلام مالك ؟ ويحك . أدخل فينهض ولا يقدر فقال أدخل وإن كان إبليس معك ، فدخلا في السفينة وذكر بعض السلف أنهم لم يستطيعوا أن يحملوا معهم الأسد حتى ألقيت عليه الحمّى . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث ، حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ رسولﷺ . قال : لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال أصحابه : وكيف تطمئن المواشي ومعها الأسد ؟ فسلط الله عليه الحمى ، فكانت أول حمى نزلت في الأرض ثم شكوا الفأرة ، فقالوا الفويسقة تفسد علينا طعامنا ومتاعنا ، فأوحى الله إلى الأسد فعطس ، فخرجت الهرة منه فتخبأت الفأرة منها »[2] .

هذه روايات الظاهر فيها أنها غريبة ومنكرة كان الأولى به أن ينزه تفسيره عنها حتى يظل على نهجه وسيرته متألقاً بين التفاسير الأخرى . وإنما سقت هذه الروايات لأبينّ أن حتى هذا العالم النحرير ، لم يستطع أن يتخلص من هذه الروايات بالكلية . .

إذن فما موقف شيخه ابن تيمية منها ؟

لم يقبل ابن تيمية من هذه الإسرائيليات إلاّ ما قام الدليل على نقلها ، نقلاً صحيحاً ، وليس في شرعنا ما يخالفها .

---

١) سورة هود ، آية ٤٠ .

٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٤٤٥ ط . عيسى الحلبي وشركاه .

ولقد قسم الروايات الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام : -

أولاً : ما علمنا صحته ، وذلك بتصديق شرعنا له ، فهذا مقبول .

ثانياً : ما علمنا كذبه ، لأن ما عندنا لا يصدقه بل يكذبه وهذا مرفوض مردود .

ثالثاً : ما هو مسكوت عنه ، فلا نصدقه ولا نكذبه لما ثبت عن النبي ﷺ : « إذا حدثكم أهل الكتاب ، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، فاما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه ، وإمّا أن يحدثوكم بباطل فتصدّقوه »[1] .

ويرى ابن تيمية أن واجب المسلمين أن يحفظوا تراثهم ولا يخلطوه بسواه من أنواع الثقافات الأخرى ومما علق به من شوائب وذلك بحفظهم لأصلين :

الأصل الأول :

تحقيق ما جاء به الرسول ﷺ وتخليصه من المنقولات الضعيفة ، والتفسيرات الباطلة .

الأصل الثاني :

عدم معارضته ذلك بالشبهات أيّاً كانت لقوله تعالى لبني إسرائيل وهو عبرة لنا ﴿وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، وإياي فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾[2] .

فلا يُكتم الحق الذي جاء به الرسول ﷺ ولا يلبس بغيره من الباطل ، ولا يعارض بغيره »[3] .

---

١) أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل . . . الآية . كتاب التوحيد ص ٤٣١ ج ١٣ ط . دار المعرفة / بيروت .

٢) سورة البقرة آية ٤١ - ٤٢ .

٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية مجلد ١٥ ص ١٥٦ ط . مطابع الرياض .

ونجده يلتزم بهذا المنهج أثناء تفسيره للآيات التي تعرض لتفسيرها ، حيث رد جميع الإسرائيليات التي وقف عليها عند المفسرين قبله ، ونبه عليها فمثلاً عند تفسيره للآيات المتعلقة بقصة يوسف عليه السلام ردّ ما تناقله المفسرون ، أنه وجد منه بعض المقدمات مثل حل السراويل والجلوس منها مجلس الخاتن ونحو ذلك ، وعقب على هذا بقوله: «لكن هذا ليس منقولاً نقلاً يصدق به ، فإن هذا لم ينقل عن النبيﷺ ومثل هذه الإسرائيليات إذا لم تنقل عن النبيﷺ لم يعرف صدقها ، ولهذا لا يجوز تصديقها ولا تكذيبها إلاّ بدليل ، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾[1] [2]» ، ونخلص إلى أن منهجه في رواية الإسرائيليات هو الجواز المقيد بدائرة الشرع الحنيف .

طريقته في حكايته للخلاف :

كان ابن تيمية رحمه الله تعالى حريصاً على أن يجمع الأقوال المختلفة في المسألة الواحدة ، وأن يرجح بينها إذا لزم الأمر .

ويبدو هذا جلياً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ،

﴿ قلْ ربي أعلم بِعِدّتهم ، ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلاّ مراء ظاهراً ، ولا تستفت فيهم منهم أحداً ﴾[3] .

« فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب العالي في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا ، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال . ضعّف القولين الأولين ، وسكت عن الثالث ، فدل على صحته ، إذ لو كان باطلاً لردّه كما ردّهما . ثم أرشد إلى أن الاطّلاع على عدّتهم باطل مما لا طائل تحته ، فيقال في مثل هذا ﴿ قل ربي

---

١) سورة يوسف آية ٢٤ .
٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية مجلد ١٠ ص ٣٠ مطابع الرياض .
٣) سورة الكهف ، آية ٢٣ .

اعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ﴾ ، من الناس ممن اطلعه الله تعالى عليه ، فلهذا قال : ﴿ فلا تمار فيهم إلاّ مراء ظاهراً ﴾ ، أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك ، فهم لا يعلمون من ذلك إلاّ رجم الغيب .

« فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف وأن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فيشتغل عن الأهم »[1] .

ولقد عاب على من لم يستوعب جميع الأقوال في مسألته ، مخافة أن يكون الصواب في الذي تركه ولم يأت على ذكره .

حيث قال :

« فأما من حكى خلافاً في مسألة ، ولم يستوعب أقوال الناس فيها ، فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه .

أو يحكي الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال ، فهو ناقص أيضاً .

فإن صحّح غير الصحيح عامداً ، فقد تعمد الكذب . . أو جاهلاً ، فقد أخطأ .

وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته ، أو حكى أقوالاً متعددة لفظاً ، ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى ، فقد ضيّع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح ، فهو كلابس ثوبي زور »[2] .

ومن الأمور التي اعتمد عليها قانون الترجيح الذي ملخصه :

---

١) المقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠١ ط . دار القرآن الكريم / الكويت .

٢) المقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

« ان القطعيين لا يمكن أن يتعارضا سواء أكانا سمعيين أو عقليين أو مختلفين ، وهذا متّفق عليه بين العقلاء . أما إذا كان أحد الدليلين قطعياً والآخر ظنياً وجب تقديم القطعي منهما .

وأما إذا كانا جميعاً ظنيين ، فإنه يصار إلى طلب ترجيح أحدهما ، فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء أكان سمعياً أم عقلياً لكن كون السمعي ، لا يكون قطعياً ، دونه خرط القتاد »[1] .

ولقد سار على منهجه هذا في غالب أحيانه لأنه في بعض الحالات كان يترك الأمر من غير ترجيح ، كما وضح من تفسيره لبعض الآيات .

فمن ذلك عند حديثه عن المتلاعنين في تفسيره لسورة النور حيث قال : « وقد نصت سنّة النبيﷺ بالتفريق بين المتلاعنين سواء حصلت الفرقة بتلاعنهما أو احتاجت إلى تفريق الحاكم أو حصلت عند انقضاء لعان الزوج ، لأن أحدهما ملعون أو خبيث فاقترانهما بعد ذلك يقتضي مقارنة الملعون الخبيث للطيب »[2] . فإنه ترك الأمر من غير ترجيح

وكذلك عند قوله في شأن حد الزنا (من فقهاء العراق من لا يوجب في الحد تغريباً ، ومنهم من يفرق بين الرجل والمرأة ، كما أن أكثرهم لا يوجبون مع الرجم جلد مئة ، ومنهم من يوجبهما جميعاً . كما فعل علي مع سراحة الهمدانية حيث جلدها ثم رجمها وقال : « جلدتها بكتاب الله تعالى ، ورجمتها بسنة نبيه »[3] . وعن

---

١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ١/ ص ١٦

بتصرف يسير . مطبوع على هامش كتاب السنة النبوية . ط . مكتبة الرياض الحديثة بالسعودية .

٢) تفسير سورة النور لابن تيمية للأستاذين محمود زايد إبراهيم ، وعبد المعطي قلعجي ، ص ٤٩

٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب رجم المحصن بلفظ :

حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا سلمة بن كهيل قال : سمعت الشعبي عن علي رضي الله عنه حين رجم المرأة يوم الجمعة وقد قال : رجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي فتح الباري لابن حجر العسقلاني : وزاد ابن الجعد جلدتها بكتاب الله ، وفي رواية عبد الرزاق اجدلها بالقرآن وارجمها بالسنة .

(فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٢ ص ١٠٥ . ط . دار المعرفة / بيروت) .

أحمد في ذلك روايتان »[1] . فهنا ترك الأمر من غير ترجيح للرأي الراجح كذلك . لكن في نقله للآراء المختلفة يُسَجَّلُ له الآتي :

١ ـ أنه كان شديد الحرص على أن يسمي الأشياء بمسمياتها ، وأن ينسب القول لصاحبه .

٢ ـ كان يعنى بتحديد الألفاظ تحديداً يكشف عنها كل ريبة في بدء مناقشته لخصمه ان كان طرفاً في المناقشة أو عند نقله لآراء الفرقاء لمناقشتها .

٣ ـ إذا كان طرفاً في المناقشة ـ وغالباً ما يكون ـ يكر على الفريق الآخر بجميع الوجوه والأدلة التي يراها مساعدة له في إبطال حجة خصمه ، من أجل الوصول إلى الحق الذي يتمثل في نظره من خلال الكتاب والسنة .

---

١) تفسير سورة النور تحقيق الأستاذين محمود زايد إبراهيم .و. قلعجي. ص ٢٢ .

الفصل الثاني

آراؤه في التفسير

موقفه من التفسير بالرأي :

قال ابن تيمية : « تفسير القرآن بمجرد الرأي حرام »[1] واستدل على ذلك بأحاديث للرسول ﷺ وأقوال لبعض السلف[2] منها : -

أولاً : قال ابن تيمية : حدثنا مؤمل ، حدثنا سفيان حدثنا عبد الأعلى عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : « من قال في القرآن بغير علم ، فليتبوأ مقعده من النّار »[3] .

---

١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور ص ١٠٥ . وانظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥ .

٢) ومن أراد الإطلاع على هذه الأقوال كلها فليرجع إلى :

١ - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية .

٢ - تفسير ابن جرير الطبري ج ١ تحت عنوان (ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكروا القول في تأويل القرآن) .

ويبدو أن هذه الأحاديث والآثار التي ذكرها ابن تيمية في مقدمته قد نقلها من كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد الله القاسم بن سلاّم المتوفى سنة ٢٢٢ هـ . كما ذكر الدكتور عدنان زرزور محقق المقدمة في أصول التفسير (ص ١٠٩) والإمام الألوسي في تفسيره ج ٣ ص ٤٧ المجلد ١٥ .

٣) أخرجه الترمذي من طريق سفيان الثوري بلفظ « من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم ، فليتبوأ مقعده في النار » وحسّنه (ج ٤ ص ٢٧٠ ط . المكتبة السلفية المدينة المنورة) . وأخرجه أيضاً من طريق سهيل بن أبي حازم القطعي الذي تكلم فيه . وقال عنه غريب .

- كما وأخرجه أبو داود من طريق عبد الأعلى بن عامر الثعلبي عن ابن عباس مرفوعاً بنفس لفظ رواية الترمذي السابقة . ومن طريق سهيل أيضاً .

(مختصر وشرح أبي داود للحافظ المنذري ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، والشيخ حامد الفقي . ط . مطبعة أنصار السنة المحمدية ج ٥ ص ٢٢٩ .

- وأخرجه ابن جرير الطبري بهذا اللفظ المشار إليه أعلاه ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

- والقرطبي في تفسيره (ج ١ ص ٢٧) ط . دار الشعب المجلد الأول .

- والألوسي في تفسيره (ج ١ ص ٦) تصوير بيروت عن ط . المطبعة المنيرية بمصر وتكلم عن صحة الحديث وقال ان فيه مقالاً .

- ابن كثير في تفسيره حيث أعل بعض رواته (ج ١ ص ٥) ط . دار إحياء التراث بمصر .

ثانياً : «قال ابن تيمية : وبـه إلى الترمذي قال: قال رسـول الله ﷺ : «من قال في القـرآن برأيه فأصـاب فقـد أخطـأ »[1]، [2]. قال الترمـذي : هذا حديث غريب .

« فمن قال في القرآن برأيه ، فقد تكلف ، ما لا علم له به ، وسلك غير ما أمر به ، ولو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر فقد أخطأ لأنه لم يأت الأمر من بابه ، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار ، وإن وافق الأمر حكمه الصواب في نفس الأمر ، لكن يكون أخفّ جرماً ممّن أخطأ ، والله أعلم »[3] .

ثالثاً : ما رواه شعبة عن سليمان عبد الله بن مرّة عن أبي معمر قال : قال أبو بكر الصديق : « أي أرض تقلّني ، وأي سماء تظلني ، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم »[4] .

---

١) مقدمة في أصول التفسير ص ١٠٦ .

٢) سنن الترمذي ج ٤/ ص ٢٦٩ ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . وأخرجه الطبري ج ١ ص ٧٩ .
وسهيل بن أبي حازم أخو حزم القطيعي ، كان يعرف بأخيه لكونه أوثق منه .
- وأخرج هذا الحديث النسائي وأبو داود ، في كتاب العلم والمراد بالرأي في هذا الحديث والله أعلم :
- من يقول في متشابه القرآن أو يصحح قولاً في القرآن يعتقد خلافه وفقاً لهواه المجرد عن أي دليل . . .
أما الذي قام عليه دليل ، واستجمع شروط التفسير بالرأي الذي ستأتي جاز له أن بين المراد من المعاني بقدر طاقته البشرية .
وذلك الذي ارتضاه القرطبي في تفسيره والآلوسي حيث قال : « فالذي ينبغي أن يعوّل عليه ، أن من كان متبحراً في علم اللسان ، مترقياً منه إلى ذوق العرفان ، وله في رياض العلوم الدينية أوْفى مرتع وفي حياضها أصفى مكرع ، يدرك اعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد ، وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن اقليد ، فذاك يجوز له أن يرتقي من علم التفسير ذروته ، ويمتطي منه صهوته » .
ج ١ المجلد الأول ، ص ٦ ، ٧

٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تحقيق د . عدنان زرزور ص ١٠٨ .

٤) مقدمة في أصول التفسير تحقيق الدكتور عدنان زرزور ص ١٠٨ .
والقول : أخرجه الطبري في تفسيره ج ١ ص ٧٨ .
وابن كثير في تفسيره أيضاً فقال : « وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وحدثنا محمد بن زيد ، حدثنا العوام جد حوشب عن إبراهيم التيمي قال :
سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى « وفاكهة وأبا »فقال:أي سماء تظلني، وأي أرض =

رابعاً : « قال ابن تيمية : قال أبو عبيدة : حدثنا يزيد ، عن حميد ، عن أنس ، أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قرأ على المنبر « وفاكهة وأبّا »[1] فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه ، فقال : إن هذا لهو التكلف يا عمر »[2] .

« وهذا محمود على أنهما رضي الله عنهما إنما أرادا استكشاف ماهية الأب ، وإلاّ فكونه نبتاً من الأرض ظاهراً لا يجهل ،لقوله تعالى : ﴿ فَأَنبتنا فيها حباً ،وعنباً وقضباً ، وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلباً ﴾[3] .

ومما يؤكد هذا ما قاله ابن كثير رحمه الله في تفسيره « وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله ، وجنسه ، وعينه وإلاّ فهو وكل من قرأ هذه الآيات يعلم أنه نبات من الأرض لقوله تعالى: ﴿ فأنبتنا فيها حباً، وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غلبا، وفاكهة وأبّا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ متاعاً لكم ولأنعامك ﴾[4] أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة»[5] .

= تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم » ثم قال : وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه .

تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٢ ط . الحلبي بمصر .

وانظر : تفسير القرطبي المجلد الثامن ص ٧٠١٤ ط . دار الشعب مصر .

وانظر الأولوسي ج ٣٠ المجلد ١٥ ص ٤٧ . تصوير عن طبعة المطبعة المنيرية .

١) سورة عبس آية ٣١ .

٢) مقدمة في أصول التفسير ص ١٠٨ .

وهذا الأثر رواه أكثر من واحد عن طريق أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب بسند صحيح .

أنظر :

- تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٢ ط . دار إحياء التراث .

- تفسير القرطبي المجلد الثامن ص ٧٠١٤ ط . دار الشعب .

- والآلوسي ج ٣/ ص ٤٧ تصوير بيروت عن طبعة المطبعة المنيرية بمصر حيث أورد روايات لبعض السلف عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٣) مقدمة في أصول التفسير ص ١١٠ - والآيات ٢٧ - ٣٠ من ثورة عبس .

٤) سورة عبس آية ٣١ .

٥) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٣ .

خامساً : « وقال ابن جرير : حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا ابن علية عن أيوب عن أبي مليكة ، أنّ ابن عباس سئل عن آية ، لو سئل عنها بعضكم لقال فيها ، فأبى أن يقول فيها ، إسناد صحيح »[1]، [2] .

سادساً : وقال أبو عبيد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب عن أبي مليكة قال : سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فقال الرجل : إنما سألتك لتحدثني فقال ابن عباس : إنما هما يومان ذكرهما الله في كتابه ، والله أعلم بهما ، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم »[2] .

سابعاً : « قال ابن شوذب ، حدثني يزيد عن أبي يزيد قال كنا نسأل سعيد ابن المسيب عن الحلال والحرام وكان أعلم الناس ، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن ، سكت كأن لم يسمع . . »[3] .

ثامناً : « وقال أبو عبيد ، حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث ، عن هشام ابن عروة قال : ما سمعت أبي تأوّل آية من كتاب الله قط »[4] .

---

١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١١٠ .

٢) أخرج ابن جرير الطبري الرواية بسندها عن أيوب عن بن أبي مليكة : قال سأل رجل ابن عباس ج ٢٩/ ص ٧٢ .

وأخرجها ابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٠ نقلاً عن ابن جرير عن يعقوب بن علية وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال : وأورد أيضاً روايتين بسندهما عن ابن عباس أنه قال فيها أن المراد « باليوم » في الآيتين « يوم القيامة » وصحح إحدى الروايتين (أنظر ج ٤ ص ٤١٩) . واليومان المشار إليهما مذكوران في قوله تعالى﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾السجدة آية ٥ .

وفي قوله تعالى : « في يوم كن مقداره خمسين ألف سنة » المعارج آية ٤ .

٣) مقدمة في أصول التفسير ص ١١٢ . وانظر تفسير الطبري ج ١ ص ٨٦ .

٤) مقدمة في أصول التفسير ص ١١٢ - ١١٣ . أنظر تفسير الطبري ج ١ ص ٨٦ - وعروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو عبيد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه من أوائل من كتب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.
أنظر في ترجمته : حلية الأولياء ٢/ ص ١٧٦ . وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ / ص ٣١٦ .

هذه هي بعض الآثار[1] التي استدل بها ابن تيمية على حرمة التفسير بالرأي المجرد عن الدليل الشرعي من الكتاب والسنة ، حيث عقب عليها بقوله « فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف ، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به ، أما منْ تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً ، فلا حرج عليه ، ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوالاً في التفسير ، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه ، وسكتوا عما جهلوه ، وهذا هو الواجب على كل أحد ، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم لهم به ، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه ، لقوله تعالى ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾[2] ، ولما جاء في الحديث المروي « من سئل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار »[3] .

وابن تيمية له عذره في أن يتخذ مثل هذا الموقف لما اشتهر عنه من السلفية الواضحة ، والدعوة إليها من كل جوانبها ، وحمل الناس إلى العودة إلى ما كان عليه هؤلاء القوم ، الذين سادوا العالم وقت تمسكهم بشرعهم ، وسنّة نبيهم فكانوا زينة الأمم وصدارة العالم .

ولا ننسى أنه عاصر فرق الباطنية وأصحاب العقائد الفاسدة الأخرى وخبر عقائدهم فوجدهم قد ابتعدوا عن الحق والصواب ، ووصل بلاءهم إلى عامّة

---

١) ذكر الإمام ابن جرير الطبري هذه الآثار في تفسيره تحت عنوان (ذكر الأخبار التي غلط في تأويلها منكروا القول في تأويل القرآن) .

٢) سورة آل عمران آية ١٨٧ .

٣) المقدمة في أصول التفسير ص ١١٤ ـ ١١٥ . والحديث بهذا اللفظ أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط من رواية عبد الله بن عمرو ، ورجاله موثوقون وعن أبي هريرة بلفظ » . . . ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .
(أنظر مختصر وشرح سنن أبي داود للحافظ المنذري ج ٥/ ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ ومجمع الزوائد ج ١ / ص ١٦٣) .
وأخرجه ابن ماجه ، وابن حبان والحاكم ، وصححه عن أبي هريرة . وله طرق كثيرة لا تخلو من مقال ، أورد ابن الجوزي منها الكثير في العلل .
أنظر : كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل العجلوني ط . دار إحياء التراث العربي / لبنان ج ٢/ ٢٧٣) .

المسلمين ، فأخذوا يؤولون آيات القرآن الكريم ، بغير ما يفسر به ، ويحمّلون الآيات ما لا تحتمل ، وينزلونها وفقاً لما عندهم من عقائد وشرائع .

ووصل بهم الأمر إلى أن جعلوا للقرآن ظاهراً وباطناً . وما شجعهم على هذا إلاّ فتح باب التفسير بالرأي ، الذي ابتدأ بمحاولة إدراك معنى الآية القرآنية بالعقل الإنساني إلى أن انتهى بتحكم الأهواء والأمزجة في بيان معانيه وبيان ألفاظه ومفرداته .

وفرق الصوفية التي كانت منتشرة آنذاك ومحاولتهم حمل ألفاظ القرآن وفق أذواقهم ومواجيدهم . وما يقذف في قلوبهم من هذه المعاني التي يعبرون عنها بشكل رموز وطلاسم . أو بما هو بعيد كل البعد عن معنى الآية الظاهر ، إضافة لتلك المناقشات الكلامية ، والمجادلات المذهبية التي كانت تتفيأ الأمة ظلالها وتعيش أجواءها »[1]

كل هذا دفع ابن تيمية ليعلن رأيه بأن من فسر القرآن من عند نفسه وهواه دون أن يرجع إلى الأصول المعتمدة والقواعد الشرعية المعتبرة من كتاب وسنة وأقوال الصحابة والتابعين ، فرأيه مردود على صاحبه حيث أن النبي ﷺ بينّ وفصل ، وقيد ، وأطلق ، وخصّ ، وعمّم ، ولم ينقل صلوات الله وسلامه عليه إلى جوار ربه إلاّ وقد كملت الشريعة ، ليتركنا عليها ، كالشمس في ضحاها والقمر إذا تلاها ، لا يزيغ عنها إلاّ هالك .

لكن : هل يظنّ بابن تيمية صاحب العقل المستنير والفهم السليم أن يقف عند حدود ما ورد ، ولا يتعدى ذلك لمرحلة أخرى ؟

حقيقة الأمر أنّ ابن تيمية تعدى الأمر إلى مرحلة فهم الآيات القرآنية ، في

---

١) أنظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ٢٠٤ ط . الكويت مكتبة المنار الإسلامية .

ضوء الأدلة والنصوص الشرعية الواردة عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين والإتيان بمعان مقبولة .

فلو نظرنا إلى ما كتبه في التفسير نجده مليئاً بالشواهد والبراهين فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون . . . ﴾[1] نجده يقرر أن الإجتماع بين الأنثى والذكر بغير عقد صحيح اجتماع ضعيف ، وأن الاجتماع القوي ، هو إجتماع القلوب ، إذ دلّ على ذلك قوله تعالى : ﴿ الطيبات للطيبين ﴾ من جهة اللفظ ودلّ أيضاً على النهي عن مقارنة الفجار وزواجهم ، فالمصاحبة والمصاهرة والمؤاخاة لا تجوز إلاّ مع أهل طاعة الله تعالى ، على مراد الله ، ويدل على ذلك الحديث الذي في السنن « لا تصاحب إلاّ مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي »[2] .

وعند تفسير لقوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم . . . ﴾[3] الآية .

نجده يعترف بالكشف والفراسة ، فيقول : «فهو يورث نور القلب

---

١) الآية ٢٦ من سورة النور .

٢) تفسير سورة النور لابن تيمية ص ٣٦ .

والحديث : أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الزهد . وأبو داود في كتاب الأدب . وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في مستدركه عن أبي سعيد الخدري ، والدارمي وأحمد وسنده حسن .

أنظر : كشف الخفاء ومزيل عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للشيخ إسماعيل العجلوني ط . دار إحياء التراث العربي / لبنان ج ٢ ص ٣٧٩ حديث رقم ٣١٦٥ .

وانظر : مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط . المكتب الإسلامي / بيروت . ج ٣ رقم الحديث ٥٠١٨ .

٣) سورة النور الآية ٣٠ .

والفراسة ، قال تعالى عن قوم لوط: ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾[1] والله تعالى يجزي العبد على فعله بما هو من جنس عمله . فيطلق نور بصيرته ، ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشف ، ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب »[2] .

وعند تفسيره لقوله تعالى من سورة الحج ﴿ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴾[3] .

حيث قال : فيدخل في قوله « وافعلوا الخير » كل واجب ومستحب فخصّ في هذه الآية وعم ثم قال : ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده ﴾ فهذه الآية وما بعدها ، لا تترك خيراً إلاّ جمعته ، ولا شراً إلاّ نفته »[4] .

وكما يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله « ولا شك أن هذا ، فهم من الآية بالإشارة البعيدة والإشارة القريبة »[5] .

ثم إنه رحمه الله كثيراً ما عالج قضايا النحو والبلاغة التي يتوقف عليها فهم الآية القرآنية معالجة الخبير الماهر بأمور الأعراب والبيان كقوله في تفسير قوله تعالى ﴿ والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها ﴾[6] . فقد قيل انّ (ما) مصدرية والتقدير وبناء الله إياها ، والأرض وطحو الله إياها ، ونفس وتسوية الله إياها ، لأن من ذكر الفاعل في الجملة لا يصح أن يقدّر المصدر هنا مضافاً إلى الفعل فقط ، فيقال (وبنائها) لأن الفاعل مذكور في الجملة ، والمفعول أيضاً ، فلا بد أن يكون في التقدير الفاعل والمفعول .

لكن إذا كانت مصدرية كانت (ما) حرفاً ليس فيها ضمير فيكون الفاعل في

---

١) سورة الحجر آية ٧٢ .
٢) تفسير سورة النور لابن تيمية تحقيق صلاح عزام ص ١٥٣ .
٣) آية ٧٧ .
٤) مجموع فتاوى ابن تيمية مجلد ١٥ ص ٢٦٦ .
٥) ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٣٤ .
٦) سورة الشمس آية ٥ ـ ٦ .

بناها عائداً على غير مذكور ، بل إلى معلوم ، والتقدير والسماء وما بناها الله ، وهذا خلاف الأصل ، وخلاف الظاهر .

والقول الثاني :

إنها موصولة : والتقدير « الذي بناها والذي طحاها » و(ما) فيها عموم وإجمال يصلح لما لا يعلم ولصفات من يعلم ، كقوله تعالى : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾[١] ، وكقوله : ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾[٢] ، وهذا المعنى يجيء في قوله : ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ [٣] .

وهذا المعنى كما أنه ظاهر الكلام ، وأصله ، هو أكمل في المعنى أيضاً ، فإن القسم بالفاعل يتضمن الاقسام بفعله بخلاف الاقسام بمجرد الفعل »[٤] .

وكذلك نجده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ عينا يشرب بها عباد الله . . . ﴾[٥] الآية .

يقول : فإذا قال القائل « يشرب بها » الباء زائدة ، كان ذلك من قلة علمه فإن الشارب ، قد يشرب ولا يروى ، فإذا قال منها لم يدل على الري ، ولذا ضمن معنى الرّي « فقيل يشرب بها » ليكون دليلاً على الشرب الذي يحصل به الري وهذا شرب خاص ، دلّ عليه حرف الباء »[٦] .

ـ ونجده كذلك يتحدّث عن موضوعات عقدية استطراداً لمسألة من المسائل التي هو بصددها لأدنى مناسبة تذكر فيها .

---

١) سورة الكافرون آية ٢ ـ ٣

٢) سورة النساء آية ٤ .

٣) سورة الليل آية ٣ .

٤) مجموعة تفسير ابن تيمية من ست سور ص ١٥٢ .

٥) الآية ٦ من سورة الإنسان .

٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية مجلد ٢٠ ص ٤٧٤ .

كعقيدة القضاء والقدر حيث تحدث عنها بإسهاب مبيناً آراء الطوائف المختلفة في معرض تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ونفس وَما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها ﴾[1] والمحكم والمتشابه في تفسيره لسورة الإخلاص.

وكثيراً ما يرد على من يخالفه من الطوائف الأخرى كقوله عند تفسيره لقوله تعالى من سورة الأعلى[2] : ﴿ ويتجنبها الأشقى ، الذي يصلى النار الكبرى ، ثم لا يموت فيها ولا يحيى ﴾[3]. « وفيها الرد على طائفتين، الخوارج والمعتزلة ، الذين يقولون إن أهل التوحيد يخلّدون فيها ، وهذه الآية حجة عليهم، وعلى من حكى عنه من غلاة [4] المرجئة ، أنه لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد . فإن أخباره بأن أهل التوحيد يخرجون منها بعد دخولها ، تكذيب لهؤلاء وأولئك . وفيه رد على من يقول: « يجوز أن لا يدخل الله من أهل التوحيد أحداً النار »، كما يقول طائفة من المرجئة والشيعة ومرجئة أهل الكلام المنتسبين إلى السنة وهم الواقفة من أصحاب أبي الحسن وغيرهم كالقاضي أبي بكر وغيره . فإن النصوص المتواترة تقتضي دخول بعض أهل التوحيد وخروجهم »[5].

ولقد انقسم العلماء بشأن التفسير بالرأي الى فريقين :

---

١) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية من ست سور ص ١٥٢ .
٢) أنظر المرجع السابق ص ١٥٤ - ١٧٣ .
٣) سورة الأعلى الآيات ١١ - ١٣ .
٤) هناك نوعان من الارجاء : إرجاء غلو حيث يقول أصحابه لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

وإرجاء بسيط ، وهو الذي يقول أصحابه ، بإخراج مرتكب الكبيرة من الإيمان ، وتخليده في النار ، وهم الذين يقولون بإرجاء أمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، أنظر (التبصير في الدين للإسفرائيني ص ٨٠) . وانظر في الهامش ، ففيه شرح لإرجاء أهل السنة ولإرجاء المعتزلة الخوارج كذلك .

٥) مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١١١ .

الفريق الأول:

قال : لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن ، وإن كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وليس له إلاّ أن ينتهي الى ما روي عن النبيﷺ في ذلك .

أما الفريـق الثاني:

فقال : يجوز تفسير القرآن الكريم لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر اليها وهي خمسة عشر علماً وهي : -

١ ـ اللغة ، لأن بها يعرف شرح المفردات ومدلولاتها بحسب الوضع . قال مجاهد : « لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يتكلم في كتاب الله تعالى ، ما لم يكن عالماً بلغات العرب ، ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها ، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر .

٢ ـ النحـو : لأن المعنى يتغيرّ ، ويختلف باختلاف الإعراب ، فلا بد من اعتباره . أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل : عن الرجل يتعلم العربية ، يلتمس بها حسن المنطق ، ويقيم بها قراءته .
فقال حسن : فتعلّمها ، فإن الرجل يقرأ الآية فيعي بوجهها ، فيهلك فيهـا .

٣ ـ التصريف : لأنّ به تعرف الأبنية والصيغ .
قال ابن فارس : ومن فاته علمه ، فاته المعظّم ، لأنه إن وجد ـ مثلاً ـ كلمة مبهمة فإذا صرّفها اتضحت بمصادرها .
وقال الزمخشري : من بدع التفاسير قول من قال : ان الإمام في قوله تعالى : « يوم ندعو كلّ أناس بإمامهم »[1] جمع «أمّ» وأن الناس يدعون يوم القيامـة

---

١) سورة الإسراء ، آية ٧١ .

بأمهاتهم دون آبائهم ، قال وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف . فإن «أمّا» لا تجمع على إمام.

٤ ـ الإشتقاق ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين ، اختلف باختلافهما . كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح.

٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ المعاني ، والبيان ، والبديع .

لأنه يعرف بالأول : خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى .

وبالثاني: خوّاصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة ، وخفائها .

وبالثالث: وجوه تحسين الكلام.

وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسر ، لأنّه لا بد له من معرفة ومراعاة ما يقتضيه الإعجاز .

وقال السكاكي : اعلم أنّ شأن الإعجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن تدرك ، ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة ولا طريق الى تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلاّ التّمرن على علمي المعاني والبيان . . . الخ .

٨ ـ علم القراءات : لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

٩ ـ أصول الدين بما في القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى ، فالأصولي يؤوّل ذلك ، ويستدل على ما يستحيل وما يجوز.

١٠ ـ أصول الفقه : إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

١١ ـ أسباب النزول والقصص ، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه ، بحسب ما أنزلت فيه.

١٢ ـ الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

١٣ ـ الفقه .

١٤ ـ الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم .

١٥ ـ علم الموهبة ، وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ، واليه الإشارة بحديث من عمل بما علم ، ورّثه الله علم ما لم يعلم »[١] .

فهذه العلوم هي كالآلة للمفسر ، لا يكون مفسراً إلاّ بتحصيلها فمن فسرّ بدونها ، كان مفسراً بالرأي المنهي عنه ، وإذا فسرّ مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه .

قال السيوطي : والصحابة والتابعون كانت عندهم علوم العربية ، بالطبع ، لا بالاكتساب ، واستفادوا العلوم الأخرى من النبي[٢] صلى الله عليه وسلم .

وابن تيمية حصّل هذه العلوم وفذّ فيها ولذلك عدّ في صفوف المفسرين .

الحقيقة والمجاز في نظر ابن تيمية :

بما أنّي تحدّثت عن العلوم التي يحتاجها المفسر حتى لا يكون مفسراً برأيه المذموم ، وليكون قوله مقروناً بالدليل المخرجه من دائرة المحظور .

وحيث أن الحقيقة والمجاز علم يحتاجه المفسر ، ولا بد أن يطلع على خفاياه لكونها من أمور الإعجاز ، فمن الأفضل أن نتعرف على حقيقة هذا الأمر عند ابن تيمية .

---

١) الحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن انس بلفظ« من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعمل » (أنظر كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس) ج ٢ ص ٢٦٥ رقم الحديث ٢٥٤٢ .

وقال الآلوسي : انّ العلم الوهبي (الكسبي) يحتاج إليه في علم الأسرار وليس في فهم أصل معاني القرآن (ج ١ ص ٦) .

٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ، ص ١٨١ .

وذكرها الألوسي في تفسيره مع شيء من التصريف اليسير ج ٢ ص ٦ .

لقد أنكره بادىء الأمر ، وقال ان اللغويين لا يعرفون غير الحقيقة ، وتقسيم الكلام الى حقيقة ومجاز ، لم يعرف في كلام السلف وإنما ذكره طائفة من المتأخرين . ثم قال : « ومعلوم أنّ أول من جرّد الكلام في أصول الفقه هو الشافعي ، وهو لم يقسم الكلام الى حقيقة ومجاز »[1] . « بل لم يعرف في كلامه مع كثرة استدلاله وتوسعه ، ومعرفته بالأدلة الشرعية ، أنه سمي شيئاً منها مجازاً ، ولا ذكر في شيء من كتبه ذلك ، لا في الرسالة ولا في غيرها .

وحينئذ فمن اعتقد أنّ المجتهدين المشهورين وغيرهم من أئمة الإسلام وعلماء السلف ، قد قسموا الكلام الى حقيقة ومجاز ، كما فعله طائفة من المتأخرين ، كان ذلك من جهله وقلة معرفته بكلام أئمة الدين ، وسلف المسلمين . كما قد يظن طائفة أخرى أن هذا مما أخذ من الكلام العربي توقيفاً ، وأن هذا حقيقة وهذا مجازاً ، كما ظن ذلك طائفة من المتكلمين في أصول الفقه وكان هذا من جهلهم بكلام العرب »[2] .

وقال أيضاً : « ولكن المشهور أن الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ وهو تقسيم حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أحد من الأئمة المشهورين بالعلم كمالك والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم . . . . وأما سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب أحمد أن في القرآن مجازاً لا مالك ولا أبي حنيفة ولا الشافعي فإن تقسيم الألفاظ الى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المئة الرابعة ، أو ظهرت أوائله في المئة

---

١) الايمان لابن تيمية ط . المكتب الإسلامي / دمشق . تحقيق زهير الشاويش ص ٧٣ .

٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية مجلد ٢٠ ص ٤٠٣

وانظر المجلد السابع أيضاً : ص ٨٧ ـ ٩٠

وانظر كتاب الإيمان لابن تيمية ص ٧٢

الثالثة ، وما علمته موجوداً في المئة الثانية اللهم إلاّ أن يكون في أواخرها »[1] .

ثم قال بصراحة ووضوح : « هذا التقسيم باطل لا حقيقة له ، وليس لمن فرّق بينهما حد صحيح يميّز به بين هذا وهذا ، فعلم أن هذا التقسيم باطل ، وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول ، بل يتكلم بلا علم ، فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للعقل »[2] .

ولعل الدافع له على هذا القول هو حرصه على حمل النص القرآني على حقيقته ، وليسد بذلك باب التأويل للنصوص حتى تنتظم مع ما يراه في آيات الصفات وغيرها من حملها على ظاهرها من غير تشبيه ولا تعطيل ، وتنزيه بلا تكييف ولا تمثيل . وليتوافق مع قوله في منع التفسير بالرأي الذي غالباً ما يكون مبنياً على المجاز . وهذا من باب الإنسجام الفكري في مختلف المواقف ذات الرباط الواحد ، والعلاقة المتشابهة .

لكن السؤال الذي يطرح . . هل التزم ابن تيمية بذلك عملياً في جميع ما يفسره من آيات؟

إنّ المستعرض للآيات التي تصدى لها ابن تيمية بالتفسير يلحظ أن هذه القاعدة في المجاز والحقيقة لا يلزم نفسه بها ، بل نجده في بعض الأحيان مضطراً الى القول بالمجاز في بعض الآيات .

كما ورد في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾[3] ، ﴿ لا تحزن ان الله معنا ﴾[4] .

فلو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان ، لتناقض الخبر الخاص ، والخبر

١) الايمان لابن تيمية منشورات المكتب الإسلامي ص ٧٢ - ٧٤ .
٢) الايمان لابن تيمية ص ٨٠
٣) سورة الحديد آية ٤ .
٤) سورة التوبة آية ٤٠ .

العام ، بل المعنى أنه تعالى مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾[1] .

أي هو اله في السموات ، وإله في الأرض كما قال تعالى : ﴿ وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾[2] ، وكذلك قوله تعالى ﴿ وهو الله في السموات والأرض ﴾[3] ، كما فسرّه أئمة العلم وغيره أنه المعبود في السموات والأرض[4] .

وقال أيضاً : «لفظ المعية في آيتي الحديد والمجادلة ثبت تفسيره عن السلف بالعلم . قالوا هو معهم بعِلْمه ، وقد ذكر الإمام ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يخالفهم أحد يعتد بقوله »[5] .

وكتفسيره لقوله تعالى : « والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين ﴾ بقوله : اقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وأنزل فيها كتبه الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن كما ذكر الثلاثة في التوراة بقوله : جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران »[6] . وكتفسيره أيضاً لقوله تعالى : ﴿ ونحن أقرب إليه منكم ﴾[7] أي بملائكتنا وأخذ يدافع عن وجهه نظره بأدلة وافية ودلّل على أنه لا يجوز أن يراد (أقرب اليه بذاته جل وعلا) وعلى أنه لا يجوز أن يراد أقرب اليه بالعلم وحده كذلك[8] .

---

١) سورة الزخرف آية ٨٤ .
٢) سورة الروم آية ٢٧ .
٣) سورة الأنعام آية ٣ .
٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ط . المكتب الإسلامي / بيروت (الخامسة) ص ٩٧ .
٥) تفسير القاسمي ج ١٦ ص ٥٦٧٣ نقلاً من كتاب شرح حديث النزول لابن تيمية .
٦) تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٦١٩٩ ط . دار إحياء التراث العربية / عيسى الحلبي .
٧) سورة الواقعة آية ٨٥ .
٨) أنظر تفسير القاسمي ج ١٤ / ص ٥٤٩٤ ط . دار إحياء الكتب العربية تحت تفسير آية ١٥ من سورة ق .

ومما يلفت الإنتباه أن «ابن تيمية» يغضب أشد الغضب ضد الذين يؤولون تلك النصوص أو يفسرونها تفسيراً مجازياً ، مع أنه يعتبر الأسماء الواردة في نعيم الدنيا مجازية فيقول : « قال ابن عباس : ليس في الدنيا مما في الجنّة إلا الأسماء فإن الله أخبر أن في الجنّة خمراً ، ولبناً ، وماء ، وحريراً ، وذهباً وفضة ، وغير ذلك .

ونحن نعلم قطعاً أن تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه ، بل بينهما تباين عظيم ، مع التشابه كما في قوله تعالى : ﴿ وأتوا به متشابهاً ﴾[1] على أحد القولين ، أن يشبه ما في الدنيا ، وليس مثله ، فأشبه اسم تلك الحقائق أسماء هذه الحقائق ، كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه[2] ، فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ، ولكن لتلك الحقائق خاصّة ، لا ندركها في الدنيا ، لا سبيل الى إدراكنا لها ، لعدم إدراك عينها ، أو نظيرها من كل وجه »[3] .

موقفه من القضيـة :

بل مما يزيد الأمر وضوحاً والموقف بياناً ما صرّح به في بعض كتبه بقوله : « نحن نقول بالمجاز الذي قام دليله ، وبالتأويل الجاري على نهج السلف . ولم يوجد في شيء من كلامنا ، وكلام أحد منا انّا لا نقول بالمجاز والتأويل ، والله عند لسان كل قائل ، ولكن ننكر من ذلك ما خالف الحق والصواب وما فتح به الباب الى هدم السنة والكتاب ، واللحاق بمحرّفة أهل الكتاب .

والمنصوص عن الإمام أحمد ، وجمهور أصحابه ، أنّ القرآن مشتمل على المجاز ، ولم يعرف عن غيره عن الأئمة نص في هذه المسألة .

وقد ذهب طائفة من العلماء من أصحابه وغيرهم كأبي بكر بن أبي داود

---

١) سورة البقرة آية ٢٥ .

٢) أنظر كلام ابن تيمية في هذا المعنى تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٦٣٠٠ ، ط . دار إحياء التراث .

٣) الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية ص ١٢ .

وأبي الحسن الحرزي ، وأبي الفضل التميمي ، وابن حامد فيما أظن وغيرهم ،! الى انكار أن يكون في القرآن مجاز.

وإنما دعاهم الى ذلك ما رأوه من تحريف المحرفين للقرآن بدعوى المجاز ، فقابلوا الضّلال والفسّاد بحسم المواد ، وخير الأمور التوسط والاقتصاد »[1] .

وهذا ظاهر في أنه يقبل بالمجاز الذي قام عليه الدليل ، ويؤول اللفظ عن ظاهره ، ويخرجه عن حقيقته شريطة أن يتحقق ويتوافق ذلك مع قانونه الذي وضعه للتأويل واشترط فيه أربعة شروط هي:

أولها :

« أنّ يكون ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي ، لأنّ الكتاب والسنة وكلام السلف ، جاؤوا باللسان العربي المبين ، ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب ، أو خلاف الألسنة كلها ، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يراد به اللفظ ، والاّ فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى ناسخ له ، وإن لم يكن له أصل في اللغة .

ثانيها :

أن يكون هناك دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته الى مجازه ، والاّ فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة ، وفي معنى بطريق المجاز ، لم يجز حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء ،

ثم ان ادّعى وجوب صرفه عن الحقيقة ، فلا بد من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف. وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة ، فلا بد من دليل مرجّح للحمل على المجاز.

---

١) تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٦١٥٦ ط . دار إحياء الكتب العربية / عيسى الحلبي وشركاه .

ثالثهـا :

أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض،

والاّ إذا قام دليل قرآني أو ايماني يبين أن الحقيقة مراده ، امتنع تركها ، ثم إن كان هذا الدليل لم يلتفت الى نقيضه » وإن كان ظاهراً فلا بد من الترجيـح .

رابعهـــا :

إنّ الرسول ﷺ ، إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره ، وضد حقيقته فلا بدّ أن يبين كلامه ، وأنّه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه ، سواء عيّنة أم لم يعيّنه ، لا سيما الخطاب العلمي ، الذي أريد منهم فيه الإعتقاد والعلم دون عمل الجوارح .

فإنه سبحانه جعل القرآن نوراً وهدى وبياناً للنّاس وشفاء لما في الصدور ، وأرسل الرسول ليبين للناس ما نزّل اليهم ، وليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيـه ، ولئلاّ يكون للناس على الله حجّة بعد الرسول .

ثـم هذا الرسـول الأمّـي العربـي بعـث بأفصـح اللغـات وأبـين الألسنـة والعبارات ، ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق النّاس علماً ، وأنصحهم للأمة وأثبتهم للسنّة ، فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره ، الاّ وقد نصبوا دليلاً يمنع حمله على ظاهره .

اما بأن يكون عقلياً ظاهراً مثل قوله تعالى : ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾[1] فإن كل أحد يعلـم بعقلـه أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتـاه مثلهـا . وكذلك قولـه ﴿ خالق كل شيء ﴾[2] يعلم المستمع ان المراد أن الخالق لا يدخل في هذا العموم .

أو سمعيا ظاهراً ، مثل الدّلالات في الكتاب والسنة التـي تصرف بعضهـا الظواهـر .

---

١) سورة النمل كآية ٢٣ .

٢) سورة الزمر آية ٦٢ ، وسورة الرعد آية ١٦ .

ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي ، لا يستنبطه الا آحاد الناس سواء أكان سمعياً أو عقلياً لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى ، وأعاده مرات كثيرة ، وخاطب به الخلق كلهم وفيهم الذكي والبليد ، والفقيه وغير الفقيه .

وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويفعلوه ويتفكروا فيه ، ويعتقدوا موجبه ثم أوجب أن لا يقصدوا بهذا الخطاب شيئاً من ظاهره ، لأن هناك دليلاً خفياً ، يستنبطه أفراد الناس ، يدل على أنه لم يرد ظاهره ، كان تدليساً أو تلبيساً ، وكان نقيض البيان وضد الهدى .

وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان .

فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة ، من دلالة ذلك الدليل الخفي على أنّ الظاهر غير مراد ، وكيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة »[1] .

وملخص القول انه لم يلتزم بما قاله بأنه لا مجاز في القرآن الكريم ، بل اضطرّ الى القول به عملياً ، وصرّح بذلك نظرياً مقيِّداً قبوله بهذه الشروط الأربعة التي هي مقبولة .

---

١) مجموع الفتاوى لابن تيمية المجلد السادس ص ٣١٠ ـ ٣٢٦ .
وانظر :
ـ الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز لابن تيمية .
ـ عقائد السلف للأئمة أحمد بن حنبل والبخاري وابن قتيبة وعثمان الدارمي. للدكتور علي سامي النشار ص ٥٨٠ ـ ٥٨٢ .

نظرته إلى تفاسير المعتزلة

تكلم ابن تيمية عن الخلاف في التفسير من جهة الإستدلال ، وذكر أنه يقع من ناحيتين :

الناحية الأولى :

قوم اعتقدوا بمعان ، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها »[1] .

وهؤلاء راعوا المعنى الذي اعتقدوه من غير نظر الى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ، وكثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن وهم صنفان :

فتارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به ، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ، ولم يرد به .

وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو اثباته من المعنى باطلاً ، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول ، وقد يكون حقاً ، فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول »[1]

ثم قال : « الذين اخطؤوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع ، اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الوسط ، الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمّة وائمتها ، وعمدوا إلى القرآن فتأوّلوه على آرائهم .

---

١) المقدمة في أصول التفسير ص ٨١ ـ ٨٢ بتصرف يسير .

فتارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها ، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه .

ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية[1] والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم .

وهذا كالمعتزلة مثلاً ، فإنهم من أعظم الناس كلاماً ، وجدالاً وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم . مثل تفسيراً عبد الرحمن بن كيسان الأصم ، شيخ ابراهيم بن اسماعيل بن عليّة الذي كان يناظر الشافعي ، ومثل كتاب أبي علي الجبّائي[2] .

والتفسير الكبير للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني . والجامع لعلم القرآن لعلي بن عيسى الرمّاني[3] ، والكشاف لأبي القاسم الزمخشري[4] .

فهؤلاء وأمثالهم اعتقدوا مذهب المعتزلة ، وأصولهم التي هي التوحيد ـ والعدل ـ والمنزلة بين المنزلتين وانفاذ الوعيد ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يستحق اسم المعتزلة من لم يجمع القول بالأصول الخمسة »[5] .

---

١) تنسب الجهمية إلى جهم بن صفوان السمرقندي المتوفى سنة ١٢٨ هـ . وهو الذي قال بالجبر المحض وبنفي الصفات (الفرق بين الفرق للبغدادي) .

٢) أبو علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ٣٠٢ هـ . وتفسيره من أبعد التفاسير أثراً . وتحدث عنه الدكتور عدنان زرزور في مقدمته لكتاب متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ .

٣) وتوفي الرمّاني أبو الحسن سنة ٣٨٤ هـ وتفسيره كما يقول ابن قاضي شبهة : كبير وفيه فوائد جليلة .

٤) وكتاب الكشاف طبع مراراً وتعقبه ابن المنير المالكي وغيره في بيان مواطن الزلل أو الخطأ في الدليل والمدلول .
والزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر الملقيب بجار الله توفي سنة ٥٣٨ هـ . وسبقت ترجمته ص ٣٣.

٥) المقدمة في أصول التفسير ص ٨٢ ـ ٨٣ .
وانظر الإنتصار والرد على ابن الراوندي الملحد لأبي الحسن الخياط المعتزلي تحقيق الدكتور نيبرج ط . دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٤ هـ .

ثم بين ابن تيمية وجه البطلان في تفاسير أصحاب الناحية الأولى فقال : ـ
« وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلاّ وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة .

وذلك من جهتين :

تارة من العلم بفساد قولهم ، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به ، القرآن ، اما دليلاً على قولهم ، أو جواباً عن المعارض لهم .

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً . ويدسّ البدع في كلامه ، وأكثر الناس لا يعلمون . كصاحب الكشاف ونحوه ، حتى انه يروج على خلق كثير ، ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة[1] .

ويقول ابن تيمية : وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ، ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ، ولا يهتدي لذلك .

رأي ابن تيمية في تفسير ابن عطية :

هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف ابن تمام بن عبد الله بن تمام ابن عطيه بن خالد بن عطيه المحاربي الأندلسي الغرناطي ، الحافظ ، القاضي ، ولي القضاء ، بمدينة المرية بالأندلس .

ولما تولى ، توخى الحق وعدل في الحكم ، ويقال إنه قصد « مرسيّة » بالمغرب ليتولى قضاءها ، فصد عن دخولها ، وصرف منها إلى الرقة .

---

١) ولا شك ان تفسير الكشاف فيه خير ، وقد أبان عن وجوه اعجاز القرآن واعتنى بهذا وعني بالمناسبات بين السور ، وبالامور اللغوية التي تفسر الغامض وتجليه ولقد تعقبه ابن المنير السكندري احمد بن محمد المتوفى سنة ٦٨٣ هـ . ـ فيما اخذ عليه من الاعتزال وطبع التفسير مع التعقيب واشتهر باسم «الكشاف» وعليه حاشية الانتصاف من الكشاف لابن المنير» .

وكان يتوقد ذكاء[1] ، وقد أفاد في تفسيره من تفسير ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ . وجميع الكتب المتوفرة في عصره . وكان مولده سنة ٤٨١ هـ . وتوفي بالرّقة سنة ٥٤٦ هـ .[2]

قال عنه أبو حيان[3] في مقدمة تفسيره « بأنه أجل من صنف في علم التفسير ، وأفضل من تعرض فيه للتنقيع والتحرير »[4] .

« وتفسيره هذا جمع فيه بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي (المحمود) حيث اجتمعت في شخصيته جميع الشروط التي ينبغي توافرها فيمن يتصدى للتفسير بالرأي ، وكان يعنى فيه بمسائل اللغة والنحو ، وتوجيه القراءات الشاذة ، واحتاط فيه من جهة الاسرائيليات ، وكان لا يعجبه التفسير الرمزي والباطني »[5] « بل حاربه واعتبره الحاداً في آيات الله وتحريفاً للكلم عن مواضعه »[6] .

قال عنه ابن تيمية : « بأنه اتبع للسنة والجماعة ، وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل .

فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري ، وهو من أجل التفاسير المأثورة ، وأعظمها قدراً .

ثم إنه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ، لا يحكيه بحال . . ويذكر ما يزعم انه قول المحققين ، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام ، الذين قرروا

---

١) طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٧ ط . طهران سنة ١٩٦٠ م .
٢) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ص ١٧٤ .
٣) أبو حيان تقدمت ترجمته ص ٧٥.
٤) البحر المحيط لأبي حيان ج ١ ص ٢٨١ .
٥) أنظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فائد طبع بإشراف مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٣ م . الصفحات ١٢٩ ـ ٢٠٧ .
٦) نفس المرجع ص ٣١٨ .

أصولهم ، بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة ، لكنه ينبغي أن يعطي كل ذي حق حقه ، ويعرف إن هذا من جملة التفسير على المذهب »[1].

ولقد حكم على من يفعل ذلك بقوله: « من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك ، بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه »[2] .

ويبدو أنّ ابن تيمية لم يكن دقيقاً في قوله عنه « انه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ، ويذكر ما يزعم انه قول المحققين »[3] .

لأنّ ابن عطية رحمه الله « كان كثيراً ما يعتمد على أحاديث الرسولﷺ التي تدور حول توضيح معنى الآية ، وبيان المراد منها ، مع ذكره لمصادر الأحاديث أغلب الأحيان »[4] .

كما أنه « اعتمد على أقوال الصحابة والتابعين وآرائهم . ومن أبرز الصحابة

---

١) المقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تحقيق د . عدنان زرزور ص ٩٠ .
٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٩١ .
٣) المرجع السابق ص ٩٠ .
٤) أنظر منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب فايد ط . سنة ١٩٧٣ م . ص ١٣١ .

وأحياناً كان يذكر بعض الأحاديث الضعيفة بل والمنكرة . وانظر عند تفسيره لقوله تعالى﴿ الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم﴾ يقول روى أبو هريرة قال : سمعت رسول اللهﷺ يحكي عن موسى على المنبر قال : وقع في نفس موسى هل ينام الله عز وجل ، فأرسل الله إليه ملكاً ، فأرّقه ثلاثاً ثم أعطاه قارورتين ، في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما ، قال: فجعل ينام. وتكاد يداه تلتقيان ، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى، فاصطفقت يداه ، فانكسرت القارورتان .

قال : ضرب الله له مثلاً أن لو كان ينام لن تستمسك السماء والأرض (تفسير بن عطية سورة البقرة آية ٢٠٥) .

نقلاً عن كتاب منهج ابن عطية ص ١٣٢ .

والحديث قال عنه ابن كثير في تفسيره ج ١ ص ٣٠٨ (هذا حديث غريب جداً ، والأظهر أنه من الإسرائيليات لا مرفوع والله أعلم) .

الذين نقل عنهم ، عبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمرو بن العـاص ، ومن التابعين الذين اعتمد عليهم ونقل أقوالهم ، الحسن البصري ، مجاهد بن جبير ، سعيد بن جبـير ، زيد بن أسلـم ، الضحـاك بن مزاحـم ، عكرمـة مولى ابـن عبـاس ، وقتادة »[1] .

وإذا ما قارنا بينه وبين الزمخشري فيعتبر من المكثرين لروايات التفسير بالمأثور بينما الزمخشري ، قلّل من ذلك إلى حد ملحوظ ، واعتمد على الرأي إلى حد بعيد ، ولعل ذلك عائد لقوة اعتداده برأيه ، وقلة ثقته بالـروايات المأثـورة وفقـاً لمذهبـه الإعتزالي الذي يعتمد العقل في المسائل العقدية »[2] .

ولعل ابن تيمية أراد بعبارته « ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير على وجهه لكان أحسن وأجمل » أن يقتصر على الروايات المأثورة عن السلف دون غيرها وذلك وفقاً لمنهجه السلفي ، الذي حضّ الناس عليه .

وذكر عنه أنه « كان يقرر الأدلة من جنس ما تقرر به المعتزلة أدلتهم »[3] وهذا يحمل في طياته انه ميّال إليهم .

وهذا ما قاله الرحوم الدكتور محمد حسين الذهبي . حيث ذكر أنـه قرأ في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾[4] ما نصه :

« قالت فرقة : وهي الجمهور الحسني هي الجنّة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل ، وروى في ذلك حديث عن النبيﷺ رواه صهيب ، وروى هذا القول

---

١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم ص ١٣٦ .
٢) نفس المرجع ص ٣٠٢ .
٣) ومن اتهمه بالإعتزال أيضاً شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ . وقد ذكر هذه التهمة في كتابه الفتاوى الحديثية على طريقة السؤال والجواب .
(أنظر منهج ابن عطية الدكتور عبد الوهاب فايد ص ٢٢٠) .
٤) سورة يونس آية ٢٦ .

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وحذيفة ، وأبي الحسن الأشعري ، ثم يقول . . . وقالت فرقة : الحسنى هي الحسنة ، والزيادة هو تضعيف الحسنات إلى سبعمائة فدونها حسبما ورد في نصّ الحديث وتفسير قوله تعالى: ﴿ يضاعف لمن يشاء ﴾[1] ، وهذا القول يعضده النظر ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول[2] .

ثم قال : وهذا يدلنا على أنه يميل إلى ما تميل إليه المعتزلة في مسألة الرؤية ، وإن كان يحترم مع ذلك رأي الجمهور »[3]

ويرى الأستاذ عبد الوهاب فايد أن هذا الإستدلال من قبل المرحوم الدكتور الذهبي لا يصح ، وأنه مبني منه على استقراء ناقص لآيات الموضوع حيث حقق الدكتور عبد الوهاب فايد ذلك عند استقرائه لجميع آيات الموضوع ، وتبين له على العكس من ذلك تماماً من أن ابن عطيه يرجح رأي الجمهور بدليل أمرين :

الأول : قوله: «ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول » . ولولا كما يقولون حرف يؤذن بامتناع الجواب لوجود الشرط .

الثاني : أنه دفع شبهة التكرير التي وردت على قول الجمهور ، مما يدل على أنه يرجح ما ذهب إليه الجمهور ، وينتصر له ، ويميل إليه .

وبعد رجوعي إلى ما كتبه الدكتور عبد الوهاب فايد في كتابه منهاج ابن عطية

---

١) سورة البقرة آية ٢٦١ .

٢) أي قول المعتزلة التي تقول بأن الزيادة هي تضعيف الحسنات إلى سبعمائة لأنهم لا يقولون بجواز رؤية الله تعالى في الآخرة .

٣) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ج ١ ص ٢٤٢ .
وانظر رأي الجمهور بجواز الرؤية :
ـ تفسير القرطبي ص ٣١٦٨ ج ص ط . الشعب / بمصر .
ـ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٢٤ .
ـ الآلوسي ج ١١ ص ١٠٢ .

في تفسير القرآن الكريم وإقامته الدليل على أن ابن عطية لم يكن معتزلياً بل إنه لم يوافقهم في أصل من أصولهم المعتمدة عندهم ، بل كان دائماً يرجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، ويناصرها ، ويدافع عنها ، إضافة لما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾[1] وقوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾[2] من أقوال ترجح مذهب أهل السنة والجماعة[3] .

ولما يتمتع به من ثقافة أشعرية واسعة ، فإن من حكم عليه بعد ذلك بأنه على خلاف مذهب أهل السنة والجماعة فقد خالفه الصواب ، وسيبقى تفسيره كما قال ابن تيمية عنه « خير من تفسير الزمخشري »[4] « وأسلم من البدعة »[5] .

رأيه في تفاسير الصوفية :

الصوفية في نظر ابن تيمية هم الذين يخطئون في الدليل لا في المدلول ، بمعنى أنهم يفسرون القرآن بمعان صحيحة ، ولكنه لا يدل عليها .

وأحياناً يخطئون في الاثنين معاً ـ الدليل والمدلول ـ كأن يذكرون معان غير صحيحة للآيات ، ولا تدل عليها من قريب أو بعيد .

ومثل ابن تيمية لما ذكره بما كتبه أبو عبد الرحمن السلمي[6] في كتابه حقائق

---

١) سورة الأنعام آية ١٠٣ .
٢) سورة القيامة آية ٢٢ ـ ٢٣ .
٣) أنظر الموضوع « في منهج ابن عطية للدكتور فايد » ص ٢٢٠ ـ ٢٦٢ فإنه أفاض فيه وأجاد .
٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية مجلد ١٣ ص ٣٨٥ .
٥) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تحقيق د . عدنان زرزور ص ٩٠ .
٦) أبو عبد الرحمن السلمي محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم الأنصاري السلمي النيسابوري (أبو عبد الرحمن) صوفي ، محدث ، حافظ ، مؤرخ ، مفسر .
كتب الحديث بمرور ونيسابور ، وقدم بغداد ، وحدث بها عن شيوخ خراسان ، وتوفي بنيسابور سنة ٤١٢ هـ .
بلغت تصانيفه المائة أو أكثر كما ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ . =

التفسير الذي قال عنه الذهبي « إنه تحريف وقرمطة »[1] وقال عنه ابن الصلاح[2] في فتاواه : وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي[3] المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق في التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر »[4] .

لكن هناك فرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري ، وبين تفسير الباطنية الملاحدة . فالصوفية يقبلون الظاهر ويحضون عليه ، وأنه لا بد منه أولاً .

وأما الباطنية فيقولون ان الظاهر غير مراد ولايقبلونه ، وإنما المراد عندهم الباطن ، وقصدهم نفي الشريعة ، فإن قائل ذلك اما ملحد أو زنديق أو جاهل ضال ، وأنواع التأويل التي تلجأ إليها الفلاسفة ، وباطنية الصوفية هي من هذا النوع[4] .

وفي هذا يقول التفتزاني[5] في شرحه « سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن

= منها : عيون النفس ، طبقات الصوفية ، حقائق تفسير القرآن.
معجم المؤلفين لكحالة ج ٩ ص ٢٥٨ .
وانظر في ترجمته : ـ ميزان الإعتدال للذهبي ج ٣ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٥ .
ـ الكامل في التاريخ لابن كثير ج ٩ ص ١٣٢ .
ـ طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣١ .

١) هامش المقدمة في أصول التفسير ص ٩٢/ ٩٣ .
٢) سبق ترجمته ص ٦٤ .
٣) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي أبو الحسن مفسر ، نحوي لغوي ، فقيه ، شاعر إخباري ، أصله من ساوه ومن أولاد النجار توفي بنيسابور سنة ٤٦٨ هـ . وقد شاع من تصانيفه : البسيط في نحو ١٦ مجلداً في التفسير .
ـ المغازي ـ شرح ديوان المتنبي ـ الأغراب في الأعراب .
وأنظر: ـ معجم المؤلفين ج ٧ ص ٢٦ .
ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ .
ـ طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ٢٨٠ ـ ٢٩٠ .
٤) أنظر رسالة في العلم الظاهر والباطن لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ١ ص ١٩٩ ـ ٢٣٠ .
٥) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين) عالم مشارك في النحو والتصريف والمعاني =

النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية . »

«وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظاهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر فهي من كمال العرفان ومحض الإيمان »[1] .

وفي هذا يقول الآلوسي : « وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان ، لا أنهم اعتقدوا أن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك اعتقاد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية ، وحاشا ساداتنا من ذلك . . كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهر وقالوا لا بد منه أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر ، ومن ادعى فهم أسرار القرآن قبل احكام التفسير الظاهر ، فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب »[2] .

وهذا المعنى نقله السيوطي في كتابه الإتقان[3] عن الشيخ ابن عطاء الله

= والبيان ، والفقه والأصلين ، والمنطق ، وغير ذلك ولد بتفتازان إحدى قرى نواحي نسا ، وأخذ عن القطب والعضد ، وانتفع الناس بتصانيفه وتوفي بسمرقند سنة ٧٩١ هـ . من تصانيفه الكثيرة :

- شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان
- حاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير .
- التهذيب في المنطق .
- المقاصد في علم الكلام .
- حقائق التنقيح لصدر الشريعة في الأصول .

معجم المؤلفين لكحالة ج ١٢ ص ٢٢٨ .
شذرات الذهب ج ٦ ص ٣١٨ - ٣٢١ .

١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٨٤ .
٢) تفسير الآلوسي ج ١ ص ٧ .
٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢/ ص ١٨٥ .

السكندري صاحب لطائف المنن ، إذ كلهم مجمعون على قبول هذه المعاني بشروط أربعة :

١ ـ أن لا تتنافى وما يظهر من النظم القرآني .

٢ ـ أن لا يدعى أنّه المراد وحده دون الظاهر .

٣ ـ أن لا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً ، كتفسير بعضهم « ان الله لمع المحسنين » بجعل كلمة « لمع » فعلاً ماضياً والمحسنين مفعوله .

٤ ـ أن يكون له شاهد شرعي يؤيده[1]

ومن أهم كتب التفسير عندهم تفسير ابن عربي[2] ومما ورد فيه على سبيل المثال لا الحصر ما قاله عند تفسيره لقوله تعالى « ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة »[3] « انها النفس الحيوانية ، وذبحها قمع هواها الذي هو حياتها ، ومنعها عن الأفعال الخاصّة بها بشفرة سكين الرياضة »[4] .

وكقوله عند تفسيره لقوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام وهو يوصي أبناءه ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد ﴾[5] « أي لا تسلكوا طريق فضيلة واحدة كالسخاوة مثلاً دون الشجاعة »[6] .

وكقوله عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي

---

١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ عبد العظيم الزرقاني ج ٢ ص ٨٣ .
وانظر في هذا (الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبي إسحاق الشاطبي ، تحقيق الشيخ عبد الله دراز . ط. الرحمانية بمصر. ج ٣/ ص ٣٩٤.

٢) سبق ترجمته ص ٤١ .

٣) سورة البقرة آية ١٦٧ .

٤) تفسير ابن عربي المجلد الأول ص ٥٩ ط . دار الأندلس / بيروت . ط . سنة ١٩٨١ م . تحقيق الدكتور مصطفى غالب .

٥) سورة يوسف آية ٦٧ .

٦) تفسير ابن عربي ص ٦١١ المجلد الأول .

وأنهاراً ومن كل الثمرات﴾[1] والآية ﴿وهو الذي مد﴾ أرض الجسد ﴿وجعل فيها رواسي﴾ العظام وأنهار العروق ومن كل ثمرات الأخلاق والمدركات، ﴿وجعل فيها من كل زوجين اثنين﴾ أي، صنفين متقابلين كالجود والبخل، والحياء والقحة، والفجور والعفة، والجبن والشجاعة والظلم والعداله .. الخ[2] » .

إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا تكاد تخلو صفحة من صفحات هذا التفسير منها وهي وان كانت الآية لا تدل عليها فهي مقبولة في ذاتها . لكن فتح المجال أمام هذا النوع من التفسير يكون بمثابة الذريعة لهؤلاء الباطنية ، ومن حذا حذوهم في مجتمعاتنا المعاصرة ليفسروا كتاب الله تعالى بتفسيرات وتأويلات ، يحكمها الهوى والتعصب ، فضلاً عن أنه يحيط القرآن الكريم بهالة من الألغاز والطلاسم فتعوق الناس عن الاهتداء بهديه والسير على منهجه .

---

١) سورة الرعد آية ٤ .

٢) تفسير ابن عربي مجلد ١ ص ٦٣١ .

الباب الثالث

آثار ابن تيمية في التفسير والمفسرين

الفصل الأول

مكانة ابن تيمية

لقد سبق في الفصل الأول من هذه الرسالة أن ذكرت أقوالاً عديدة لعلماء أجلاّء ، أثنوا على ابن تيمية ، من حيث قوة علمه ، وسعة أفقه ، وحسن جهاده وبلائه واخلاصه لأحياء ما كان عليه السلف الصالح والعودة بالأمّة إلى الكتاب والسنة .

والشأن أن يفترق الناس في مثل هذه الشخصية ، ما بين معجب مؤيد ، وناقم حاسد .

فهو في نظر فريق ، شيخ الإسلام ، وقدوة الأنام ، وأحد المجددين للدّين ، وزعيم النهضة الإسلامية الحديثة .

قمع البدع ، وأظهر السنّة ، وحارب كل غريب مستحدث ، وخلّص الدين مما لحق به من أوضار أوْ شابه من فساد ، ورسم النهج للمصلحين من بعده يقتفون أثره ، ويتمرسون خطاه .

وبرز لكل فرقة من فرق الزيغ والضلال يبطل اقوالها ، ويزيف آراءها . . .

وفي نظر فريق آخر ، ضال مضل ، وكافر ملحد ، يشبه الله بخلقه ، ويصفه بأنه مستو على عرشه ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه يتكلم بحرف وصوت ، وينتقص من قدر الرسول ﷺ ، فيمنع التوسل والإستغاثة به ، ويمنع قصد قبره للزيارة فقط ، ويجترىء على الصحابة فيخرق اجماعهم ويتناول أدلتهم بالنقد والتجريح .

ولا عجب إذا بلغت بخصومه الكراهية ـ هذا الحدّ ، حتى أن منهم من طعنه في دينه وعقيدته التي تهون الصعاب دونها .

فمن كان هذا حاله وشأنه ، كيف يمكن أن يتصور أن يأخذ حظه من النجاح كاملاً غير منقوص والمعوقات والصعوبات والأشواك تعترض طريقه .

ولذلك فقد تأخر نجاح دعوته فترة من الزمن لأن عصره لم يدرك كنه مذهبه وحقيقة مقصده ، « فعلماء عصره لم يعنوا إلاّ بالمسائل الجزئية في مذهبه ، ولم يلتفتوا إلاّ إلى عنف أسلوبه في نقده للعلماء ، وكبار المؤلفين فاضطرّ هو إلى منازلتهم ، فعني بالجزئيات للدفاع عن آرائه ضد خصومه ، حتى أصبحت أصول مذهبه يصعب استخلاصها من بين مؤلفاته ورَسائله الكثيرة التي ألفّها في أمور فرعية ، ومسائل جزئه »[1] .

فابن تيمية رغم هذا الاختلاف فهو امام من أئمة المسلمين ، وإليه المنتهى في الفتاوى الفقهية والعلوم الإسلامية ، وعلم من الأعلام المرموقين في التاريخ الإسلامي ، وكما قيل « لا تزال آثاره ماثلة في كل حركة إصلاحية في العالم الإسلامي »[2] .

وكان من كبار المجاهدين والعاملين في مجال الدعوة إلى الله تعالى بقلمه ولسانه وسيفه حيث اقتضى الحال ووجب الجهاد .

ولكنه مع ذلك كله ممن يخطيء ويصيب وكان خطؤه بالنسبة إلى صوابه كنقطة في بحر لجى ، وهو مغفور له ، كما في صحيح البخارى « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد »[3] .

---

١) مجلة التضامن الإسلامي تصدر بمكة المكرمة عدد اكتوبر سنة ١٩٧٥م. من مقال بعنوان «الإمام ابن تيمية» بقلم سعيد زرايد.

٢) ابن تيمية لعبد العزيز المراغي ط . دار إحياء الكتب العربية ص ١٧٦ .

٣) صحيح البخاري ونصه : إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران في كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٢٦٨ ط . دار المعرفة بيروت .
- وأخرجه مسلم في كتاب الأقضية .
- واخرجه أبو داود في كتاب الأقضية .
- وأخرجه الترمذي في كتاب الأحكام .

وكما قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه : « كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلاّ صاحب هذا القبر »[1] .

ولعل في كلمة الأزهر عن « شيخ الإسلام ابن تيمية » ما ينبئنا عن شخصية هذا الإمام .

« والإمام ابن تيمية الحراني ، هو من ذلك النوع الذي يوزن بأمة وحدة . فأنّى توجهت إليه في دراسة شخصيته قابلك في كل جانب من جوانبها علماً بارزاً جديراً بالدراسة والبحث ، حقيقاً بما قلّدته الأجيال المتعاقبة من صفات المجد ، وما توّجته به من أكاليل الفخار .

هو موسوعة علمية حيّة ، سجلت كفاءتها النادرة ، وأثبتت وجودها الناهض في مختلف نواحي العلم والمعرفة .

وهو شخصية علمية منفتحة ، ذات منهج قويم يحتفظ بمعالمه وملامحه ، لا يقبل على التقليد ، ويأبى التّميع والإنسياب مع التيارات الفكرية المتصارعة والمتطاحنة في بيئته .

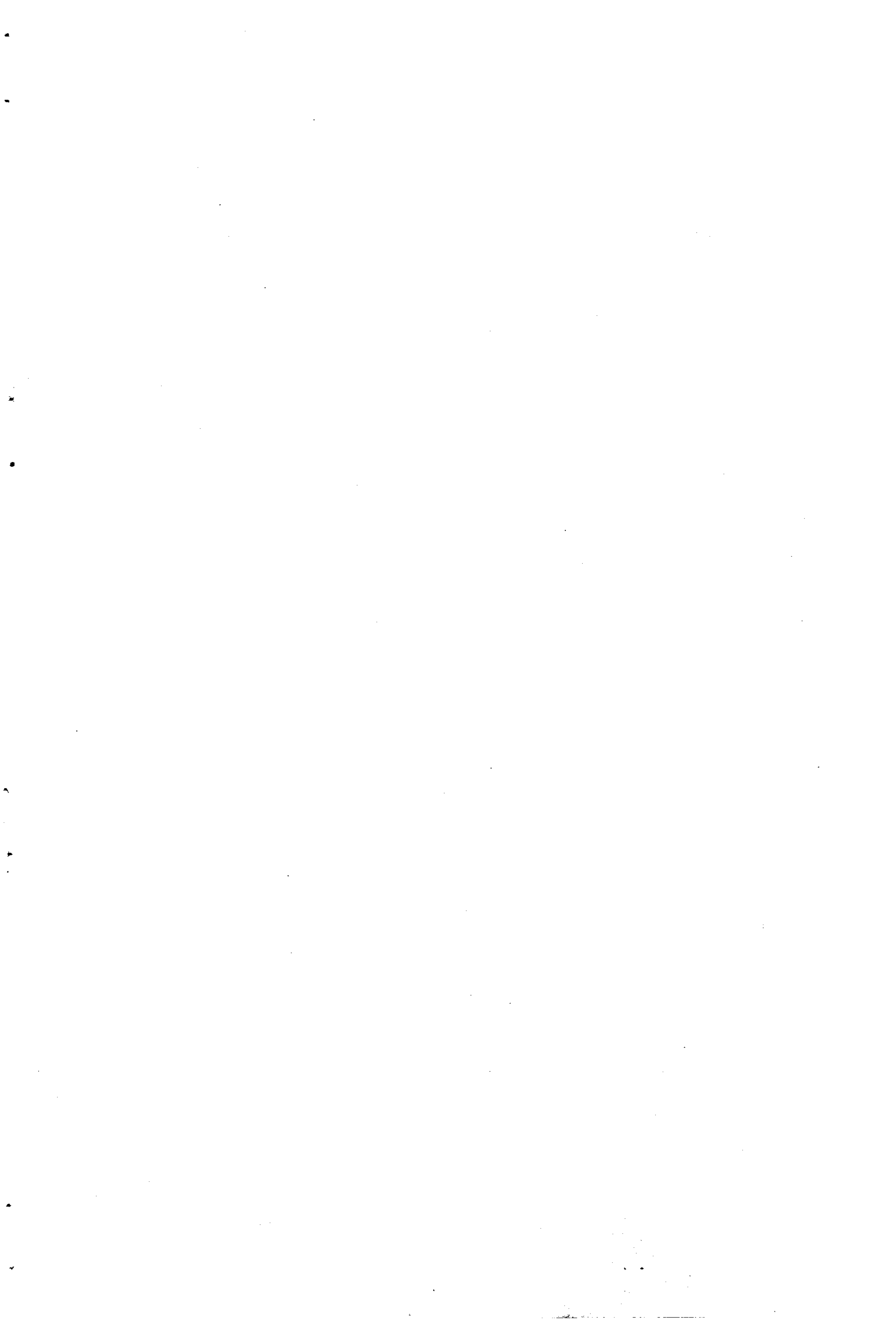
بل إنّه والحق يقال ، أوقف حركة التقليد في التفكير الإسلامي . . والإمام ابن تيمية ، أعظم من أن يحده كتاب واحد يحتويه ويشمله ، ويقدم إلى العالم أفكاره في مختلف نواحي المعرفة التي رادها ، فالجميع يعلم من هو الإمام ابن تيمية ، في امتداد آفاقه ، واتساع ساحاته وترامي حدوده وخصوبته العلمية ، ووفرة مؤلفاته التي تناولت الكثير من قضايا الفكر الإسلامي[2] .

= - وأخرجه النسائي في القضاة .

- وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام .

١) البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ١٣٩ - ١٤٠ ط . دار الفكر بيروت .

٢) رسائل دينية سلفية لزكريا علي يوسف . مطبعة الإمام ١٣ ش محمد كريم بالقلعة بمصر ص (٥٠) .
والكلمة بقلم الدكتور محمد البيصار رحمه الله تعالى .



الفصل الثاني

آثار ابن تيمية في التفسير والمفسرين

من المعلوم أنّ ابن تيمية لم يكتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم ، وذلك واضح من إجابته لأحد تلاميذه ، لما سأله أن يكتب تفسيراً كاملاً للقرآن مرتباً على السور القرآنية .

فأجابه : انّ القرآن فيه ما هو بين بنفسه ، وفيه ما قد بيّنه المفسرون ، في غير كتاب ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء .

فربما يطالع الإنسان عليها عدة كتب ، ولا يتبين له تفسيرها .

فكتبت تفسير تلك الآيات بالدليل لأنه أهم من غيره ، وإذا تبين معنى آية تبين معنى نظائرها . ولقد فَتَحَ الله تعالى عليه في السجن بمعان ومفاهيم كان كثير من العلماء يتمنونها ، حتى أنه ندم على تضييع أكثر أوقاته في غير معاني القرآن الكريم .

ولقد مكّن في بداية أمره من كتابة شيء من هذه المعاني ، ووصل بعضها إلى تلاميذه .

لكن آخر أمره لم يُمَكَّن من كتابتها كما لم يمكن من كتابة أيّ شيء آخر ، لأمر الحكام بإخراج كل ما عنده من الكتب والأوراق .

وكتب « مقدمة في أصول التفسير » في غاية الروعة والدقة ، نزولاً عند رغبة بعض أصدقائه ، « حيث سأله بعضهم أن يكتب مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن ، ومعرفة تفسيره ومعانيه ، والتمييز في منقول ذلك ومعقوله ، وبين الحق وأنواع الباطل ، والتنبية على الدليل الفاصل بين الأقاويل »[1] .

---

١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٣٣ .

وتعتبر هذه المقدمة من أهم ما كتبه في هذا العلم ، لدلالتها على منهجه في التفسير ، ولما لها من أثر على المفسرين من بعده .

حيث اعتمد عليها الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره المشهور في بيانه لأِحْسَنْ طرق التفسير .

كما وأفاد منها الزركشي صاحب البرهان في علوم القرآن ، وكثيراً ما نقل منها بالحرف دون أن يعزو ذلك إليه أو ينبّه عليه .

والسيوطي لخص أهم فصول هذه الرسالة في كتابه الإتقان وهو « أوجه الاختلاف في التفسير وأسبابها » تحت عنوان « معرفة شروط المفسر وآدابه » وأثنى على هذا الفصل بقوله « وهو كلام نفيس جداً »[١] مما يدل على إعجابه بما كتبه في هذه المقدمة .

كما ونقل من كلامه في باب التفسير بالرأي وطبقات المفسرين[٢] .

وممن لخّصها أيضاً الشيخ محمد راغب الطّباخ في كتابه الثقافة الإسلامية بعد أن أعجب بها وأثنى عليها .

وكذلك الشيخ محمد بهجت البيطار ، أعجب بها وأثنى عليها حيث قال : « رسالته هذه فيض من بحره ، قد أملاها من فؤاده ، وقد أودعها لآلئه وَدَرَرُه ، فهي تريك ، صفحة ناصعة من دراسة سلفنا للقرآن وفهمه ، وتهديك لحل بعض مشكلات التفسير ومصطلحاته ، وتدلك على أهدى المفسرين وأفضل كتبهم ، وتحذرك عما انتحلوا لأنفسهم من عقائد وأصولاً بنوا تفاسيرهم عليها ، رَدُّوا كلام الله وسنة رسوله إليها »[٣] .

---

١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٧٨ .

٢) أنظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ١٨٠ .

٣) حياة شيخ الإسلام للشيخ البيطار ص ١٧٨ .

ومن آثاره في التفسير كذلك :

أربع مجلدات من « مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧) جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن القاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، الطبعة الأولى بالرياض سنة ١٣٨٢ هـ .

وقد ألّفها على شكل رسائل في تفسير بعض الآيات ، أو اجابة عن سؤال حول آية أو بضع آيات ، إلى جانب تفسيره لبعض قصار السور الأخرى .

وهناك أيضاً « مجموعة تفسير شيخ الإسلام » جمع وترتيب عبد الصمد شرف الدين ، التي احتوت تفسير ست سور هي (الأعلى - الشمس - الليل - العلق - التين - الكافرون) . طبعة الهند سنة ١٣٧٤ هـ .

وله كذلك تفسير المعوذتين ، وسورة الإخلاص - وتفسير لسورة النور ،وكل ذلك مطبوع منشور .

وله أيضاً رسائل أخرى في القراءات وعلوم القرآن .

ومما هو جدير بالذكر أنّ مادة التفسير « لا تكاد تخلو من مؤلفاته وهي مبثوثة ، منشورة بين ثناياها فما من قضية يطرحها ، إلا وأدلته عليها من الكتاب والسنة وذلك يستدعي أن يشرحها ويوضحها .

وبقيت أبحاثه وكتبه وتعاليمه حيّة ماثلة بين أتباعه على كثرة المعاندين والساعين لطمسها واخفائها ، ليستفيد منها جيل بعد جيل .

وكانت هذه التعاليم تمثل قوة صامتة جبّارة تثير من حين لآخر انفجارات عدائية لمناهضة البدع الدخيلة في الإسلام »[1] .

ولا ينكر تأثر الشيخ محمد عبده بمدرسة ابن تيمية الى حد ما ، في دعوته الى

---

١) العقيدة والشريعة لجولد زيهر ص ٢٣٦ .

تحرير الفكر من التقليد ، وإلى فهم الدين عن طريق السلف قبل ظهور الخلاف، وإلى الرجوع في حسمه الى اصوله من الكتاب والسّنّة ، حتى ترجع الأمور الاعتقادية والتعبدية إلى ما كانت عليه في عهد السلف، بلا زيادة ولا نقصان»[1].

كما انتفع الشيخ رشيد رضا بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية رحمها الله تعالى وذكر أنه لم يطمئنّ قلبه بمذهب السلف تفصيلاً إلا بممارسة هذه الكتب .

وظلّ يعتز بقراءة هذه الكتب ، وبآراء الشيخين ويستشهد بهما ، وينقل عنهما ، طيلة حياته . وكثيراً ما نقل صاحب محاسن التأويل الشيخ جمال الدين القاسمي من كتب الشيخ ، واستشهد بآرائه حتى أنه عقد في مقدمة تفسيره « الجزء الأول ، فصلاً كاملاً تحت عنوان « هل في القرآن مجاز أم لا ؟» بما لا يقل عن ثلاثين صفحة من الحجم الوسط ، فنقله بتمامه من كتاب الإيمان لابن تيمية . والإمام الشوكاني تأثر بكتب الشيخ ابن تيمية واستفاد منها ، وبالغ في الثناء عليه .

فقال عنه وعن ابن حزم الأندلسي : « وما أظن أنه سمع الزمان ما بين عصري الرجلين ، بما يشبههما أو يقاربهما »[2] .

وستبقى كتب الشيخ ابن تيمية ماثلة في الأذهان مصدراً لكل طالب عالم ، ومبتغي حقيقة . عليه سحائب الرحمة والرضوان .

---

١) المجددون في الإسلام من القرن الأول حتى الرابع عشر تأليف عبد المتعال الصعيدي ط . المطبعة النموذجية الحلمية بمصر ص ٥٣٧ .
وانظر : خمسة من أعلام الفكر الإسلامي ص ١٢٣ .

٢) المجدّدون في الإسلام من القرن (١ - ١٤) لعبد المتعال الصعيدي ط . المطبعة النموذجية بالحلمية ص ٤٧٤ .

خاتمة البحث

لقد وجد ابن تيمية في عصر لا استقرار فيه حيث الخطر المغولي ومن قبله الصليبي يهدد المسلمين في عقر دارهم ، فكان هم المسلمين الدائم ، كيف يتقوا هذا الخطر الدّاهم .

وابن تيمية من الشخصيات القليلة التي لها أثر بارز في حياة أمتهم لإخلاصه وشجاعته وجرأته في الحق . ولقد قضى فترة طويلة من حياته ، متنقلاً بين السجون إلى أن حضرته المنية ، وانتقل إلى الحياة الآخرة في قلعة دمشق .

ولا غرابة في هذا ، فإنه شأن العلماء العاملين على مرّ التاريخ .

وعندما شيّع ، نودى عليه ، « الصلاة على ترجمان القرآن » .

ولقد قضى الجزء الأكبر من وقته في « تفسير القرآن الكريم ».

لكن المرَجَّحْ : أنه لم يكتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم مرتب الآيات والسور (وإن كان باستطاعته ذلك) .

إلاّ أنه اكتفى بتفسير الآيات التي أشكل تفسيرها على كثير من المفسرين ، كما أشرت إلى ذلك في موضعه وعلى الرغم من ذلك فإن الذي وصلنا من تفسيره قليل نظراً لما لاقاه هو واتباعه من تضييق الحكام ولذلك حبذا :

١ ـ لو تشجّع الأبحاث حول شخصيته هذا الرجل حتى تتكشف لنا مختلف جوانب شخصيته .

٢ ـ تحقيق المخطوطات المتعلقة بالتفسير والموجودة في المكتبات العامة ، ليصار إلى

نشرها والإستفادة منها .

٣ ـ ان الذخائر التفسيرية التي تركها تزيد على ثلاثين مجلداً ، كما يقول تلاميذه ، ولا شك أنها إذا جمعت كونت ذخيره تفسيرية ثمينة لها قيمتها واعتبارها .

ولكان تفسيره هذا من أجود التفاسير التي تجمع المأثور وغيره من استنباطاته وآرائه « فضلاً عما رزقه الله تعالى من نعمة التعمق في الفكر والنظر ، وسلامة الذوق ، والتبحر الكامل في الروايات ، والإستشهاد بها ، وتطبيق الآيات على الحياة والإطلاع على المجتمع الذي عاش فيه ، وروح الدعوة ودوافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[1] .

« وبعض العظماء يؤثرون في مجتمعاتهم الخاصّة ، وبعضهم يتجاوز أثرها العصور والمجتمعات فيلوحون من وراء كل دعوة إصلاح ، ويظهرون وراء كل حركة تجديد ، ومن هؤلاء ، شيخ الإسلام ابن تيمية »[2] وما حركة الوهابيين التي قامت في السعودية عنّا ببعيدة . حيث اعتمدت منهجه وكتبه ودعوته رحمه الله .

١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام « الجزء الثاني » لأبي الحسن الندوي ص ٢٨٤ .
٢) معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ط . مؤسسة الرسالة الطبعة السادسة سنة ١٩٨١ م . ص ٤٨١ .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ ابن تيمية للشيخ عبد العزيز المراغي ـ ضمن سلسلة أعلام الإسلام ـ ط . عيسى الحلبي وشركاه .

٣ ـ ابن تيمية للأستاذ محمد يوسف موسى ـ سلسلة أعلام العرب ـ ط . المؤسسة المصرية للطباعة والنشر .

٤ ـ ابن تيمية للشيخ محمد أبو زهرة ط . دار الفكر العربي للنشر والتوزيع .

٥ ـ ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين للأستاذ محمد خليل هرّاس ط . المطبعة اليوسفية / مصر .

٦ ـ ابن القيم الجوزية عصره ومنهجه لعبد العظيم عبد السلام شرف الـدين ط . المكتبة نهضة مصر بالفجالة .

٧ ـ الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط . مصطفى الحلبي وشركاه .

٨ ـ الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم الأندلسي ط . ثانية / مطبعة الإمام بالقاهرة .

٩ ـ الأخبار السنية في الحروب الصليبية لسيد علي الحريري الطبعة الأولى ط . المطبعة العمومية القاهرة .

١٠ ـ أربعون حديثاً رواية شيخ الإسلام ابن تيمية عن أربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء . تخريج الحافظ محيي الـدين محمد بن إبراهيم الواني . ط . المطبعة السلفية ومكتبتها .

١١ ـ أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية . وهو كتاب عبارة عن عدّة أبحاث تقدم بها المشتركون في مؤتمر عقد بدمشق في الفترة الواقعة ما بين (١٦ ـ ٢١ شوال سنة ١٣١٠ هـ . ١ ـ ٦ ابرايل سنة ١٩٦١ م) . وأشرف على طباعته المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية / دمشق .

١٢ ـ الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي ط . مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة) .

١٣ ـ أسماء مؤلفات ابن تيمية لشمس الدين ابن القيم الجوزية ، تحقيق صلاح الدين المنجد . ط . دار الكتاب الجديد / بيروت .

١٤ ـ إضمحلال الدّولة الرومانية وسقوطها لإدوارد جيبون . نقله إلى العربية وقدم له محمد علي أبو درّة ، أحمد نجيب هاشم . ط . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (القاهرة) .

١٥ ـ أعجام الأعلام لمحمود مصطفى ط . مطبعة الرحمانية / مصر .

١٦ ـ الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للحافظ عمر بن علي البزار المتوفي سنة ٧٤٩ هـ . ط . المكتب الإسلامي / بيروت / الطبعة الثالثة ـ تحقيق زهير الشاويش .

١٧ ـ الأعلام لخير الدين الزركلي . قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستشرقين . ط . (دار العلم للملايين ـ بيروت) .

١٨ ـ إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ط . مطابع المجد التجارية / السعودية .

١٩ ـ الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية . الطبعة الثانية ط . مكتبة أنصار السنة المحمدية / القاهرة .

٢٠ ـ الإيمان لابن تيمية . الطبعة الثانية / المكتب الإسلامي / بيروت .

(ب)

٢١ ـ البداية والنهاية لابن كثير القرشي . ط . مطبعة المتوسط ، بيروت مكتبة. الأصمعي / الرياض .

٢٢ ـ البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي . ط . مطبعة السعادة ، القاهرة .

(ت)

٢٣ ـ تاريخ ابن الوردي المتوفى سنة ١٣٤٨ م . الطبعة الثانية المطبعة الحيدرية بالنجف .

٢٤ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان . نقله إلى العربية أمين فارس ـ منير بعلبكي . الطبعة الأولى ط . دار العلم للملايين .

٢٥ ـ تاريخ الفكر العربي أيام ابن خلدون للدكتور عمر فروخ . ط . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت .

٢٦ ـ تاريخ مختصر الدول لابن العبري . ط . بيروت سنة ١٩٥٨ م .

٢٧ ـ تاريخ المماليك البحرية للدكتور علي إبراهيم حسن . الطبعة الثالثة / مكتبة نهضة مصر (القاهرة) .

٢٨ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي تحقيق مصطفى حيدر آباد الدكن . ط . دائرة المعارف النظامية / الهند .

٢٩ - ترجمة حياة شيخ الاسلام ابن تيمية لمحمد كرد علي. ط. المكتب الاسلامي/ دمشق

٣٠ - تفسير سورة النور لابن تيمية تحقيق الأستاذين محمد إبراهيم زيد ، ومصطفى قلعجي . الناشر : دار الوعي / حلب سوريا .

٣١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير القرشي . ط . دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي ، وشركاه) .

٣٢ - تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية . ط . المنار الكويت سنة ١٩٧٧ م .

الطبعة الثالثة .

٣٣ ـ تفسير القرآن الكريم للشيخ محيي الدين بن عربي . تحقيق الدكتور مصطفى غالب . ط . دار الأندلس / بيروت .

٣٤ - التفسير والمفسرون للشيخ محمد حسين الذهبي . ط . دار الكتب المصرية / مصر .

(ج)

٣٥ - جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . جمع عبد القادر الأرناؤوط . ط . (مطبعة الحلواني ـ مكتبة الملاح ـ دار البيان) .

٣٦ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨) مجلدات . ط . دار الشعب بمصر .

٣٧ ـ جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ط . دار المعارف بمصر سنة ١٣٨١ هـ .

٣٨ ـ الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية . ط . مطبعة المدني / مصر سنة ١٩٥٩ م .

(ح)

٣٩ ـ الحركة الصليبية لسعيد عاشور ، ط . الثالثة / مطبعة الأنجلو المصرية / القاهرة .

٤٠ ـ حضارة العرب لغوستاف لوبون . نقله إلى العربية عادل زعيتر . الطبعة الثالثة / ط . دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٤٥ م .

٤١ ـ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي . ط . مطبعة الموسوعات شارع باب الخلق / القاهرة .

٤٢ ـ حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ محاضرات ـ ومقالات ـ ودراسات بقلم محمد

بهجت البيطار ـ الطبعة الثانية ، المكتب الإسلامي / بيروت .

(خ)

٤٣ - خطبة الحاجة تخريج الشيخ ناصر الدين الألباني ، ط . المكتب الإسلامي / بيروت .

٤٤ ـ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادهما القديمة والشهيرة . لعلي باشا مبارك . ط . دار الكتب المصرية / القاهرة .

٤٥ - الخطط المقريزية / المسماّة بالمواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار يختص ذلك بأخبار مصر والنيل وذكر القاهرة ، وما يتعلق بها ، ط . دار الطباعة المصرية سنة ١٢٧٠ هـ .

٤٦ - خمسة من أعلام الفكر الإسلامي لمصطفى عبد الرازق ، « الكندي - الفارابي - المتنبي - ابن الهيثم - ابن تيمية » . ط . دار الكتاب العربي / بيروت .

(د)

٤٧ - دائرة المعارف الإسلامية يصدرها باللغة العربية ، أحمد الشناوي ، إبراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس .

٤٨ - الدارس في تاريخ المدارس لأبي المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي المتوفى سنة ٩٢٧ هـ . تحقيق خضر الحسيني عضو المجمع العلمي العربية ، ط . مطبعة الترقمي بدمشق سنة ١٣٦٧ هـ .

٤٩ - الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٨٢ هـ . الطبعة الأولى / طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية / الهند سنة ١٣٤٨ هـ .

(ذ)

٥٠ ـ الذيل على طبقات الحنابلة لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

عني بنشره وتحقيقه هنري لاووست وسامي الدهان . ط . المعهد الفرنسي للدراسات الإسلامية (دمشق) .

(ر)

٥١ ـ رجال الفكر والدعوة في الإسلام (الجزء الثاني) . خاص بابن تيمية لأبي الحسن الندوي . ط . دار القلم ـ الكويت .
٥٢ ـ رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » . الطبعة الثانية / مطبعة التقدم بمصر .
٥٣ ـ الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ، لابن ناصر الدين الدمشقي . تحقيق زهير الشاويش ط . المكتب الإسلامي / بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٨١ م .
٥٤ ـ رسائل دينية سلفية إعداد الأستاذ زكريا علي يوسف . ط . مطبعة الإمام / القاهرة .
٥٥ ـ الرسالة التدمرية لابن تيمية . ط . المكتب الإسلامي / بيروت .
٥٦ ـ رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ، ط. المكتب الإسلامي / بيروت الطبعة الخامسة سنة ١٤٠١ هـ .
٥٧ ـ رسالة في العلم الظاهر والباطن ، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية لابن تيمية . ط . المنار / مصر .
٥٨ ـ الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز لابن تيمية . الطبعة الثالثة ـ مكتبة أنصار السنة المحمدية / القاهرة .
٥٩ ـ رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية . طبعة المكتب الإسلامي / بيروت الطبعة الخامسة .
٦٠ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الآلوسي . تصوير / بيروت عن طبعة المطبعة المنيرية القاهرة .

(س)

٦١ ـ سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . ط . دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٧٢ م .

٦٢ ـ سنن أبي داود تحقيق محيي الدين عبد الحميد . ط . دار الفكر / بيروت .

٦٣ ـ سنن الترمذي ، ط . المكتبة السلفية (المدنية المنورة) .

٦٤ ـ سنن الدارمي تطوير دار الكتب العلمية / بيروت عن طبعة دار إحياء السنة النبوية / مصر .

٦٥ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للمحدث ناصر الدين الألباني . ط . المكتب الإسلامي / بيروت .

٦٦ ـ السيادة العربية والشيعية والإسرائيلية في عهد بني أمية لڤان فلوتن . ترجمه عن الفرنسية د . حسن إبراهيم ، ومحمد حسن إبراهيم . ط . أولى / مطبعة السعادة القاهرة .

(ش)

٦٧ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي . ط . المكتب التجاري / بيروت .

٦٨ ـ شرح حديث النزول لابن تيمية . ط . المكتب الإسلامي / بيروت .

٦٩ ـ شيخ الإسلام سيرته وأخباره عند المؤرخين لصلاح الدين المنجد . ط . دار الكتاب الجديد .

(ص)

٧٠ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية . ط . دار الشعب (خمس مجلدات) .

(ط)

٧١ - طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي . ط. المطبعة الحسينية القاهرة ط. أولى .

٧٢ - طبقات المفسرين للحافظ شمس الدين الداوودي . ط . مكتبة وهبة (القاهرة) .

٧٣ - طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية . ط . المنيرية القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ .

(ع)

٧٤ - العبودية لابن تيمية تقديم : عبد الرحمن الباني . ط . المكتب الإسلامي/ بيروت .

٧٥ - عصر المماليك ونتاجه العلمي والأدبي للأستاذ محمود رزق سليم . ط . المطبعة النموذجية / مصر .

٧٦ - العقود الدرية من مناقب ابن تيميّة لابن عبد الهادي . (تحقيق محمد حامد الفقي) ط . دار الكاتب العربي / بيروت .

٧٧ - العقيدة والشريعة لجولد زهير . نقله إلى العربية د . محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، علي حسن عبد القادر ـ أستاذ بكلية الشريعة بالأزهر ومدير المركز الإسلامي بلندن

٧٨ - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير اختصار الشيخ أحمد محمد شاكر . ط . دار المعارف / مصر سنة ١٩٧٦ م .

(ف)

٧٩ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني . ط . دار المعرفة / بيروت .

٨٠ - الفتوى الحموية ضمن مجموعة الرسائل التدمرية لابن تيمية . تحقيق الشيخ

محمد حامد الفقي . ط . المطبعة الحسينية / القاهرة .
٨١ - فقه السّنة لسيد سابق . ط . المطبعة النموذجية / بمصر .
٨٢ - الفقه على المذاهب الأربعة (قسم العبادات) . ط . دار الشعب / مصر للأستاذعبد الوهاب خلاف .
٨٣ - فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي . تحقيق د . إحسان عباس . ط . دار الثقافة العربية / بيروت .

(ق)

٨٤ - قادة الفكر الإسلامي عبر القرون لعبد الله سعيد الروشيد . ط . عيسى الحلبي وشركاه / القاهرة .
٨٥ - القاموس المحيط للفيروز آبادي .

(ك)

٨٦ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر في الحديث على ألسنة الناس لإسماعيل العجلوني . ط . دار إحياء التراث العربي / بيروت .
٨٧ - الكامل في التاريخ لابن الأثير . ط . دار صادر للطباعة والنشر / بيروت . سنة ١٩٦٦ م .
٨٨ - الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية . للشيخ مرعي الكرمي الحنبلي . ط . مطبعة أنصار السنة المحمدية / القاهرة .

(م)

٨٩ - مبادىء الفلسفة لأنجلو سولومون رابوبرت ، ترجمة أحمد أمين . الطبعة السادسة مكتبة الخانجي / القاهرة .
٩٠ - المجدّدون في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر . للأستاذ عبد المتعال الصعيدي . ط . المطبعة النموذجية (الحلمية / القاهرة) .

٩١ ـ مجموعة تفسير شيخ الإسلام من ست سور، (الأعلى ـ الشمس ـ الليل ـ العلق ـ البينة ـ الكافرون). ط. الهند.
٩٢ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي . مكتبة القدسي / القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .
٩٣ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم العاصمي النجدي الحنبلي . ط. أولى سنة ١٣٨٢ هـ ./ الرياض.
٩٤ ـ مجلة التضامن الإسلامي/ تصدر بمكة المكرمة.
٩٥ ـ محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي. ط. دار إحياء الكتب العربية / القاهرة.
٩٦ ـ مختصر طبقات الحنابلة . جمع محمد جميل الشطي. ط. مطبعة الترقي دمشق سنة ١٣٣٩هـ .
٩٧ ـ مختصر وشرح أبي داود للحافظ المنذري . تحقيق الشيخ أحمد شاكر والشيخ حامد الفقي . ط . مطبعة أنصار السنة المحمدية / القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .
٩٨ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي . تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني . ط . المكتب الإسلامي الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩ م .
٩٩ ـ معالم الأعلام في بلاد العرب . لأحمد بن قدامة . ط . مطابع الغرباء / دمشق .
١٠٠ ـ معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان . ط . مؤسسة الرسالة الطبعة السادسة سنة ١٩٨١ م .
١٠١ ـ معجم المؤلفين لعمر كحالة . ط . دار إحياء التراث / بيروت .
١٠٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي. عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ، ومسند أحمد بن حنبل رتبه ونظّمه لفيف من المستشرقين. ونشره د. أ.ى . ونسنك . مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٢٦م.

١٠٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ط. مطابع الشعب.
١٠٤ ـ مقارنة بين الإمام الغزالي وابن تيمية . للدكتور محمد رشاد سالم الناشر الدار السلفية سنة ١٩٧٥ م .
١٠٥ ـ مقدمة ابن خلدون طبعة دار القلم / بيروت .
١٠٦ ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث . ط . دار الكتب العلمية / بيروت .
١٠٧ ـ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تحقيق الدكتور عدنان زرزور ، المدرس بكلية الشريعة بدمشق / الناشر دار القرآن الكريم / الكويت ط . أولى .
١٠٨ ـ « المكتبة الإسلامية » كتاب باسم كلية الإمام الأوزاعي / بيروت . وهو عبارة عن نشرات نقلت من كتاب « الدليل البيوجرافي للقيم والثقافة العربية » .
١٠٩ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ط . عيسى الحلبي وشركاه .
١١٠ ـ منهاج السّنة النبوية لابن تيمية وبهامشه كتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول للمؤلف المذكور مكتبة الرياض الحديثة / السعودية .
١١١ ـ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب عبد الوهاب فايد . طبع بإشراف مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٣ م . بالمطبعة الأميرية / القاهرة .
١١٢ ـ الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبي إسحاق الشاطبي ، تحقيق الدكتور عبد الله دراز . ط . المطبعة الرحمانية / مصر .
١١٣ ـ الموسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، للدكتور أحمد شلبي . الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ م . مطبعة النهضة المصرية .
١١٤ ـ الموضوعات لابن الجوزي . ط . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

(ن)

١١٥ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي . نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية . الناشر / وزارة الثقافة والإرشاد القومي / القاهرة .

١١٦ - نشأة التفسير في الكتب المقدسة والقرآن الكريم للدكتور أحمد السيد خليل ط . أولى - الوكالة الشرقية للثقافة سنة ١٩٥٤ م . (بالإسكندرية) .

١١٧ - نقض المنطق لابن تيمية . ط . مطبعة السنة المحمدية .

١١٨ - نوابغ الفكر الإسلامي لأنور الجندي . ط . أولى ، دار الرائد العربي / بيروت سنة ١٩٧٢ م .

١١٩ - نيل الأوطار من أحاديث سيد المختار . شرح منتقى الأخبار . لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ . ط . دار الجيل / بيروت .

(و)

١٢٠ - الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل ايبك الصفدي . ط . استنبول وزارة المعارف سنة ١٩٣١ .

١٢١ - وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ . ط . القاهرة سنة ١٢٩٩ م .

فهرس الموضوعات

الصفحة